مكتبة المشورة الكتابية

عندما يبدو الناس كبارًا ويبدو اللّه صغيرًا

التغلّب على ضغوط الأقران والأصدقاء، والاعتمادية المتبادلة، والخوف من الناس

Edward T. Welch

إدوارد ت. ويلتش

مركز دراسات المشورة الكتابية
NOUTHETIC

Original English Title:

When People are big and God is small

Overcoming Peer Pressure, Codependency, and the Fear of Man.

Publisher: P&R

Author: Edward T .Welch

© 1997

ALL RIGHTS RESERVED

اسم الطبعة باللغة العربية:

عندما يبدو الناس كبارًا
ويبدو الله صغيرًا

التغلّب على ضغوط الأقران والأصدقاء
والاعتمادية المتبادلة والخوف من الناس

الإعداد الفني: خدمة «ذهن جديد»
New Renovaré Ministry
www. nermo.net
email:info@nermo.net

المسئول: د. ياسر فرح
المترجم: د. فريد فؤاد عبد الملك
المراجعة اللغوية والتعريب: ياسر فرح
تليفون : 26718765 (202+) - 22870640 (202+) - 01203084135 (2+)

"**Renovaré**" كلمة لاتينية بمعنى "**to Renew**" أي "**يجدد**"
رسالتنا هي: فاتركوا سيرتكم الأولى بترك الإنسان القديم الذي أفسدته
الشهوات الخادعة، و**تجددوا** روحًا وعقلًا، والبسوا الإنسان الجديد الذي
خلقه الله على صورته في البر وقداسة الحق. (أفسس 4: 22-24)

الناشر باللغة العربية: **مركز دراسات المشورة الكتابية "Nouthetic"**
E-mail: Noutheticegypt@gmail.com

"**Nouthetic**" كلمة يونانية بمعنى **المواجهة الشخصية**
(بالتوبيخ أو الانذار أو التعليم أو النصح) **بمحبة شديدة**
واهتمام **بغرض التغير والتطبيق الشخصي** لحق الله
رسالتنا هي: "وأنا نفسي متيقن من جهتكم يا إخوتي أنكم أنتم مشحونون
صلاحًا ومملوؤن كل علم. قادرون أن **ينذر (ينصح)**
بعضكم بعضًا." (رومية 15: 14)

مطبعة: سلفر ستار : 01274800335
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٣/٥٢٩٦
الترقيم الدولي: 978-0-87552-600-3

The project of securing the publication rights to, raising the funds for, and overseeing the translation of biblical counseling-related books and training materials is a ministry of Overseas Instruction in Counseling (www.DiscoverOIC.org) a United States-basedmission agency that trains biblical counseling trainers around the world.

© جميع حقوق النشر والتدريب والتعليم محفوظة للناشر

المحتويات

١- خزانات المحبة والتسريب ٥

القسم الأول: كيف ولماذا نخاف من الآخرين

٢- الناس سوف يرونني ٢١

٣- الناس يرفضونني ٣٧

٤- الناس يؤذونني جسديًا ٥١

٥- العالم يريد مني أن أخاف من الناس ٧٥

القسم الثاني: الانتصار على الخوف من الآخرين

٦- اعرف مخافة الرب ١٠١

٧- انمو في مخافة الرب ١٢١

٨- افحص احتياجاتك المحسوسة في ضوء الكتاب المقدّس ١٤٧

٩- اعرف احتياجاتك الحقيقية ١٦٩

١٠- تلذذ بالله الذي يملؤنا ١٨٧

١١- أحب أعداءك وجيرانك ٢٠١

١٢- أحب إخوتك وأخواتك ٢١٧

١٣- ختام الأمر كلّه: اتق (خف) الله واحفظ وصاياه ٢٤٥

الفصل الأول

خزانات المحبة والتسريب

«منذ فترة طويلة لم يكن عندي تقدير لنفسي». هكذا بدأ وليام حديثه. وأكمل: «المرة الوحيدة التي أحسست فيها بالراحة، عندما اقتنيت حذاءً رياضيًا بمائة دولار، وفانلة بستين دولارًا. ولو لم يكونا عندي لما أمكنني الذهاب إلى المدرسة.»

من كان يظن أنه خلف وجه وليام القاسي البارد هناك «ذات» يمكن أن تنسحق ببساطة لكونه يلبس حذاء رخيصًا أو قميصًا غير أصلي. من المؤسف أن بعضًا من أعدائنا لم يعرفوا ذلك. وإلا، كانوا تجنبوا الكثير من الرضوض والكدمات من قبضة ويليام. لم يدركوا إلا قليلاً عن ويليام أنه شمشون العهد الحديث. فقوته كانت في حذائه. إسرق حذاءه وستهزم ذلك الرجل. بالطبع لم يكن الحذاء هو المشكلة. كانت المشكلة هي سمعة ويليام، هو ما الذي يظنه الناس عن حذائه ، وبالتالي فيه. أطلق على هذا الأمر ما شئت من أسماء: السمعة، وضغط الأصدقاء، وإرضاء الناس، والاعتمادية. كانت حياة ويليام محكومة من الآخرين. وهو في ذلك لم يختلف عن معظم الناس.

جاء انتباهي لهذه المشكلة عندما كنت طالبًا في المدرسة الثانوية. لقد كنت خجولاً على الدوام واعيًا لنفسي، يحكمني ما يفكر فيه الأصدقاء أو ما قد يظنونه بي. لكنني لم أهتم بذلك جديًا إلا يوم توزيع الجوائز.

استعديت لنوال جائزة. كنت أموت رعبًا من الحصول عليها. كانت القاعة تضم أكثر من ألفي شخص من تلاميذ المدرسة الثانوية الصغار والكبار. ومن الخلف حيث كنت أحب أن أجلس، حانت مني ابتسامة أو أكثر نحو منصة المسرح. كل ما كنت أفكر فيه ماذا يظن زملائي في شخصي عندما أتقدم إلى الأمام. هل سأمشي بشكل مضحك؟ هل أتعثر عند صعودي درجات السلالم؟، هل سيظن أي شخص أنني أحمق؟ وتمنيت ألا يكون ذلك الشخص هو الفتاة التي أحبها. ماذا عن الآخرين المرشحين للجائزة، أو الذين يظنون أنهم يستحقونها؟ ماذا سيقولون عني لو أنني ربحت الجائزة بدلاً منهم؟ وماذا سأقول في خطاب قبول الجائزة الموجز؟

صلّيت قائلاً يا الله لا تدعني أربح تلك الجائزة.

بعد الإعلان عن عدد من الجوائز الأقل، قام نائب مدير المدرسة إلى المنصة ليقدم الفائز. بدأ حديثه بكلمة قصيرة عن تاريخ الجائزة. ويبدو أنني لم أكن مناسبًا لها.

بدأت أتصبب عرقًا، لكنني جلست بغير حركة خشية أن يشعر أحد باهتمامي. وأخيرًا جاء الإعلان عن الفائز هذا العام بجائزة الشباب وهو... ريك ويلسون!

ريك ويلسون من بين كل الناس؟ لم أصدق ذلك. لم يصدق أحد ترشحه للجائزة. يمكنك أن تتخيل ردة فعلي. راحة؛ على الإطلاق. لقد أحسست بالفشل العام. والآن، ماذا سيظن الناس بي؟ إنهم يعلمون أنني أتوق لهذه الجائزة، ثم يتم اختيار شخصًا آخر لها. إنني فاشل كبير.

وفي الحال بدأ عقلي في نسج التبريرات. لو أنني عملت جيدًا هذه السنة لكنت قد استحققتها. إن عندي الدوافع والمقومات، لكنني لم أرد أن أربح الجائزة. عندما أذهب للكلية سأريهم. لقد خجلت من الرجوع إلى حجرة الدراسة.

مثير للشفقة، أليس كذلك؟

وفيما بعد، في ذلك الوقت استرجعت الأحداث في ذهني. يا لها من فوضى. تأملت. إنني أعيش كطفل مرعوب. إنني محكوم بما قد يظنه الآخرون بي، أو ما قد يفكرون فيه نحوي. لكن ذلك ليس كل الأمر. لم أعرف كل الأمر. لم أعرف إلى أين أذهب.

لم يكن عندي مصادر كتابية كافية لكي أجد أي حل لما قد اكتشفته عن نفسي. وبقدر ما أستطيع أن أقول لم يكن هناك مخرج لي. فهذه حياتي. أن أدرك ذاتي أو أن أكون محكومًا بآراء الآخرين، أو مهما كان الاسم، يمكن التحكم فيها وليس علاجها. ربما ينفع معي النجاح في المستقبل. أو ربما (وهذا ما أظنه منتهى الذكاء) أن أبين أحد المبررات التي مرت في ذهني في أول يوم. قد أتحسن، لكن لا يمكنني أن أكرّس نفسي بكل القلب لعمل معين. وعندما لم أنجح وتدهور تقييمي لنفسي، بررت ذلك وقلت إنني سأصبح أفضل لو عملت بأكثر اجتهاد وجدية. على الأقل كنت أظن أنني على ما يرام في ما يستحق ذلك.

لم تكن عندي إجابات. لكن أحداث اليوم استحضرت بالقطع هذه الموضوعات إلى الذهن. على الأقل كانت تلك صحوة.

وفي الكلية حاولت أن أقهر هذا الوحش بنجاحات سريعة متتالية في المجالات العملية والرياضية. واستخدمت استراتيجية كان ممكنًا بها أن أصبح أفضل، لو أنني حاولت ذلك بالفعل. إلا أن ذلك الشيء كان حاضرًا أمامي دائمًا. إنني مسيحي، لكن ذلك لم يفلح في أن أوجل الصراع. فمازلت أحس به. فكان كل رفض وكل إخفاق وكل فشل محسوس وكل شخص أردته أن يهتم بي ولم يفعل، كل هذه الأمور كانت تذكّرني بأنني ما زلت ذلك الولد الصغير الجالس في الصفوف الخلفية من مسرح المدرسة الثانوية.

شيء طيب في المسيح

كانت هناك بعض التغييرات خلال أيام الدراسة. وقد حدثت خلال السنة الأولى من الدراسة حين جاءتني فرصة قيادة درس الكتاب المقدّس حول الرسالة إلى رومية. وقد درست بالفعل موضوع الرسالة إلى رومية عن التبرير بالإيمان. لكن الآن كان الأمر يبدو مرتبطًا بشكل خاص، لأنني ربطت ما بين اعتمادي على آراء الآخرين والتبرير بالإيمان. كان المنطق عندي - وهو أصلاً ليس عندي - أنني لست مضطرًا إلى القياس على معايير الآخرين. لأن رأي الله متأصل في عمل الرب يسوع المكتمل. وبتعبير آخر، فمع أنني خاطئ أحبني الله وجعلني بارًا في عينيه. فمن يهتم إذن بفكر الآخرين؟

يبدو أن هذه هي الحرية التي أحتاجها. وشعرت كما لو أنني تحولت من جديد إلى المسيحية. فلم أكن مضطرًا للاهتمام بآراء الآخرين. بل ببساطة

ينبغي أن أحرص على رأي الله في شخصي. كنت ابنًا محبوبًا قدّيسًا، نعم في المسيح. شيء عظيم.

وعلى مدى السنوات القليلة التالية ظللت مهتمًا بآراء الآخرين. وسرعان ما كنت أذكّر نفسي أنني لست مضطرًا إلى أن أقيس نفسي على ما يظنونه بشأني.

من يهتم بما يفكرون فيه؟ حاولت إقناع نفسي. لكن ماذا لو أنهم لم يعتقدوا أنني عظيم. لقد وصلت إلى القمة بالفعل بسبب ما فعله الرب يسوع معي. لقد اكتشفت أنه لو كان الرب يسوع يعتقد أنني عظيم، فهذا يكفيني.

أظن أن معاملتي كانت فعّالة. كانت هناك لحظات قليلة يعود فيها الشك إلى نفسي. وكنت أتساءل أحيانًا، هل هو المسيح فعلاً الذي أقف أمامه، أم أنني أستند على نجاحاتي المدركة وآراء الآخرين المفضلة عندي؟

على أي حال، كان الآخرون في غاية التشجيع. ربما أحسست بالرضا عن نفسي لأنهم أحسوا بالرضا عني. وربما أحسست بالرضا عن نفسي لأنني تصرفت باحترام في الألعاب الرياضية، وكانت درجاتي مرتفعة بالمقارنة بالآخرين. وربما أصابني الافتخار في طموحات خدمتي، بالمقارنة بالآخرين، وبأهدافهم الروحية المنخفضة. وربما وجدت هويتي في كوني لطيفًا، أو ربما أنني أفضل من معظم الآخرين الذين أعرفهم. لكن، أليس كل من يُرضي الناس شخصًا طيبًا لطيفًا؟ باختصار، ربما ما زلت محكومًا بآراء الآخرين. لكنني كنت أشعر بالتحسن، ولم أكن

مدفوعًا بتحري المزيد. بالقطع لم أكن سأتكلم مع أي أحد آخر عن ذلك الأمر. فلا بد أن ذلك محرج للغاية.

ثم تزوجت بعد ذلك.

صحوة كبرى

كان الزواج بالنسبة لي امتيازًا وبركة. كما كان سياقًا لاكتشاف مذهل. وقد وجدت أن كوني على ما يرام في المسيح، ليس كافيًا بالنسبة لي. عندما تزوجت أولاً عرفت أن الربّ يسوع قد أحبني، لكنني أردت أن تكون لي حياة جديدة ساحرة تمامًا. كنت أريد فيها الحب. وأمكنني في النهاية معالجة بعض الرفض من الآخرين. لكنني شعرت بالشلل لو أنني لم أنل منها الحب الذي أريده. كنت أريد حبًا بلا شروط. لو لم تظن أنني زوج عظيم لتحطمت (وكما قد تخمن، حدث قليل من الغضب).

أدى هذا إلى يقظة ثانية. فأدركت فجأة أنني تحولت إلى خزان محبّة متحرك. شخص فارغ داخليًا وينتظر أن يملأه الآخرون. وكانت زوجتي موهوبة في قدرتها على تقديم المحبة. لكن لم يمكن لأي أحد آخر أن يملأني. أعتقد أنني كنت خزاناً للمحبة، لكن به ثقوب تسريب.

حاولت تنفيذ الأجوبة الكتابية التي عملت في داخلي قبل زواجي، لكنها كانت بلا فائدة. لم تكن كافية. في الحقيقة إنها لم تعد ذات صلة. لقد ذكرتني بأوقات صعبة كنت فيها أفشل في علاقتي بإحدى الفتيات. ظل أبواي يواسيانني قائلين: «إننا نحبك مهما كان الأمر». كنت أستحسن محاولتهما، لكن كما يعلم كل الوالدين والأبناء، لم يفلح الأمر. بالتأكيد كان

أمرًا جيدًا أن يحبني أبواي. فلا بد أن الأمر سيكون أسوأ لو لم يحبني أبواي. لكنني أردت أن يحبني شخص آخر غيرهما.

منذ تلك الأيام، تكلمت مع مئات الأفراد ممن انتهى بهم الأمر إلى نفس الوضع. كانوا واثقين من أن الله يحبهم لكنهم يحتاجون إلى من يحبهم من الناس. أو على الأقل، يحتاجون إلى شيء من الناس. ونتيجة لذلك فإنهم في عبودية محكومون بغيرهم، ويشعرون بالفراغ. فيحكمهم أي شخص أو شيء يؤمنون بأنه يمكنه أن يعطيهم ما يظنون أنفسهم في احتياج إليه.

حقّاً، إن من تحتاج إليه يتحكم فيك.

مواجهة «الخوف من الإنسان»

إن الكثيرين من الذين تحدثت معهم كان لهم صحوة عندما رأوا قوة تحكّم الآخرين فيهم. لقد استيقظوا على وباء للنفس اسمه بلغة الكتاب المقدّس: الخوف من الإنسان. ومع أنهم كانوا عابدين أمناء لله الحقيقي إلا أنهم تحت السطح كانوا يخافون من الناس الآخرين. ليس معنى هذا أنهم كانوا في رعب أو هلع من الغير (برغم أنهم كانوا هكذا أحيانًا)، فإن الخوف في المعنى الكتابي له كلمة أوسع وأشمل. فنسميها خشية الإنسان. لكنها تمتد كذلك إلى التمسك بالخوف وسيادة الواحد على الآخرين وتحكّمه فيهم وعبادة الآخرين وتمجيدهم ووضع ثقة الإنسان في الغير والاحتياج إلى الغير.

ملاحظة إضافية: كما أن كلمة خوف بالمعنى الكتابي لها تعريف أشمل، كذلك كلمة إنسان. فكلمة إنسان في الكتاب المقدّس تشمل الرجل والمرأة

والطفل. وعندما أستخدم التعبير الكتابي خوف الإنسان في هذا الكتاب، فإنني لا أقصد تركيزي على جنس الذكور. إنني أفترض كما يقول الكتاب المقدّس، أن كل إنسان في حياتنا لديه الإمكانية للتحكم فينا.

وبأي شكل تصوغها، فإن خوف الإنسان يمكن تلخيصه بهذه الطريقة: إننا نضع الناس مكان الله. فعوض الخوف الكتابي من الرب نخاف من الناس.

وبالطبع إن هناك أسماءً أخرى للخوف من الناس. ففي فترة المراهقة ندعوه ضغوط الأقران. وعندما نكبر ندعوه إرضاء الناس. ومؤخرًا ندعوه الاعتماد المتبادل. وبهذه اللافتات في الذهن يمكن أن نكون معرضين لخوف الإنسان في كل مكان.

* ألم تتصارع مع ضغوط الأقران؟ إن ضغوط الأصدقاء هي ببساطة كناية عن الخوف من الانسان. فإن كنت قد اختبرت ذلك في صغرك فصدقني أنك ما زلت هناك. قد تكون مخفية وتنكشف بطرق عديدة لدى الكبار البالغين، أو ربما يكون هناك تمويه بنجاحك المبهر (نجاحاتك المدركة).

* هل أنت متزمت بشدة؟ هل تجد أنه من الصعب أن تقول لا عندما تشير الحكمة إلى نعم؟ إنك تحاول إرضاء الناس وهي كناية أخرى عن الخوف من الناس.

* هل «تحتاج» إلى شيء من شريك حياتك؟ هل تريد منه أن يصغي إليك؟ أن يحترمك؟ فكّر جيدًا هنا. إن الله يسر بالقطع عند وجود

تواصل جيد وكرامة متبادلة بين الزوجين. لكن بالنسبة للكثيرين إن الرغبة في تلك الأمور لها جذور في أمر آخر بعيد عن التصميم الذي وضعه الله لمن يحملون صورته. فما لم تدرك بأبعاد الكتاب المقدّس عن الالتزام الزيجي فستصبح الشخص الذي تخاف أنت منه. وسيأخذ شريك حياتك بهدوء موضع الله في حياتك.

* هل تقدير الذات اهتمام حاسم لديك؟ إن هذا، هو أكثر الطرق شيوعًا للتعبير عن الخوف من الغير. إن كان تقدير الذات موضوع متكرر معك فإن الفرص هي أن حياتك تدور حول ما يظنه الآخرون فيك. فإنك تخاف من آرائهم أو توقرها. فأنت تحتاج منهم أن يدعموا إحساسًا بالشخصية أو بالصلاح. تحتاج منهم أن يملأوك بالانتفاخ.

* هل تشعر بأنك قد انكشفت كمحتال؟ يشعر بذلك الكثيرون من رجال الأعمال التنفيذيون ورجال الأعمال الناجحون. إن الإحساس بالانكشاف هو تعبير عن الخوف من الناس. وهذا يعني أن آراء الآخرين خاصة آراءهم الممكنة المحتملة حول فشلك، قادرة على السيطرة عليك.

* هل دائمًا قرارات التخمين الثاني لديك هي بسبب ما قد يظنه الآخرون فيك؟ هل تخاف من أن ترتكب أخطاءً ربما تجعلك تبدو سيئًا في عيون الآخرين؟

* هل تشعر بالفراغ أو التفاهة أو الضآلة؟ هل يجتاحك «جوع عاطفي»؟

فلو أنك تحتاج أن يملأك الآخرون فلا بد أنهم يسيطرون عليك.

* هل تشعر سريعًا بالإحباط؟ فإن كان كذلك، فلا بد أن الناس وآراءهم يحددونك؛ أو باستخدام لغة الكتاب المقدّس، فإنك تمجّد آراء الآخرين إلى حد أنهم يتحكّمون فيك.

* هل تكذب، خاصة الكذب الأبيض البسيط؟ ماذا عن التورية حيث يبدو أنك لا تنطق الكذب بفمك؟ إن الكذب وكل الصور الأخرى من المعيشة في الظلام هي عادة طرق تجعلنا نبدو في شكل أفضل أمام الآخرين. كما أنها تعمل على تغطية الخجل والخزي أمامهم.

* هل تشعر بالغيرة من الآخرين؟ إنك بذلك محكوم بهم وبما يملكون.

* هل يجعلك الآخرون غاضبًا أو محبطًا؟ هل يصيبونك بالجنون؟ إذا كان كذلك، فلا بد أنهم يهيمنون على مركز حياتك.

* هل تتحاشى الناس؟ لو كان كذلك، فمع أنك قد لا تقول إنك محتاج إلى الناس، إلا أنهم يسيطرون عليك تمامًا. ألا يسيطر الخوف من الناس على الناسك؟

* أليست كل أنواع الحمية الغذائية (الريجيم)، حتى وإن كانت ظاهريًا تحت اسم الصحة، مكرّسة لإثارة إعجاب الآخرين؟ إن الرغبة في اكتساب مديح الناس هي إحدى طرق تمجيد الناس أكثر من الله.

* هل جانبت كل هذه الملاحظات الصواب؟ عندما تقارن نفسك بالآخرين فهل تشعر بالرضا عن ذاتك؟ ربما أخطر صور الخوف من الناس هي الخوف الناجح من الناس. حيث يظن الإنسان

أنه قد نجح في ذلك. فلديه أكثر مما لدى الناس. ويشعر بالرضا عن الذات. لكن تظل حياته محددة بالآخرين أكثر مما هي بالله.

مشكلة عامة شائعة

لا تظن أن هذه المشكلة تخص النمط الخجول من الناس. أليس الإنسان الغضوب أو الذي يحاول أن يرعب الناس محكومًا بالآخرين؟ فتكفي وجود أي صورة من أنواع المزايدات. ماذا عن رجل الأعمال التنفيذي الذي يسعى لأن يكون أكثر إنتاجًا من زميله لكي يسبقه في المكانة؟ إن مناورات الغرور اللانهائية في مجالس إدارة الشركات هي نسخة عدوانية من الخوف من الإنسان. وهل تظن أن الرياضي النجم البارز شديد الثقة بنفسه هو فوق مجال البحث عن آراء المعجبين والنقّاد الطيبة؟ إن التأكيد العدواني بأنك لا تحتاج إلى أي إنسان هو دليل على الخوف من الإنسان، معادل لدليل الأمثلة الخجولة التي رأيناها؟

ألا يشملك ذلك؟ لو كان لا، فتأمل في كلمة واحدة: الكرازة. هل لم تشعر على الإطلاق بالخجل من أن تعلن إيمانك بالمسيح لأن الآخرين قد يظنون أنك إنسان أحمق متهور غير عقلاني؟

إن الخوف من الناس جزء من نسيجنا البشري حتى أننا علينا أن نرجع نبض من ينكر ذلك.

إننا عند الطرف البعيد لثورة تتضمن عشرات الكتب عن الاعتمادية المتبادلة. ولسنوات طويلة كان كل كتاب يحمل عنوان الاعتماد المتبادل هو الأفضل. فمثلاً كتاب «لا مزيد من الاعتمادية» قد حقق للكاتبة ميلودي

بيتي الملايين. فقد لمست موضوعًا مهمًا للكثيرين، إلا أنه كان الخوف من الإنسان في ثوب العالم. تكلمت «ميلودي بيتي» عن المشكلة بشأن الوقوع تحت سيطرة الغير أو الاعتماد على الغير، وكانت وصفة العلاج لديها هي المزيد من الحب نحو ذاتك!

البحث عن إجابة كتابية من الكتاب المقدّس

يبدو هذا المدخل ضحلاً بالنسبة لعالم الإنجيل، لذلك استجاب مسيحيون كثيرون بقولهم إن أفضل علاج للاعتمادية المتبادلة هو أن تعرف أن الله يحبك أكثر مما تتصور. إن الله يمكنه أن يملأك بالحب فلن تحتاج إلى أن تمتلئ من الآخرين.

هذا بالطبع أفضل من الدعوة إلى مزيد من الحب نحو ذاتك. وقد يبدو هذا مثيرًا للجدل، حتى مع أن هذه الإجابة ناقصة. إن محبة الله يمكن أنت تكون إجابة عميقة لأي صراع بشري بل قد نستخدمها أحيانًا بطريقة تجعلها نسخة مخففة من حقيقة غنية بعمق. فأحيانًا مثلاً، بسبب تقصيرات فينا وليس في الكتاب المقدّس، هذه الإجابة قد ينقصها الدعوة إلى: «**حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ** (الآخرين) **الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِم** (أنفسكم)» (فيلبّي٢:٣)؛ أو أنها تتجاهل التوبة الشخصية. وأحيانًا تسمح لنا ولاحتياجاتنا أن نكون في مركز العالم وأن يصير الله هو المسؤول عن كل مهمة نفسية وتعطيه مهمة تضخيم تقدير الذات.

علينا أن نتقدم في فحص الأسفار المقدّسة حتى يمكننا بالحقيقة استيعاب الخبرة العالمية الشاملة للخوف من الناس. وغرض هذا الكتاب هو اتخاذ الخطوة التالية. فعلى الطريق سنقابل أشخاصًا مثل إبراهيم وبطرس

ممن انزلقوا إلى هوة الخوف من الإنسان وأخذوا معهم آخرين. وسنبحث عن الطرق الرقيقة التي يظهر فيها الخوف على السطح في حياتنا. وسنرى أن الكتّاب الذين تكلموا عن الاعتمادية المتبادلة كانوا على حق. فهذا الأمر وباء قومي. ثم سوف نستكشف طرق الله.

إليك بعض الموضوعات التي سوف نستكشفها:

* لكي ندرك فعليًا جذور الخوف من الناس، ينبغي أن نبدأ بطرح الأسئلة المناسبة. فمثلاً، بدلاً من أن نسأل: «كيف يمكن أن اشعر نحو ذاتي بشكل أفضل ولا يحكمني رأي الناس؟» السؤال الأفضل هو: «لماذا اهتمامي الزائد بتقدير الذات؟» أو: «لماذا ينبغي أن يكون هناك من يظن أنني عظيم، حتى لو كان الرب يسوع؟» هذه موضوعات سنبحثها من عدة زوايا خلال هذا الكتاب. لكن الإجابة تتضمن حقيقة أننا نحتاج إلى طريقة للتقليل من التفكير في ذواتنا. سنتكلم عن السبب والكيفية.

* العلاج الجذري للخوف من الناس هو الخوف من الرب أو خشية الرب. يجب أن يكون الله لديك أكبر من الناس. هذا الترياق يستغرق سنوات لكي نوجده. في الحقيقة إنه يستغرق منك كل حياتك. لكنني أرجو أن يتم الإسراع في هذه العملية وتغذيتها بكل ما سندرسه معًا في هذا الكتاب.

* بالنسبة للناس الآخرين، مشكلتنا أننا نحتاج إليهم (من أجل أنفسنا)، أكثر من أننا نحبهم (من أجل مجد الله). المهمة التي يضعها الله

علينا هي أن نحتاج إليهم أقل ونحبهم أكثر. وبدلاً من البحث عن طرق استغلالهم، سنسأل الله ما هو واجبنا نحوهم. هذا المنظور لا يأتي بشكل طبيعي لأي واحد فينا، والكثرون منا يلزمهم أن ينظروا إلى هذه الحقيقة من عدة زوايا قبل أن يمكنهم أن يروها. لكن اعتقاد هذا الكتاب أن هذه الحقيقة هي واحدة من المفارقات الإلهية للأسفار المقدّسة. فإن مسار الخدمة هو الطريق إلى الحرية.

القسم الأول

كيف ولماذا نخاف من الآخرين

القسم الأول من هذا الكتاب يستكشف مفاهيم الكتاب المقدّس عن الخوف من الإنسان لكي يساعدك على القيام بثلاثة أمور:

* الخطوة الأولى: اعرف أن الخوف من الإنسان هو موضوع كبير في كل من الكتاب المقدّس وحياتك الشخصية.
* الخطوة الثانية: حدد أين اشتد خوفك من الإنسان، من خلال أشخاص في ماضيك.
* الخطوة الثالثة : حدد كيف يشتد خوفك من الناس بواسطة افتراضات العالم.

الفصل الثاني

الناس سوف يروننني

«**خَشْيَةُ الإِنْسَانِ** (الخوف من البشر) **تَضَعُ شَرَكًا** (فخ منصوب)، **وَالْمُتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ يُرْفَعُ** (يأمن)» (أمثال ٢٩:٢٥)

إن كان الخوف من الناس مشكلة عالمية عامة مثلما تبدو، فمن المتوقع أن تجد الأسفار المقدّسة مملوءة بأوصاف غنية وتعليم عميق عن هذا الأمر. وهذا بالتحديد ما نجده. إن أحد الأسئلة السائدة في الكتاب المقدّس هو من هو الذي تخشاه وتخافه (تحتاج إليه أو يتحكم فيك ويسيطر عليك)؟ هل تخاف الله أم الناس؟ تقدّم لك الأسفار المقدّسة ثلاثة أسباب أساسية لماذا نخاف من الآخرين وسندرس كل سبب منها منفردًا بدوره.

١- إننا نخاف من الناس لأنهم يمكنهم كشفنا وإذلالنا.

٢- إننا نخاف من الناس لأنهم يمكنهم رفضنا أو السخرية منا أو الاستهزاء بنا أو احتقارنا.

٣- إننا نخاف من الناس لأنهم يمكنهم مهاجمتنا أو ظلمنا أو تهديدنا.

هذه الأسباب الثلاثة فيها شيء واحد مشترك وهو: أنها ترى الناس بحجم «أكبر».(أي أنهم أقوى وأهم) من الله. وبدافع الخوف المتولد داخلنا نعطي الآخرين القوة والحق في أن يخبروننا بما ينبغي أن نشعر به ونفكر فيه ونعمله.

الخطوة الأولى: اعرف أن الخوف من الناس موضوع كبير في كل من الكتاب المقدّس وحياتك الخاصة.

الخوف الذي يأتي من الخزي والعار

أحد أسباب خوفنا من الناس هو أنهم يمكنهم كشفنا وتعريتنا وإذلالنا. كان هذا واضحًا منذ البداية. فبعد خطية آدم وحواء مباشرة «**فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ**» (تكوين٣:٧). هذه هي المرة الأولى لظهور الخوف من الآخرين. إدراك الخزي. التعري والانكشاف والحاجة الماسة للغطاء أو الستر أو الحماية. فتحْت أنظار الله القدوس والآخرين، يمكن لله أن يرى العيب الذي فينا، كما يمثل الآخرون تهديدًا لنا لأنهم يمكنهم أيضًا أن يروا ذلك. فيمكن لآرائهم المتصورة أن تسود على حياتنا. فسرعان ما تصبح القصة التي في الكتاب المقدّس قصة فيها يتطلّع الإنسان بذعر إلى الاختباء وحماية النفس من عيني الله والآخرين.

الخجل من الخطية

كان واضحًا من نظرة الشخص الآخر. فبعد ذلك جاءت النظرة الفاحصة من الله. كان كل من آدم وحواء في غاية الاضطراب حتى أنهما سعيا للاختباء، وهو الأمر الذي مازلنا نفعله اليوم. بالتأكيد إن آدم وحواء علما أنهما عريانان قبل الخطية، وهناك كل سبب وجيه للاعتقاد بأنهما في حالة البراءة والطهارة الأولى كانا ينظران أحدهما نحو الآخر بإعجاب بالشكل الجسدي. لكن هذه النظرة اختلفت. فقد أدركا عريًا أعمق، أو على الأقل ما لاحظاه أحسا بأنهما أكثر تعريًا. فقد صارت عينا الآخر ضوءًا ثاقبًا نافذًا تنفذان خلال الجسد والروح لتريا قبح الخطية. إن الإحساس بالتعرّي

أمام شخص أجنبي غريب تمامًا هو الشعور الوحيد المتبقي. فكان الآخر يراهما وما رآه كان مخزيًا ومخجلًا. وتحول الإحساس بالبراءة والجمال إلى غربة وتنافر.

حاولا التغطي. لكن حتى جلود اليوانات لم تكن قادرة على تخفيف الإحساس العميق بالخجل والخزي. إن معرفة أحدهما للآخر صارت لعنة. وما كان قبلاً لقاء محبة للعيون صار الآن تطفلاً وعيبًا.

عند لحظة وقوع خطية آدم، صار الحجر الأساسي في خبرة الإنسان هو : «ماذا يظن الآخر عنّي؟»، «وماذا يظن الله عنّي؟»

وبداية من سفر التكوين، صار العُري أو الخجل من التعرّي والانكشاف أمام الغير، واحدة من اللعنات الكبرى في الثقافة العبرية. كانت لعنة عميقة لأنها رمز للعُري والخجل الروحيين العميقين مما يتطلّب تغطية وسترًا. كما ترمز بعيدًا عن ستر الله لنا نظل عراة أمامه. لقد لعن نوح نسل حام لأنه تطلع ونظر عورة أبيه وربما ضحك على أبيه وسخر منه. وعندما كان أيوب في وسط محنته الكبرى وبؤسه العظيم، تكلم من خوفه وصرخ: «**وَقَالَ:عُرْيَاناً خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَاناً أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ**» (أيوب١:٢١).

فهو لم يكن فقط يفكر في فكرة الموت، لكنه أحس بشدة بأن خجله انكشف وأنه كان تحت اللعنة. أما عاموس النبي فاستخدم نفس الصورة عندما تنبأ عن يوم الدينونة العظيم الذي سيأتي على إسرائيل فقال:»**وَالْقَوِيُّ الْقَلْبِ بَيْنَ الأَبْطَالِ يَهْرُبُ عُرْيَاناً فِي ذلِكَ الْيَوْمِ**» (عاموس ٢:١٤-١٦).

الخجل من كونك ضحية أو تعرضت لإيذاء من أحد

خلال التاريخ الروحي للإنسان برز شكل آخر ثانٍ من الخجل والخزي. العار الأصلي هو ببساطة نتيجة لخطيتنا. فهو نتيجة أن نكون نجسين عرايا أمام الله القدوس ونختبره عادة في علاقتنا مع الآخرين. لكن فوق الخجل من الخطية ظهر شكل آخر من الخزي زاد من كثافة العار الأصلي. إنه نتيجة لتعرض الإنسان لخطأ من الغير ضده أو أن يكون ضحية أو ينال الإيذاء من الغير.

هذا الشكل الثاني من الخجل والخزي يمكن أن يصيبنا عندما نتلامس مع شيء نجس. فمثلاً تعرضت دينا للاغتصاب من شكيم فتنجست (تكوين٣٤:٥). هذا لا يعني أن دينا مسؤولة عن ما حدث لها. النقطة هنا هي أنها برغم أنها لم تخطئ إلا أن هناك إحساسًا لديها بأن طهارتها قد تلطخت.

لو عاشر (أو اغتصب) رجل بامرأة رجل آخر فإن الزوجة البريئة يصيبها الخزي والعار، حرفيًا تتعرى بسبب خطية إنسان آخر (لاويين ٢٠:١١، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١). الابن العاصي يجلب العار والخزي على والديه (أمثال ١٩:٢٦). وحتى الهيكل يتدنس بسبب دخول إنسان نجس فيه (مزامير ٧٩).

ويحدث شيء مماثل عندما يلمس أحد بني إسرائيل جثة حيوان نجس. ومن يمس هذا الحيوان حتى ولو بالخطأ أو المصادفة ينبغي أن يغسل ثيابه ويعتبر نجسًا حتى المساء (لاويين ١١:٢٤).

ولذلك فهناك طريقتان لتصير عريانًا. الأولى هي العُري من الذات بسبب الطبيعة الخاطئة وبسبب الخطية الشخصية. الطريقة الثانية هي العُري المفروض علينا من الآخرين والذي نختبره بسبب خطية الغير. وللأسف إن الخجل الناتج عن وقوعك ضحية يتطابق مع الخجل الذي تشعر به من خطيتك الشخصية حتى وإن اختلفت الأسباب. يشعر الضحية بالإحراج والذل والعار بسبب خطايا آخرين ضده. فيشعر بأنه نجس وعريان وبلا سبيل إلى الستر. فيشعر كما لو أنه تحت أبصار كل العيون المحدقة فيه من الآخرين، ويخاف من الناس . لكن من جهة الفكر اللاهوتي هناك فرق كبير بين هذين النوعين.

* عار الخطية شيء نجلبه على أنفسنا. خجل وخزي الضحية يجلبه علينا الغير.

* كل واحد يختبر عار الخطية لكن ليس كل واحد يجرب الخجل والخزي الناتج عن كونه الضحية.

الخجل والخزي نتيجة اعتداء جنسي هو أفضل مثال لخجل الإيذاء. فالمرأة التي تتعرض للانتهاك الجنسي تشعر بالإحباط بسبب إدراكها أنها تحت أبصار الله والناس.

فهذه فتاة تقول:» أشعر كأن هناك لافتة مضيئة فوق جبيني تقول إن أخي اغتصبني». وهي بذلك يمكن أن تعبر عن خجل الآلاف من الأُخريات.

وتقول ضحية أخرى: «إنني أخاف أن أفتح فمي أمام الناس. فإن فتحت فمي فسيتدفق منه لعاب أسود».

من الواضح أن هذه التعبيرات الموجعة للقلب نتيجة لخجل التعرض للإيذاء، لكن ينبغي أن نتذكر أن مثل هذه الخبرات لا تستبعد خجل وخزي الخطية التي هي حالة عامة. عادة ما يزيد خجل الإيذاء من خجل الخطية الموجود من قبل. وقد قابلت حالات قليلة جدًا لأفراد يصارعون مع خجل الإيذاء فقط. حقًا، إن هؤلاء الضحايا يحتاجون إلى إرشاد كتابي في كيفية معالجة خطاياهم الخاصة، إلى جانب تجاربهم مع التعرض لإيذاء الخطية من الغير. أحيانًا يكون لديهم خطايا يلزمهم الاعتراف بها. وأحيانًا ينبغي أن يتعلّموا أن يصدّقوا وعد غفران الخطايا. وفي كلتا الطريقتين، يبدو من القسوة أن نتجاهل خجل الخطية لأننا أمام الله يجب علينا جميعًا أن نتعامل مع ذلك، وعند مستوى معين نجد أن الضمير يعرف ذلك. ولذلك، ففي المناقشة التالية عن الخجل سأضم النوعين معًا من عار الخطية وخجل وخزي الإيذاء. وسأفصل بينهما في وقت لاحق. لكن الآن نتأمل الأمثلة التالية عن الخجل والخزي على أنه عار الخطية، وفي بعض الأحيان يزداد كثافة وشدة بسبب الإيذاء.

الخجل والخزي في عالم اليوم

أين تجد العار في ثقافة العالم الدنيوي. تطلّع إلى أرفف الكتب. إن الخجل والخزي موجود في كتابات الآداب المعاصرة على حافة العصرية ولعله في خطر- لا نقصد التورية - من الإفراط في التعرض له. كتاب «قناع الخجل» للكاتب ليون ورمسر، و«الخجل والكبرياء» بقلم دونالد ناثانسون، و«لا مكان للاختباء» بقلم مايكل نيكولاس: هي بعض عينات المناقشات الفنية حول الخجل والخزي.

ربما لم تسمع عن هذه الكتب لكنك على الأرجح متآلف مع شكل الخجل والخزي الأقل معرفة وهو تقدير الذات. فالخجل والشعور بالخزي أمام الله والآخرين يطفو على سطح ثقافتنا كتقدير قليل للنفس، وكلاهما متأصلان جذورهما في خطية آدم. وهما محكومان بـآراء الآخرين ويتضمنان «**عدم الإحساس بالرضا عن الذات**». الفرق الوحيد هو أن كلمة الخجل والخزي ما زالت محتفظة بفكرة خجلنا وخزينا أمام الله وكذلك أمام الآخرين، أما احترام الذات فنراه مشكلة بيننا وبين الآخرين، ومشكلة داخل ذواتنا. إن قلة احترام الذات هو نسخة من الخجل أو التعرية في الكتاب المقدّس. إنه خجل وخزي دنيوي.

عندما تدرك أن «الخجل والخزي» متبادل مع «قلة احترام الذات»، يصبح من الصعب أن تجد كتابًا لا يناقش ذلك. فمن كتاب جلوريا شتانيم «ثورة من الداخل»: كتاب عن احترام الذات»، إلى كل كتاب في المدارس الإبتدائية في الولايات المتحدة، يبدو أن أمريكا قدرت أن قلة تقدير الذات هي جذر وأصل كل مشكلة. فعندما حضرت أول اجتماع لمجلس الآباء قيل لي إن الموضوع الأساسي في المدرسة الأولية الابتدائية التي فيها ابنتي هو دعم احترام الذات وصفق لهم الآباء طويلاً. فقد آمن كل واحد بأن ذلك يخاطب لب مشكلة الطفولة.

أما أنا فلم أصفق. بل بالعكس فقد كان علينا أنا وزوجتي، أن نقرر إن كنا سنُبقي ابنتنا في تلك المدرسة. أليس التعليم عن تقدير الذات والتركيز على الذات سيجعل المشكلة أسوأ؟ كانت تلك تجربتي بالطبع. فعندما حاولت أن أرفع تقدير الذات عندي أدى ذلك إلى إدراك مؤلم

بالذات، ومزيد من الانعزال الفردي. حتى من منظور دنيوي، فإن تعليم تقدير الذات يبدو مشبوهًا. ألا نسبب لأولادنا شرًا بأن نمطرهم باستحسان غير مكتسب؟ إن احترام الذات الذي تحاول المدارس أن تمنحه يأتي أولاً كشخص يطور قدرة نامية لمواجهة مهام صعبة ومخاطر الفشل ويتغلب على العوائق. لا يمكنك ببساطة أن تنقل احترام الذات إلى شخص آخر. إن افتراض أن الآخرين يمكنهم التحكم في نظرتنا لأنفسنا هو ما يوجد قلة تقدير الذات في المقام الأول. لكن حتى مع كل تلك الطرق المجنونة التي تحاول الكتب الشهيرة أن تضخم بها تقدير الذات لدينا، إلا أن فيها جميعًا رسالة كتابية من الكتاب المقدّس. إن الاهتمام الضخم بتقدير الذات يوجد لأنه يحاول أن يساعدنا في مشكلة حقيقية. المشكلة هي أننا لسنا بالفعل على ما يـرام. ليس هناك سبب ينبغي معه أن نشعر بالعظمة نحو أنفسنا. فعندنا بالحقيقة نقص فالدعائم الضئيلة لتعليم تقدير الذات ستنهار في النهاية، حيث يدرك الناس أن مشكلتهم أعمق بكثير. المشكلة في جزء منها هي العري أمام الله.

هناك طرق أخرى يطفو بها الخجل والخزي على السطح.

* حتى مع كل الإباحية والعُري الذي يشكل جزءًا من ثقافة الغرب (والشرق)، يظل هناك تحريم على العري. فلماذا؟ لأنها رمز لاحتياجنا للستر الروحي العميق. فالملابس التي نرتديها هي دعم لا ينكر لهذا التعليم الكتابي.

* يمكننا أن نغنّي من كل القلب عندما نكون بمفردنا، نقود السيارة متجهين للعمل. لكن لو حدث أن سمعنا أحد الناس فسنصاب بالإحباط.

ولا يهم إن كان الشخص الذي رآنا مجهولاً تمامًا، ولن يراه أحد مرة أخرى. لقد رآنا وسيظل يذكرنا بالخوف العميق من أن ننكشف وننفضح.

* هناك قواعد غير مكتوبة لكنها مفهومة عن إلى أي مدى يمكنك التطلع في شخص ما. فتلاقي العينين السريع فيه تهذيب. لكن إطالة النظر غير مهذبة ويمكن أن تثير الإحراج أو حتى العداوة. تشكو المرأة من أن الرجل يعاملها كشيء حين يحدق فيها، فتشعر كأنه يجردها من ملابسها.

* حتى الهلوسة تحكي القصة «تحت الأنظار». ففي كل أنحاء العالم تكون الهلوسة والتخريف من تثبيت العين على المخاوف، فالعيون تلاحقك، عيون نافذة، عيون خطيرة.

* هل لاحظت مدى تركيز الكنيسة على الأمانة والصراحة والوضوح؟ يلزمها أن تكون في امتناع مستمر، لأننا لا نريد أن نكون واضحين فنفضل أسوار حماية الذات حتى كمسيحيين.

الاختباء والتجسس

هناك تشبيه شائع هو أن الناس اعتادوا على وصف أنفسهم مع اختلافهم، بتغطية الوجه عند الخجل. فنحن ناس خلف الجدران. «الجدران بسمك عشرة أقدام فلا يمكن لأحد أن يدخل منها. ولا يمكنني أن أخرج» هذه الأغطية تعزلنا لكنها تحمينا كذلك من عيون الناس. عمليًا يمكن بناء هذه الأسوار بآلاف المواد المختلفة.: كالمال والشهرة والرياضة

والإنجازات والوظيفة والمشغولية. إلا أنه لا يُمكن لأي شيء من صنع الإنسان أن يغطي الخجل بشكل حقيقي.

هناك سمة مدهشة لعظم هذه الأسوار هي الطريقة التي تتيحها لنا لكي نرى الآخرين. فالأسوار السميكة يبدو فيها شقوق صغيرة أو فتحات نوافذ تسمح لنا بأن نرى الخارج. إننا نريد أن نختبئ، لكننا نريد كذلك أن نستطلع إن الاستطلاع قد يكشف ضعف الآخرين بحيث يمكننا أن نصدق أنهم لا يختلفون عنا (وربما ليسوا بمثل صلاحنا). لا بد للخزي من رفيق. ومن جهة أخرى، قد تكشف شخص قوي يمكن أن يكون بطلاً. فمع وجود بطل ربما نشعر بعزلة أقل ويمكن أن ندخل إلى علاقة خيالية آمنة.

الخيال هو زمن ماضٍ شائع خلف هذه الأسوار. فمثلاً، تحكمت بولا في عالمها بالخيال، لكنك لن تعرف ذلك. فهي سيدة مسيحية وحيدة وناجحة، تشغل وظيفة كبيرة بكثير من المسؤوليات والكثير من دعم المدير التنفيذي. كانت نشيطة في الكنيسة محبوبة من الجميع. لكنها في المساء تعيش مع زوج بطل في الخيال ومع أطفال في الخيال. أحد أسباب تنميتها لخيالها هو أنه يعطيها ما تريده. سبب آخر هو أنه يعطيها علاقات بدون مخاطر معرفتها.

بيل يتبع صراعًا مماثلاً: «إنني أريد تلبية احتياجاتي لكنني لا أريد أن أنكشف. لا أريد أن يعرفني أحد» لذلك فلكي يخلق عالمًا يبدو آمنًا انغمس في الأفلام الإباحية وفي ممارسة العادة السرية.

إنني أعترف أن الخيال كان جزءًا من عالمي الخاص أيضًا. مثال حديث لذلك، إن جسمي متناسق من الوسط فما فوق، أما القدمان

فلا. ظللت لأعوام كثيرة أمارس السباحة. وبالمصادفة أن زوجتي شارون متناسقة في كل شيء وتحب الرقص، وأعتقد أن هذا كان مهينًا لي.

هل تعلم ماذا حدث آخر مرة رجعنا بعد حفل إلى البيت، حيث حاولت أن أرقص مع زوجتي؟ بدأ عقلي في التجول: فبدأت في تخيل أنني راقص رائع. تخيلت أنني أمضي إلى قاعة الرقص كأي شخص عادي وفجأة أصبحت مثل جون ترافولتا. اندهش الناس وحسبت زوجتي أنني عظيم. هل وصلتك فكرتي.

إنه أمر هزلي أو هزيل، اعتمادًا على نظرتك له .النقطة هي أن خيالي غير الضار نسبيًا مملوء بالخوف من الناس والخجل والكبرياء. إنه الخوف من الناس لأنني مستهلك بما قد يظنه الناس عن بلاهتي. إنه الخجل، خاصة النسخة الدنيوية منه، لأنني لا أشعر بالرضا عن نفسي. إنني أشعر بأنني مكشوف أمام الآخر معتقدًا أنه ليس سوى إنسان أحمق فعلاً يمكنه أن يكون بائسًا على منصة الرقص. إنه كبرياء لأنني أردت أن يدركوا أنني عظيم، على الأقل في أحد الأمور.

هذا هو تناقض تقدير الذات. فقلة تقدير الذات معناها أنني أبالغ في تقدير ذاتي، وأنني كثير التفكير في نفسي وأنني أدور حول ذاتي، وأنني شعر أنني أستحق ما هو أفضل مما هو عندي بالفعل. وسبب إحساسي بأنني سيء هو أنني أطمح إلى ما هو أفضل. إنني أريد بضع دقائق من العظمة. إنني الفلاح الذي يريد أن يكون ملكًا. عندما تكون تحت سيطرة قلة احترام الذات فإن هذا مؤلم، وبالتأكيد أنك لا تحس بالفخر والكبرياء. لكنني أؤمن أن هذا هو الجانب المظلم الهادئ من الكبرياء، كبرياء الإحباط.

يقينًا إن قلوبنا مشغولة عندما نختبئ ونستطلع.

هل تساءلت لماذا تكتسب بعض البرامج التليفزيونية أو المجلات شعبية كبيرة؟ ألا تقدم لنا فرصة صغيرة للتجسس على الآخرين؟ إنها تتيح لنا أن نرى العار الذي في الآخرين وهذا يجعل ما لدينا طبيعيًا عاديًا. أو أنها قد تتيح لنا أن نتوحد مع أبطالنا فنشعر لفترة أننا أفضل.

إن ذلك يبدو كما لو أن الإنسان المعاصر هو شخص متلصص متطفل. فبينما هو في تلصصه يراقب شخصًا آخر من خلال ثقب المفتاح، فإن هناك من يراقبه كذلك، والذي بدوره يراقبه ثالث، وهكذا.

ساعة منتصف الليل

في بدايات القرن التاسع عشر، قام فيلسوف دانمركي اسمه سورين كيركجارد، بمراقبة الناس الذين تتكون حياتهم من الاختباء والتجسس. وبدلاً من الاختباء خلف جدران استخدموا أقنعة.

ألا تعرف أنه تأتي ساعة منتصف الليل حين يخلع كل واحد قناعه؟ هل تعتقد أن الحياة ستظل دائمًا تحت السخرية والخديعة؟ هل تظن أنه يمكنك أن تتسلل بعيدًا قبل منتصف الليل بقليل لتتجنب ذلك؟ أم ألست خائفًا من ذلك؟ لقد رأيت أفرادًا في الحياة الحقيقية الذين خدعوا الناس لفترات طويلة وفي النهاية لم يمكن لطبيعتهم الحقيقية أن تكشف ذاتها. ورأيت أفرادًا يلعبون لعبة الاختباء لفترة طويلة حتى أنهم في النهاية وفي جنون، قاموا وبشكل مقزز بـالتطفل على الآخرين لمعرفة أفكار أسرارهم والتي نجحوا في إخفاءها بفخر حتى الآن.[1]

1 From ''Either/Or,'' in *A Kierkegaard Theology,* ed. Robert Bretall (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1946), 99.

إنه على حق. كل يوم هو يوم للاختباء بالأقنعة (مثل الاحتفال بيوم الـ Halloween). إن وضع الأقنعة هو جزء عادي منتظم من طقوسنا الصباحية اليومية، تمامًا مثل تنظيف الأسنان بالفرشاة وتناول طعام الإفطار.

إن هذا التخفي تحت قناع ليس احتفالاً. فتحت الأقنعة هناك أشخاص في رعب من كشف القناع، وبالحقيقة إنه في أحد الأيام سوف يتم إزاحة الأقنعة وكل الأغطية الأخرى، فسيكون هناك إزاحة النقاب إلى الأبد. لكن ليست العيون هي ما ينبغي أن نخاف منها، فالآخرون لا يختلفون عنا. ويشير كيركجارد إلى خوف أعمق، الخوف من عيني الله. إن كان نظر الإنسان يوقظ الخوف في داخلنا، فكم بالحري نظر الله. وإن كنا نشعر بالتعري أما الناس، فلا بد أن نشعر بالانهيار أمام الله.

إن التفكير في هذه الأمور يصيبنا بالإحباط فترجف قلوبنا عند التفكير، ونعمل كل شيء لتجنب ذلك. أحد طرق تجنب عيني الله هو أن نحيا كما لو أن الخوف من الآخرين هو أعمق مشكلة لدينا، وأنهم هم الكبار وليس الله. هذا بالطبع ليس الوضع. إن الخوف من الناس غالبًا هو نسخة أكثر وعيًا من الخوف من الله. إنما كونك أكثر وعيًا وإدراكًا للخوف من الآخرين هو ظاهرة حقيقية . فنحن نخاف فعليًا من أفكار الآخرين وآرائهم وأفعالهم. ولكن تحت هذا، نخفي أفضل ما يمكن وهو الخوف الشديد من الله. لاحظ مثلاً نسخة الأقنعة الكتابية التي يصفها كيركجارد.

«فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ: يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ، لاَ تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلاَدِكُنَّ، لأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُّدِيِّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ. حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا؛ وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا» (لوقا ٢٣:٢٨-٣٠).

عندما يجيء المسيح مرة أخرى، سيفضل أولئك العرايا أن تغطيهم صخور جبال أورشليم عن أن يكونوا مكشوفين أمام النظر المقدّس لله.

إجابة اللّه

إن الله لديه بالتأكيد إجابة عن هذا الخوف. وبعد قليل سندرسها بأكثر تفصيل. الكتاب المقدّس هو قصة ستر الله لأعدائه العرايا، وإدخالهم إلى حفل العرس، ثم يتزوج تلك النفوس بدلاً من أن يهلكها. وداود، إذ عرف ذلك الخبر السار القادمة يقول: «**يَا رَبُّ، قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وعَرَفْتَنِي**» (مزمور ١٣٩:١). إن نظر الله الذي هو لعنة للعريان، كان بالنسبة له بركة. إنه حماية لمن قد غُفر ذنبه وسُترت خطيته.

لكن الخوف من الله قد يكون ظاهرًا ولسبب جيد. لأن من سترهم بر يسوع هذا الخوف لن يكون خوفًا من أن يسحقوا. لكنه محاكاة لخوف داود (مزمور١١٩: ١٢٠؛ أو إشعياء ٦)؛ فإذ عرف الواحد منهما أنه خاطئ ارتعب أمام الله القدير. ربما يكون خوفًا مصحوبًا بوجود خطية لم يتم الاعتراف بها. وقد يكون خوفًا مصحوبًا بنقص الثقة في وعود الله. وربما يكون خوفًا من الشعور بالنجاسة كنتيجة للوقوع ضحية لخطية طرف آخر ضد هذه النفس. طالما أننا خطاة سيكون الخجل تجربة مألوفة لدينا. إننا جميعًا نعرف المعيشة خلف الأسوار والأقنعة.

تبدو الإجابة بسيطة. تذكّر أنـه بموت يسوع وقيامته وصعوده ومن خلال الإيمان، سترك ببره. وقد أزال خجلك وخزيك. لعل هذا هو التعليم المحرر الوحيد الذي يحتاجه الإنسان الخائف. إن خبرتي الشخصية وفي المشورة تؤكد أن هناك أوقاتًا كثيرة يحتاج فيها الحل إلى أكثر من تذكُّر أن يسوع مات من أجلنا. إنني لا أقول إن إنجيل يسوع

ليس كافيًا. ما أقصده هو أن هناك تعاليم ضمنية في الإنجيل تحتاج الاهتمام. فمثلاً، من أي شيء يلزمنا أن نتوب؟ هل أحب الآخرين في اسم يسوع أم أنني أكثر اهتمامًا بأن أحمي نفسي منهم؟ كيف يمكنني أن أقلل التفكير في نفسي؟

هناك المزيد يمكن أن نقوله عن معالجة الكتاب المقدّس للعار والخجل والخزي، لكنني سألخّص أين نحن الآن؟ إن المنظور الكتابي الأول عن الخوف من الناس هو أنه نتيجة عن العري الذي يأتي من الخطية. ولأن الخطية ما تزال داخلنا فإننا نجرب الإحباط والخجل والشعور بالانكشاف والتجرد. وكنتيجة لذلك، نحاول أن نحمي أنفسنا ونتجنب نظرة الآخرين. المشكلة النهائية تبدو أنها نظرة الآخرين نحونا، لكن في الواقع المشكلة داخلنا وبيننا وبين الله. ضغوط الأصدقاء والأقران تجعلنا لا نرى هذا الأمر. فالمشكلة النهائية ليست هي نظرة الآخرين. فنحن نقسم ذلك تحت عنوان أكبر عن الخوف من الآخرين لأن هذه الخبرة هي أوضح عندما نوجد في حضرتهم. فمثلاً، إن كانت قاعة المدرسة الثانوية فارغة، أو إن كان نائب المدير قد قال لي بالتليفون إنني ربحت الجائزة، لما أصابني الإحباط. إن وجود الآخرين يتركنا نشعر بالتعرية. وبرغم أن الشعور هو أن الآخرين يجردونني من الثياب، ففي الواقع إننا نحمل الخجل معنا طول الوقت. فالآخرون يحفزون وجود الخجل.

إن جذور الخوف من الناس الناتج عن الخجل تكمن في علاقتنا بالله. ففي النهاية نقف تحت بصره الثاقب النافذ المقدّس. وعندما ندرك بشكل خاص أننا قد انتهكنا بر الله، فإن تلك النظرة ستديننا ما لم نعترف بخطايانا ونؤكد ذلك بإيماننا: «**نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً**» (العبرانيين ١٠:١٠).

كما يمكن أن نكون غير مقدّسين لأننا تنجسنا بسبب خطايا الآخرين. ففي مثل تلك الحالات فإننا لا نستحق اللوم مباشرة بسبب نجاستنا، لكننا ما زلنا عراة ونحتاج إلى ستر الخطية الذي لا يقدمه إلا الله .

لمزيد من التفكير

١- إن كنت ما تزال لديك وقت صعب ترى فيه الخوف من الآخرين، فتأمل الطرق التي تختلف بها حياتك الخاصة عن حياتك العامة. هل هناك خطايا يمكنك بسهولة الاعتراف بها أمام الله، لكن من الصعب أن تحكيها لإنسان آخر؟ هل هناك أمور عندك لا تريد ببساطة أن يعرفها عنك الآخرون؟ هذه الأسئلة يمكن أن تكشف بعض جذور خوف الناس المدفوع بالخجل في حياتك.

٢- تأمل بعض الاستراتيجيات التي تستخدمها لتغطي نفسك وتذكّر أن معظم الناس يستترون بطبقات متعددة.

٣- ألم تسمع عظة توضيحية عن الرجال الخمسة الذين تلقوا مكالمة دعابة تقول لهم: إنهم يعرفون ما قد فعلتم، فاتركوا المدينة في الحال!»؟ في المساء كان أربعة منهم قد غادروا المدينة. وسبب أنهم وقعوا تحت سيطرة صاحب الدعابة هو أن ضمائرهم أدانتهم. فهل يوبخك ضميرك ويدينك؟ إن كان كذلك، فاعترف بخطيتك أمام الله واطلب منه القوة للتغيير. إن الضمير الصافي النقي بركة كبيرة وهو أحد طرق استئصال خوفك من الآخرين.

الفصل الثالث

الناس سيرفضونني

يرتبط بشدة بموضوع الخوف من أن يكشفني الناس (الخوف من الخزي والخجل) سبب آخر لسيطرة الآخرين علينا وهو أن يرفضونا أو أن يسخروا منا أو يحتقرونا (الخوف بدافع الرفض). فلا يدعوننا لاحتفالاتهم، ويتجاهلوننا، ولا يحبوننا، وهم غير راضين عنا، ويسحبون منا القبول أو المحبة أو الاهتمام الذي نريده منهم، ونتيجة لذلك نشعر بالتفاهة والضآلة.

قد يعطيك بعض التشجيع أن تعرف أنه برغم أن الخوف بدافع الرفض قد يبدو معاصرًا إلا أنه كان مشكلة لعدد من مشاهير الناس عبر التاريخ. فمثلاً، حذر موسى القادة ورؤساء الأسباط وقضاة بني إسرائيل من هذا الأمر (تثنية ١:١٧).

لقد عرف موسى أن الناس يحترمون آراء الآخرين ويظهرون التحيز ويكرمون شخصًا أكثر من غيره، ويخافون الرفض ممن يعتبرونه أهم الناس. هذه النزعة الإنسانية لها قدر خاص من الأهمية لدى قضاة بني إسرائيل. فمثلاً، إن كان على قاضٍ من بني إسرائيل أن يحكم في قضية تتضمن أحد الحدادين عمال المعادن البارزين، فربما يكون هناك بعض الضغط ليجعل الحكم مخففًا أو ربما يتنازل عن العقوبة كلها، وإلا، فربما يرفض ذلك العامل إصلاح محراث ذلك القاضي فيما بعد. هل ترى

المشكلة؟ فالقاضي تحت سيطرة المتهم والمتهم لديه ما يحتاجه القاضي. ففي مثل تلك الحالات يصبح الإنسان كبيرًا وتصير عدالة الله صغيرة.

إنني أتعجب كيف أن الكثيرين منا يخافون (يحترمون أو يوقرون) من هم أكثر مالاً وقوة وسلطة وتعليمًا وجاذبية. وأنا كمشير قد شهدت في خدمتي الخاصة وفي خدمة آخرين أيضًا، مدخلاً أكثر ليونة وترددًا عندما أقدّم المشورة لرجل معطاء مقتدر ماليًا، عن ما أقدّمه لشخص محتاج من مشورة مجانية.

ويعتبر شاول الملك نموذجًا كتابيًا لشخص جرب الخوف بسبب الرفض. ففي سفر صموئيل الأول الأصحاح الخامس عشر أمر الرب أن يبيد شاول كل بيت العماليق تمامًا. فأعطى الله نعمة لجيش بني إسرائيل لكي يهزموا ذلك الشعب : «**وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ** (ملك العماليق) **وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثُّنْيَانِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ، وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهَا. وَكُلُّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمَهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا**» (صموئيل الأول ١٥:٩).

هناك منظوران ممكنان عن تبرير شاول. فربما شعر بالضغط من قادته ليرجع غنائم وأسلاب الحرب، في هذه الحالة سيكون دفاعة بغير مبرر في ضوء تحذيرات الله اللانهائية أن لا يخاف من الناس. أو أن شاول قال إن الخوف من الآخرين كان شائعًا حتى يقبل شاول مبرره لأنه كان أمرًا من البشر. فلأنه جزء من نسيجنا كيف يمكن أن نعتبر أننا مسؤولون عن ذلك؟ فبصرف النظر عن أي بديل يمثل دوافع شاول الحقيقية، فالخوف من الآخرين له نتائج مأساوية؛ فكان السبب في أن شاول فقد مملكته.

لقد شارك فريسيو العهد الجديد شاول في خوفه من الرفض من الناس. فقد كانوا يشتهون القبول والاستحسان من الناس وخافوا من أن لا ينالوا

ذلك. تباهى فريسيون كثيرون أنهم لم يؤمنوا بيسوع، بل أنهم كذلك اتهموا من آمنوا به أنهم يعيشون في وهم (يوحنا ٨:٤٥-٥٠). إلا أنه كان هناك بعض الرؤساء والقادة الذين لم يمكنهم أن يتجاهلوا تعليم يسوع بسلطان ومعجزاته، وآمنوا به سرًّا. وبتعبير آخر، آمنوا بأن يسوع مرسل من الله وأنه المسيا الذي يرجون مجيئه ويطلبونه. وبهذا الاعتقاد، ربما تظن أن هؤلاء الرؤساء صاروا تلاميذًا له على الفور وأنهم سعوا لإقناع الناس بالإيمان به. إلا أن ذلك لم يحدث. فسرعان ما ذبل إيمانهم. فلماذا؟ لقد خافوا من الاعتراف بإيمانهم بسبب ردات الفعل المحتملة من الذين في المجمع: «**لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ**» (يوحنا ١٢:٤٢-٤٣).

لقد شعروا باحتياجهم إلى المدح من الناس. فخافوا الرفض أكثر مما خافوا الرب.

يبدو الأمر مألوفًا. فأحيانًا نفضل أن نموت من أجل يسوع عن أن نحيا من أجله. فإن كان لدى إنسان السلطان أن يقتلنا من أجل اعترافنا بالإيمان، فأعتقد أن معظم المسيحيين المؤمنين سيقولون: نعم، إنني مؤمن بيسوع المسيح، حتى لو كان ذلك معناه الموت. أما التهديد بالتعذيب فيجعل الناس يفكرون مرتين. لكنني أعتقد أن معظم المسيحيين المؤمنين سيعترفون بالمسيح. إلا أنه لو كان اتخاذ القرار من أجل يسوع معناه أننا قد نمضي سنوات يتجاهلنا فيها الناس ويكرهوننا وينتقدوننا، فإن أعداداً كبيرة من المسيحيين المؤمنين ربما يضعون الإيمان على الرف مؤقتًا. «الموت ليس وشيكًا، فلماذا الاستعجال في اتخاذ مثل هذا القرار المتهور؟»، «سيكون هناك وقت فيما بعد لتصحيح الأمور من أجل الله».

وبتعبير آخر، اقتلني، لكن لا تمنع عني الحب والتقدير والاستحسان والاحترام.

هل يبدو هذا تهورًا؟ تذكّر كلمة واحدة هي: الكرازة. إنني واثق من أن الكثيرين من المراهقين يفضلون الموت عن أن يراهم أصدقاؤهم مرتبطين باجتماع الشباب في الكنيسة أو المشاركة في عمل للكنيسة. أليست أكثر الرحلات الكرازية شعبية هي التي تأخذنا بعيدًا عن الجيران؟ روسيا سهلة. إن جيراننا تحدٍ ثابت. هل كان هنك أي إنسان لديه جرأة ووضوح يسوع في الشهادة للإنجيل؟ على الإطلاق. هل تجنب أي إنسان بشكل متسق، الخوف من الناس في الكرازة؟ بالطبع لا. هناك «جنون» متأصل في رسالة الصليب. إن المناداة الصريحة بالإنجيل لا تجعلنا نبدو صالحين. كما لا تجعلنا محبوبين ومشهورين.

«ضغوط الأقران» وتسبيح اللّه:

الخطية المقيمة في قلب الإنسان (الخوف من الناس) تخدم قوة رهيبة. إن مدح الآخرين - النسمة الرقيقة التي تستمر للحظة - يمكن أن يبدو أكثر مجداً من مدح الله. فقد قال الرب يسوع ذاته ذلك لرؤساء اليهود: «**كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟**» (يوحنا ٥:٤٤).

اليوم سنكون لطفاء وندعو الفريسيين أنهم يهتمون بإرضاء الناس. وسنقول إنهم «**يجاهدون ضد ضغوط الأقران**». ولأننا جميعًا قد تأثرنا بذلك في وقت من الأوقات، فإن جميعنا تقريبًا نتعاطف مع ذلك السلوك. لكن لعل هذا هو أصعب صور الخوف من الناس. فبسبب ذلك يتخذ

المراهقون دائمًا قرارات غير حكيمة. وكذلك البالغون ينظرون إلى الناس لمشاعرهم. فنحن ننتظر من الآخرين اتخاذ مبادرات الحب. وننفق وقتًا طويلاً في التساؤل عما يفكره الآخرون في مظهرنا أو التعليق الذي قلناه في اجتماع المجموعات الصغيرة. إننا نرى فرصًا للشهادة للمسيح لكننا نتجنبها. **فإننا نهتم بالأكثر بألا نبدو أغبياء (الخوف من الناس) أكثر من اهتمامنا بالسلوك بخطية (الخوف من الله).**

لقد وقف يسوع في مواجهة حاسمة قوية مع اهتمام الفريسيين. فلم يُظهر المحاباة لأحد، بل تواصل مع الرجل والمرأة، مع الغني والفقير، مع كل الأجناس والأعراق والأعمار. لم يكن يبدأ تعليمه باستطلاع ما هو شائع ومحبوب، بل بالعكس قال الحق الذي كثيرًا ما كان غير محبوب، لكنه كان ينفذ إلى القلب. فقال «**مجداً من الناس لست أقبل**». بل وحتى الأعداء كانوا يرون ذلك: «**قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ بِالْحَقِّ، وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ، لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ**» (متى ٢٢:١٦).

كانت هذه الملاحظات بالطبع، نوعًا من التملق تستخدم لاصطياد يسوع، إلا أنها كانت حقيقية بالفعل. فقد كانت جزءًا من تعليم يسوع بسلطان، كما كانت واحدة من السمات التي تميز خدمته عن كل ما هو لرؤساء اليهود الآخرين.

كما كان ذلك يميز خدمة بولس. فكان يدعو الكنائس أن تتمثل به كما يتمثل هو بالمسيح (كورنثوس الأولى ٤:١٦ ؛ تسالونيكي الأولى ١:٦). فكان بذلك يشجع تلاميذه أن يقلدوا حياته وتعليمه في محاكاة تتضمن بالطبع السعي نحو مجد الله، وليس الناس (تسالونيكي الأولى ٢:٤).

لم يكن بولس يسعى لإرضاء الناس. كان محبًّا للناس لذلك لم يغير رسالته تبعًا لما يظنه الآخرون. ليس سوى من يحبون الناس يمكنهم المواجهة. ليس سوى من يحبون الناس لا يسيطر عليهم الآخرون. بل أن بولس أشار إلى أهل غلاطية أنه لو ظل يحاول أن يرضي الناس لما صار خادمًا لله (غلاطية ١:١٠). وبذلك أمكنه أن ينزع الخوف من الناس.

لم يحدث هذا تلقائيًا بشكل طبيعي. فبولس لديه نفس الغرائز الجسدية التي لدينا وهو يعرف ذلك. ونتيجة لذلك، طلب من الكنائس أن تصلّي من أجله.

«مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَاراً بِسِرِّ الإِنْجِيلِ، الَّذِي لأَجْلِهِ أَنَا سَفِيرٌ فِي سَلاَسِلَ، لِكَيْ أُجَاهِرَ فِيهِ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ» (أفسس ٦:١٨-٢٠).

معركة بطرس مع الخوف من الناس

ننتقل الآن إلى نموذج أخطر للخوف من الناس.

صار بطرس معروفًا بأسلوبه المتهور. فقد كان يبدو الأشجع من بين كل التلاميذ.

ولعله آخر من نتوقع أنه يجاهد ضد الخوف من الناس. لكن هذا الداء موجود في قلوب الشجعان والجبناء.

كيف أنكر الرب؟ لقد عاين المعجزات. وقد نال الروح الذي كشف له أن يسوع هو المسيح. كان صخرة. وشاهد التجلّي. وقد أحب يسوع.

لم يكن يفكر في الإنكار. لكنه أيضًا كان مثلنا، كان إنسانًا خاطئًا، عاجزًا روحيًا بعيدًا عن عمل الروح القدس. كما أنه كان يمجّد الناس حتى بدوا كأنهم أكبر من يسوع ذاته.

وفي ليلة بـاردة، كان بطرس خارج دار رئيس الكهنة بينما يسوع بالداخل يتم استجوابه ومحاكمته. كـان بطرس واقفًا بجوار النار مع مجموعة من الخدم والعاملين. وعندما سئل إن كان مع يسوع قال: لا أعلم عن أي شيء تتكلمون.

إن حدث مثل هذا الإنكار من بطرس فلا بد أن نفترض أن من يقف أمامه هو قائد للمئة أو فريسي أو شخص يمكنه أن يدينه ويحكم عليه في الحال. ولا بد أن حياته كانت في خطر شديد. لكن لا. لم تكن سوى امرأة وليست سوى جارية. نعم كانت جارية عند رئيس الكهنة، لكن رئيس الكهنة ذاته كان مشغولاً في التحقيق مع يسوع. فهو بالقطع لم يكن لديه وقت لبطرس. وكان هناك تلميذ آخر، هو يوحنا، في داخل الدار عند استجواب يسوع. فلو كانوا يريدون اتهام تلميذ لكان أمامهم الاختيار السهل.

لعله من الأفضل أن نظن أن حياة بطرس كانت في خطر، لكن ذلك لم يكن حقيقيًا. لم يكن يحتاج سوى القليل من الإثارة لإنكار المسيح.

وفي مرة أخرى سئل من نفس الجارية. وأعطاها نفس الإجابة. لكن ذلك لم يكن خوفًا. لم يكن استجابة لنظرة العين. كان إنكارًا عنيدًا مع الإصرار، بالقسم. بالتأكيد كان بطرس يعرف جدّية القسم. وقد عرف تعليم يسوع في الموعظة على الجبل: «**ليكن كلامكم نعم نعم ، ولا لا**». لكن الخطية جعلت الحقيقة لا صلة لها بالموضوع. فالخوف من الناس هو دائمًا جزء من التجربة التي تشمل الشك والعصيان.

أما الإنكار الثالث فكان أسوأ. «**فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُل**» (متى ٢٦:٧٤). وبتعبير آخر: فليلعنني الله القدير ويلعن أسرتي إذا كنت لا أتكلم الصدق. إن الخوف من الناس هو بالحقيقة شرك خادع.

كان توقيته هو الأسوأ. لأنه في تلك اللحظة كان ممكنًا ليسوع أن يرى بطرس، على الأرجح عندما كانوا يقتادونه من دار رئيس الكهنة إلى السنهدريم. فنظر يسوع إلى بطرس.

بالنسبة لبطرس، كان كما لو أنه آدم الأول. فقد شعر بنظرة القدوس وأحس بأنه عريان. لم يكن أمامه أي مكان للاختباء. أما بالنسبة ليسوع فيمكننا أن نخمن ما كان يفكر فيه.

ما نعرفه هو أنه عندما ظهر يسوع لتلاميذه سر بأن يبين غفرانه العجيب لبطرس. فقد أعلن الملاك بعد القيامة للنسوة حاملات الطيب: «**اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ وَلِبُطْرُسَ**» (مرقس ١٦:٧). وبعدها، وربما في ليلة باردة أخرى والتلاميذ حول النار، واجه يسوع إنكار بطرس له ثلاث مرات بدعوته لبطرس ثلاث مرات لكي يرعى غنمه. وختم كلامه بقوله: «**اتْبَعْنِي**» (يوحنا ٢١:١٥-١٩).

وإذ جرّب بطرس لعنة الخوف من الناس، وشعر بنظرة الله القدوس، وعرف غنى محبته الغافرة تعلّم الدرس بلا شك. وأنا واثق أنه ربما ظن هذا. فبرغم إيمانه القوي وموهبة الروح القدس، هذا الرجل المتميز تعرض للمهانة مرة أخرى بسبب خوفه من الناس. وهذه المرة كانت مناسبة إرضائه للناس هي اجتماعه للأكل مع مجموعة من المسيحيين من خلفيات متعددة.

كان بطرس واعيًا تمامًا لأن الإنجيل يضم الأمميين كذلك. فبعد الرؤيا التي رآها (أعمال الرسل ١٠)، أمضى بعض الوقت مع الأمميين مثل كورنيليوس. فيما بعد يبدو أنه تكونت لديه عادة أن يجتمع مع الأمميين ويأكل معهم. إلا أنه عندما اعتبر المسيحيون من أصل يهودي أن الختان من الإنجيل، جاءوا إلى بطرس ففصل نفسه عن إخوته الأمميين وعاملهم حسب عادة اليهود وليس حسب الرب.

لماذا فعل هذا؟ لقد خاف من جماعة الختان. وماذا كانت العواقب؟ انقاد مسيحيون آخرون (من أصل يهودي) إلى نفس هذا الخطأ. وصار هذا النفاق خطيرًا حتى أن بولس قاوم بطرس وجهًا لوجه (غلاطية ٢:١٣).

فهل تعلّم بطرس في النهاية؟ لعل تلك هي القصة الشخصية التي تسمعها عن بطرس، لأن لوقا الذي كتب سفر الأعمال، تابع خدمة بولس فيما بعد أكثر من متابعته لخدمة بطرس. إلا أن الأرجح أن بطرس كتب رسالتيه بعد هذا الحدث. ورسالة بطرس الأولى ترجح بصفة خاصة وجود رابط ما بين هذه الأحداث في حياة بطرس والطريقة التي علّم بها في الكنيسة الأولى.

«فَمَنْ يُؤْذِيكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِالْخَيْرِ؟ وَلكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، فَطُوبَاكُمْ. وَأَمَّا خَوْفَهُمْ فَلاَ تَخَافُوهُ وَلاَ تَضْطَرِبُوا» (بطرس الأولى ٣:١٣-١٤).

يقول بطرس: لا تخافوا من الناس. لقد عرف أن الخوف من الناس يمكن أن يكون شركًا (فخًّا) أو مصيدة.

الناس – اختيار الأصنام

ما هو الشيء المشترك فيما بين خوف الخجل وخوف الرفض؟ لكي نستخدم صورة كتابية فإن كليهما يشيران إلى أن الناس هم الصنم/ الوثن المفضل لدينا. إننا نمجدهم مع قوتهم المتخيلة أكثر مما نفعل مع الله. إننا نعبدهم كأن لديهم نظرات الله الثاقبة النافذة الكاشفة (خوف الخجل)، أو لهم قدرة الله على «ملئنا» بالتقدير والحب والإعجاب والقبول والاحترام وغيرها من الرغبات النفسية (خوف الرفض).

عندما نفكر في الأصنام، فعادة ما نفكر أولاً في البعل وغيره من المخلوقات من صنع الإنسان. ثم قد نفكر في المال. ونادرًا ما نصور شريك الحياة أو الأولاد أو صديق الطفولة والمدرسة. فالناس هم أصنامنا المفضلة. فهم يسبقون البعل والمال والقوة زمنًا وتاريخًا. والناس، مثل كل الأصنام، هم أشياء مخلوقة وليس الخالق (رومية ١:٢٥)، ولا يستحقون عبادتنا. ونحن نعبدهم لأننا نظن أن لديهم القوة أن يقدموا لنا شيئًا ما. ونظن أنهم يباركوننا، وأنهم بركة لنا.

عندما نفكر في ذلك، فإن عبادة الأصنام هي استراتيجية عتيقة في قلب الإنسان. وقد يتغير موضوع العبادة من وقت لآخر، لكن يظل القلب كما هو، فما نفعله الآن لا يختلف عما فعله بنو إسرائيل مع العجل الذهبي. فعندما ترك بنو إسرائيل أرض مصر أحسوا بأنهم ضعفاء ومحتاجون (وكانوا قساة القلب عنيدين عصاة). ومع أنهم قد شاهدوا قوة الله، إلا أنهم أحسوا بالخوف. وكان علاجهم هو أن يختاروا صنمًا عوض الله الحقيقي. وعدما فعلوا ذلك كانوا يقاومون الله وكذلك يتجنبونه.

لقد قاوموا الله بثقتهم في أنفسهم وفي آلهتهم الخاصة أكثر من الله الإله الحقيقي. فوق كل ذلك، لم يكونوا واثقين تمامًا من أن الله سيبارك نساءهم بالخصوبة. فماذا عن تلك الآلهة الأخرى التي بدت كأنها تملك القوة على تقديم وفرة المحاصيل؟ وفي حالة أن الله لم يكن كافيًا لهم، بدأوا في اتباع آلهة أخـرى. فقد ظنوا أن الأصنام ستعطيهم ما يريدونه أو ما يشعرون بأنهم يحتاجون إليه. لقد أرادوا إلهًا يمكنهم التحكم فيه والمناورة معه واستخدامه. لم يريدوا شيئًا فوق ذواتهم، بما في ذلك الله نفسه. لقد ظنوا أن الله لن يكون قادرًا على مواكبة رغباتهم ولذلك تطلعوا نحو البركة والإشباع من شيء يحسون أنهم يمكنهم التحكم فيه. أرادوا أن يعملوا ذلك حسب طريقتهم وليس حسب طريقة الله. وهذا قمة العصيان والتمرد.

وباتباع بني إسرائيل لآلهة أخرى، فإنهم أرادوا أيضًا أن يتجنبوا الله. فقد كانت تناسبهم أكثر من ثقتهم بالله. إن شعب بني إسرائيل لم يروا على الإطلاق عرضًا للقداسة مثلما رأوا في سيناء. هذه القداسة تركتهم يشعرون بالضعف والفضح. لقد صـاروا مدركين لخجلهم وعارهم. ولمعالجة هذا الرعب المُقدّس، بحثت قلوبهم المتمردة عن آلهة تكون مروضة أليفة. وكان العجل الذهبي كذلك.

هكذا نحن اليوم. ففي شكّنا، فإننا نقاوم الله وكذلك نتجنبه. فما هي نتيجة عبادة الناس كأصنام؟ مثلما يحدث في كل عبادة للأصنام، فإن الصنم الذي نختار أن نعبده سرعان ما يملكنا. فالشيء الذي نخافه يتغلّب علينا ويقهرنا. ومع أن الصنم في ذاته تافه وحقير، إلا أنه يصبح ضخمًا ويحكمنا. فهو يخبرنا كيف نفكر وماذا نشعر وكيف نسلك. ويخبرنا ماذا نلبس ويخبرنا بأن نحكي النكات القذرة، ويخبرنا أن نخاف حتى الموت

من أن نقف أمام مجموعة من الناس ونقول شيئًا. فكل استراتيجية هي نتائج عكسية. فلا نتوقع على الإطلاق أن استخدامنا للناس في تحقيق رغباتنا سيتركنا مستعبدين لهم.

كانت سارة نجمة في ثلاث رياضات في واحدة من أفضل الكليات في البلد. ليس هذا فقط، بل وكانت كذلك قائدة كل الفرق الثلاثة وقد رشحت لجائزة أفضل رياضية في الكلية. ومع تلك القدرة والشهرة قد تظن أنها كانت تشعر بالرضا عن نفسها. إلا أنها كانت قلقة بالفعل بشأن العام التالي. فتوقعات الآخرين كانت متزايدة. فكيف ستتوقف عما بدأت إنجازه بالفعل؟ قالت عنها صديقة لها إنها تريد أن تكون أفضل حبيبة وأفضل رياضية وأفضل طالبة.

لقد أرادت أن تعتزل إحدى الرياضات لكي تخفف عن نفسها بعض الضغط المتراكم عليها في حياتها، لكنها كانت تخشى أن تخذل زميلاتها في الفريق. فأن تقول لا لأي صديقة مسألة غير واردة. وقد لاحظ أحد الأشخاص أنها «كانت تريد أن ترضي كل إنسان ولم تكف عن ذلك» ولم يمكنها إلا أن تفكر في أمر واحد. أخذت بندقية من عيار ٢٢، وأطلقت النار على ذاتها.

لقد صار الناس صنمًا لدى سارة. كانت تحتاج إلى استحسانهم. كانت تحتاج إلى صداقتهم وقد شعرت بالاختناق تمامًا من آرائهم التي تنتقص منها. الحقيقة المأساوية الخطيرة هي أن سارة أصبحت عبدة لصنمها وإذ صاحبت المأساة تلك العبودية، لم تجد لنفسها طريقًا نحو الحرية.

لمزيد من التفكير

إن القصد من هذين الفصلين الأولين هو أن نكشف أن الخوف من الناس في داخلنا جميعًا. والواقع خلف هذا الخوف أعمق من فكرتنا الحالية عن الخوف. وبالحس الكتابي، فإن ما نخاف منه يبين ولاءاتنا. كما يبين أين نضع ثقتنا. ويوضح من هو الكبير في حياتنا.

١- بتعبيرك الخاص ما هو الخوف من الناس؟

٢- إن كان الخوف من الآخرين ظاهرًا في حياتنا مثلما يقول الكتاب المقدّس، ضع قائمة بالطرق التي يظهر بها في حياتك. ربما تريد أن تبدأ ببعض التوضيحات منذ أن كنت أصغر. تيقن من تحديث ذلك بحيث يشمل الأسبوع الماضي.

إليك بعض الأسئلة عما قد يكشف لك عن الخوف من الناس.

* ما هي الأفكار أو الأفعال التي تفضل أن تحتفظ بها في الظلام؟ (هذا لا يشير إلى إرتداء الملابس). شهوات، وعداوات، وعادات معينة...هذه الأفعال تشير على الأرجح إلى الخوف من الآخرين.

* هل لاحظت الأوقات التي تغطي فيها ذاتك بالأكاذيب أو التبريرات أو اللوم أو تجنب الموضوع أو تغيير الموضوع؟ إن كان كذلك، فإنك تريد أن تبدو أفضل أمام الناس.

* هل تبدي محاباة وتحيزًا؟ هل تحترم الغني أكثر من الفقير؟ الذكي أكثر من الأقل ذكاءً؟ ربما يكون هذا أكثر تعبير نغفله عن الخوف من الآخرين. فهو يبين أنك تحترم شخصًا أكثر من الآخر.

٤- ما هي بعض الصور التي تصفك وتعبّر عنك ؟

٥- مفهوم «لا مزيد من الاعتمادية المتبادلة» قدّم حلولاً فظيعة للخوف من الناس، لكنه أدى عملاً جيدًا في وصفه. وإليك بعض الأوصاف. حاول تفسير هذه الأوصاف لترى صنم الناس الذي يكمن خلفها. إن الاعتمادية المتبادلة ربما تجعلك:

* تعتقد وتشعر بالمسؤولية نحو الآخرين.
* تشعر بالاضطرار إلى مساعدة الناس في حل مشاكلهم.
* تتعب من الإحساس بأنك تعطي دائمًا ولا أحد يعطيك.
* تلوم، وتلوم، وتلوم.
* تشعر بعدم التقدير وعدم الستحسان.
* تخاف من الرفض.
* تشعر بالخجل مما هو عليه.
* تقلق من جهة محبة الناس له.
* تركز كل طاقتك على الناس وعلى مشاكلهم.
* تهدد وترشو وترجو.
* تحاول أن تقول إن ما تفكر فيه يرضي الناس أو يحفزهم أو يقدم لهم ما يحتاجون إليه.
* تناور وتتلاعب.
* تترك الآخرين يؤذونك بدون أن تقول أي شيء.
* تشعر بالغضب.
* تشعر كأنك شهيد.
* تكون مسؤولاً تمامًا أو غير مسؤول على الإطلاق.

الفصل الرابع

الناس يؤذونني جسديًا

كانت جانيت ضحية عنف جسدي واعتداء جنسي عليها. فمن عمر السابعة حتى الثانية عشرة كان أبوها يغتصبها. وتوقف عن ذلك بعد أن تقدّم به العمر وصارت حركته بطيئة وتمكنت جانيت من التملص منه. لكن العنف لم يتوقف. ففي سنوات المراهقة الأولى كان أخوها الأكبر يضربها حتى تتكوم من الألم. لكن العين المتورمة والضلوع المكسورة لم تدخلها المستشفى لأن أخاها هددها بأن يقتلها لو أخبرت أي إنسان.

إنها في الخامسة والثلاثين من عمرها الآن. وقد تزوجت من رجل كان دعمًا لها لثمانية أعوام وأنجبت طفلين، الولد في السادسة من عمره، والبنت في الثالثة من عمرها. وقد واجهت مؤخرًا كلاً من أبيها وأخيها واعترف الرجلان باعتداءاتهما. إلا أن دعم زوجها لها واعترافات المجرمين لم تحمها من قدر كبير من المشاكل المختلفة.

فمثلاً عندما تتكلم جانيت عن أي واحد ممن اعتديا عليها تتذبذب مواقفها بشدة. فهناك أوقات تسعى فيها إلى علاقة أعمق معهما، لكن عاطفتها ليس كبالغة راشدة بل كطفلة صغيرة معتمدة عليهما. فهي تطلب من أبيها وأخيها الحب والعاطفة مما لم تشعر به معهما في صغرها. وفي أوقات أخرى تكون شديدة الغضب معهما بسبب ما فعلاه معها وتتمنى موتهما.

وفي أوقات ثالثة ترتعب عندما تفكر فيما قد حدث وتحاول أن تبتعد بنفسها عن أي إنسان لأنها تشعر كما لو أن كل إنسان تقابله هو تهديد وخطر على حياتها.

بالتأكيد إن كل هذه التفاعلات وردات الفعل مفهومة في امرأة كانت ضحية (أو ربما أقول ناجية)، لكنها كذلك تكشف عن أن من اعتديا عليها ظل لهما تأثير مسيطر في حياتها. كانت جانيت تعيش كما لو أن الله صغير بالمقارنة بهذين الرجلين الشريرين.

لقد رأينا بالفعل أن الخوف من الناس يأتي من داخلنا. ولا يهم أين نعيش أو مع من نعيش، فإن الخوف من الناس سمة منتظمة في قلوبنا الملطخة بالخطية. لكن بعض التأثيرات قد تتركنا أكثر عرضة للميول الخاطئة. وهذا يقينًا ما حدث مع جانيت.

إن تعرض جانيت للخوف من الآخرين يمكن مقارنته بالشهوة المتفشية في إنسان تعرّف على الإباحية في فترة مبكرة من حياته. الشهوة موجودة فينا كلنا. لكن هذا الشخص لا بد أن يكون أكثر حرصًا في مواجهة الشهوة الجنسية. فالشهوة الجنسية لدى بعض الناس قد تكون تجربة متذبذبة متفاوتة، فأحيانًا تكون المعركة شرسة، وأحيانًا تكون المعارك الأخرى أكثر إلحاحًا. لكن بالنسبة لشخص تعرّف على الإباحية فالمعركة تكون مستمرة. فمثل هذا الشخص عليه أن يسجل صلاة ثابتة متسقة تدعمه ويكون مستعدًا لقتال المعركة بشكل يومي. وبطريقة مشابهة، إن كل كل من وقع عليه تهديد أو اعتداء أو خجل من الآخرين يميل إلى أن يكون أكثر تعرضًا للخوف من الناس، فعليه أن يكون حذرًا بصفة خاصة.

الخطوة الثانية: حدد متى اشتد في الماضي خوفك من الناس.

قوة الكلمات

إن العنف الجسدي والاعتداء الجنسي أمثلة واضحة عن الطريقة التي يمكن بها للأفراد الهدامين المدمرين في حياتنا في الماضي أن يجعلونا أكثر تعرضًا للخوف من الناس. أما الكتاب المقدّس، فلا يتكلّم فقط عن الأفعال المدمرة ، بل يقول كذلك إن الكلمات قوية أيضًا. وإنني أتساءل كيف يؤثر الكلام القاسي في الأطفال؟ إنني أعرف أن الأطفال لديهم مرونة عالية ولست أؤكد أن كلمة واحدة قد تدمغ الطفل مدى الحياة. لكن الكتاب المقدّس يشير إلى أن الكلمات المتهورة تطعن كالسيف (أمثال ١٢:١٨). لم يقلل الكتاب المقدّس من تأثير كلمات الخطية. إنه يعلن أنها مثل ألسنة اللهب التي تترك جروحًا تضيء إلى أعمق أجزاء نفوسنا. لتقف في مواجهة صارخة ضد التعاطف والشفاء الذي يقدمه الرب لهؤلاء الضحايا.

لقد رأيت أطفالاً تسحقهم كلمات الآخرين. وشاهدت بعضهم يصبحون تدريجيًا كتومين ومنطوين. فيبدون خائفين، في حالة دفاع دائم وفي حذر شديد كما لو كانوا في معركة. فهل تركتهم خطية الآخرين معرضين لنوع متصاعد من الخوف؟ نعم في بعض الحالات.

عادة ما يستغرق الأمر أكثر من حادثتين لإشعال لهيب الخوف من الناس. ومن الممكن أن حادث واحد في توقيت فظيع أن يقوم بذلك.

أو ربما بعض النميمة عنك وصلت إلى مسامعك. لكن إن كان تاريخك قد جعلك أكثر تعرضًا للخوف من الآخرين، فالأرجح أنك قد تأثرت بسيل من كلمات الإحباط والتثبيط. وبتعبير آخر، إن كنت تسمع بشكل شبه يومي كلامًا ناقدًا، وجارحًا، ومهينًا، وقاسيًا.

ربما ليست تلك الكلمات القاسية كثيرة. أعرف والدًا يفقد أعصابه ربما مرة واحدة في الشهر. ولكن عندما يفقدها، فإن الجميع يعرفون ذلك، وأي إنسان قريب منه يهاجمه. وبعد نحو نصف ساعة من فقدان السيطرة على ذاته يعود إلى رشده ويعتذر لمن جرحهم بلسانه. فهو يسلك كأنه مخمور بلا كحول.

ما رأيك في هذا الرجل؟ من اللطيف أن ترى انفعالاته تصل إلى الصفر، لكنه يعتذر بالفعل. من الممكن أن تتفاقم الأمور أكثر من ذلك. إلا أنني شاهدت تغيّرات في ابنه الوحيد. فقد صار أكثر تردداً وخجلاً. فهو يخاف أن يحاول عمل أي شيء ربما يفشل فيه. لقد كان من قبل ودودًا مع الكبار. لكنه الآن لا يتكلم إلى إذا خاطبه أحد. المشكلة أن الوالد الذي يحاول جاهدًا بأمانة أن يتحكم في غضبه، لا يتكلم مع ابنه فيما بين نوبات الغضب. فهو يصرخ ويعتذر ويرجع إلى عمله، هذا كل ما في الأمر. ولذلك، وبرغم أن الكلمات الجارحة تخرج أقل من مرة في الشهر، إلا أنها الكلمات الوحيدة التي يسمعها الابن من أبيه. فالكلمات الطائشة المتهورة الجارحة تتحكمفي الطفل فيخاف من الناس.

وقبل تقديم بعض الأجوبة المحددة للمظلومين من الآخرين، فلنتأمل بعض الأمثلة في الكتاب المقدّس عن كيفية استجابة الناس للتهديدات والهجوم.

بطل جبان

بعد أن وعد الله أن يجعل إبراهيم أمة عظيمة مضى إبراهيم إلى مصر بسبب حدوث مجاعة كبيرة.

«وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ» (تكوين ١٢:١١-١٣).

هذا هو بالطبع الخوف من الناس. إلا أن هذا يختلف قليلاً عن الخوف من أن ينكشف. كان إبراهيم يخاف من التهديد بخطر جسدي. فهو لم يخف من أن يحتقره إنسان. بل بالعكس خاف من أن يقتله شخص ما. وقد أحس بالتعرض للهجوم وأنه بدون حماية. ولكن بدلاً من الثقة بالله، وثق في خطته لحماية نفسه. فالمصريون بالنسبة لإبراهيم كانوا كبارًا وكان الله صغيرًا.

كثيرًا ما تذكر المزامير الخوف من الأعداء. فمثلاً عندما أمسك الفلسطينيون داود في جت، فإنه تكلم عن المطاردة الساخنة من مهاجميه وخوفه منهم. فعندما كان ينام لم يكن واثقًا من أنه سيستيقظ مرة أخرى. إلا أن ردة فعله كانت مختلفة بالقطع عن ردة فعل إبراهيم. كان داود خائفًا لكنه لم يخف من الناس أكثر من الله. بل قال:عندما أخاف، فإنني أثق فيك. **«فِي يَوْمِ خَوْفِي، أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ. اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟»** (مزمور ٥٦:٣-٤).

كان الله صخرة وحصنًا لـداود. أما إبراهيم، مع أنه تعلّم مؤخرًا عن وعد الله، إلا أنه تصور حجم المصريين أكبر من الله، وكذب لكي يعالج خوفه. ومع أنه ليس نموذجًا لكيفية التعامل مع الخوف من الآخرين، إلا أنه على الأقل أظهر لنا أن هذا الأمر شائع حتى وسط رجال الإيمان.

لكن لماذا لم يتعلّم إبراهيم من التجربة؟ فبعد بضعة أصحاحات وفي الأصحاح العشرين، يستخدم إبراهيم نفس الحيلة. إلا أن واحدًا فقط من الضحايا اختلف. فهو لم يضع زوجته في موضع بحيث لا تتنجس، بل أخطأ كذلك ضد أبيمالك ملك جرار. لم يكن أبيمالك رجلاً قويًا كفرعون، لكنه كان مشهورًا، كما كان حاكمًا للإقليم. وكان هذا كافيًا لإبراهيم. فطلب من زوجته أن تواصل الخداع. تدخل الله بقوة، قد حفظ أبيمالك من ارتكاب الزنا، وحفظ إبراهيم من الخزي التام.

وبهذا الماضي المتقلّب، فإن هذا المزج بين الإيمان والخوف، لم يكن يبدو أن إبراهيم مرشح جيد لاجتياز أخطر اختبار يمكن لإنسان أن يؤديه. فهل سيفضل مخافته لله ويضعها أولاً إلى درجة أن يطيع الله حتى بتقديم ابنه الوحيد ذبيحة لله؟ إنه شيء أن ترى التهديد لحياتك، لكنه شيء أخطر بكثير أن ترى الخطر يتهدد حياة ابنك. وهذا هو الاختبار الذي واجهه إبراهيم. لكنه لم يتردد على الإطـلاق. عندما قال له الله أن يقدم ابنه، قام في الصباح الباكر لتنفيذ ما طلبه الله. أي والد يمكنه أن يفعل ذلك؟ معظمنا سيأخذ على الأقل بضع ساعات يقضيها في تمشية مع ابنه. عندما اختبر وعندما أظهر إبراهيم استعداده للثقة بالله حتى لو كان هذا معناه موت ابنه، قال له ملاك الرب: «**الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ**» (تكوين٢٢:١٢).

الخوف يكسب وجيل يخسر

إن نموذج إبراهيم بالإيمان الجريء لا يمحو من أحفاده الخوف من الناس. فتاريخ بني إسرائيل حرفيًا اتخذ منحى خطيرًا بسبب خوف العبرانيين من أذية الكنعانيين لهم جسديًا. فمضى الشعب من وجودهم على حافة الدخول إلى أرض الموعد، إلى التيهان والتجوال في برية صحراء سيناء. وفي سفر العدد (عدد ١٣)، تم تكليف مجموعة من الكشافين من بني إسرائيل لاستكشاف الأرض. وفي تقريرهم أشاروا إلى أنها حقًا أرض الموعد، «**وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً**» (عدد ١٣:٢٧). لكنهم كانوا أكثر خوفًا من سكان البلاد أكثر من خوفهم من الله، مع أنهم شاهدوا توًا أن إلههم هو الأعظم من كل الآلهة في مواجهته مع فرعون. «**وَحَقّاً إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً...لاَ نَقْدِرْ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا...فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ**» (عدد ١٣:٢٨، ٣١، ٣٣). فتجاهلوا توسل موسى لهم بألا يخافوا (عدد ١٤:٩). وكان يقينًا أن تتم دينونة هذا الشك. فقال الله: «**وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ** (موسى) **شَعْباً أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ**» (عدد ١٤:١١-١٢).

إن إلهنا الغيور يطلب منا أن نعبده ونمجده هو وحده. إن الخوف من فرعون وليس من الله هو عبادة للأوثان. لكن بسبب تدخل موسى الكريم وتوسطه من أجل شعبه اختصر الله برحمته عقابهم. فبدلاً من إبادة كل شعب بني إسرائيل بالكامل منع الله جيلاً واحدًا فقط من دخول أرض

الموعد. فقد ماتوا كبدو في الصحراء، لكن أولادهم رأوا تحقيق وعد الله، وهذه بالحقيقة نعمة عجيبة.

عندما تمت دينونة الله عليهم وانتهى ذلك الجيل، قدم موسى توسلاً أخيرًا للشعب. كان الوقت حرجًا، قبل موته مباشرة، وكان ينقل السلطة إلى يشوع. لذلك كانت المناسبة فريدة وخطيرة بصفة خاصة. كانوا يصغون لكلمات موسى. وسجلت نصائحه الرعوية الحارة في سفر التثنية. فدعا فيها الشعب إلى الولاء المطلق لله. وحذرهم من عصيان العهد. وذكرهم بصفة خاصة ليتجنبوا الخطأ السابق في الخوف من الناس أكثر من الله. ألم يكن يقول لهم دائمًا: «**لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ**» (تثنية ١:٢١)؟ لكن خلال تجوالهم في البرية لم يصغِ له الشعب، وكانت النتيجة هزيمة منكرة. فما كانوا يخافونه سيطر عليهم وهزمهم .

واصل موسى نصائحه:

«**لاَ تَخَفْ مِنْهُ**،(ملك باشان)» (تثنية ٣:٢)

«**لاَ تَخَافُوا مِنْهُمْ**، (كل ممالك الأرض)» (تثنية٣:٢٢).

«(تذكّر) **فِي الْيَوْمِ الَّذِي وَقَفْتَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي حُورِيبَ حِينَ قَالَ لِي** (لموسى) **الرَّبُّ:... لِيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَخَافُونِي**» (تثنية٤:١٠).

«**يَا لَيْتَ قَلْبَهُمْ كَانَ هكَذَا فِيهِمْ حَتَّى يَتَّقُونِي ويخافوني** (أنا الرب)» (تثنية ٥:٢٩ ؛ ١٣،٦:٢) .

«**إِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: هؤُلاَءِ الشُّعُوبُ أَكْثَرُ مِنِّي. كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَطْرُدَهُمْ؟ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ**» (تثنية ٧:١٧-١٨).

تتابعت عشرات النصائح والتحذيرات المشابهة، وجميعها تكرر نفس الموضوع.

إنكم معرضون للخوف من الناس الذين يبدو أنهم تهديد لكم. وبدلاً من ذلك خافوا من الله، ومن الله وحده. وفي نهاية سفر العهد لم يكن موسى يتعب من تكرار التحذير.

فقد أوصى موسى الشعب: «**تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ سَائِرٌ مَعَكَ. لاَ يُهْمِلُكَ وَلاَ يَتْرُكُكَ**» (تثنية ٣١:٦). وكرر هذه العبارة مرة ثانية: «**لاَ يُهْمِلُكَ وَلاَ يَتْرُكُكَ. لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ**» (تثنية٣١:٨).

قائدان ممتلئان بالإيمان

يبدأ سفر يشوع بنفس الأسلوب. اقرأ بدايته ولاحظ النصائح (يشوع ١:١-٩). يقول الله ثلاث مرات ليشوع في مشورته الأولى له: «**تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ**»؛ «**كُنْ مُتَشَدِّدًا؛ وَتَشَجَّعْ جِدًّا**»؛ «**أَمَا أَمَرْتُكَ؟ تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لاَ تَرْهَبْ وَلاَ تَرْتَعِبْ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ**» (يشوع ١:٥-٩).

فيشوع التلميذ النجيب كرر فيما بعد هذه الوصايا المقدمة من الله وذلك عندما واجه خمسة ملوك أسرى. قال يشوع لبني إسرائيل: «**لاَ تَخَافُوا وَلاَ تَرْتَعِبُوا. تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا**» (يشوع ١٠:٢٥). وقد اقترنت ثقته بالطاعة، مثلما يجب دائمًا أن يكون، وقام هو شخصيًا بذبح الملوك الخمسة بسيفه. فخلال مثل هذه القيادة ترك يشوع أروع تراث: «**وَعَبَدَ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشُوعَ**» (تثنية ٢٤:٣١).

كان داود نموذجًا لامعًا آخر لرجل يخاف من الله وليس من الناس. فتدور مزامير داود غالبًا حول سؤال واحد: من الذي أخاف منه: الله أم الناس؟ «**يَمْلِكُ الرَّبُّ إِلَى الأَبَدِ**» (مزمور ١٤٦:١٠). الإنسان الفاني يموت فتفنى أفكاره وخططه معه (مزمور ١٤٦:٤). الله ترس له ودرع (مزامير ٣:٣؛ ٥:١٢؛ ٧:١٠)؛ وملجأ له (مزموري ٥:١١؛ ٩:٩)؛ وقوته (مزمور ١١٨:١٤)؛ وصخرته وحصنه ومنقذه (مزمور١٨:٢). وعندما كان خائفًا تذكّر أن الناس قد يكون عندهم قوة عظيمة بالنسبة له، لكنهم ليس لديهم أي قوة بالنسبة لله إلهه.

لقد عملت لمدة عامين في مستشفى عسكري. وخلال ذلك الوقت سمعت الكثير من قصص المحاربين ورأيت عواقب الحرب. فقد يصحو بعضهم على كوابيس تسببها أحداث جرت قبل ذلك بأربعين سنة. واستخدم بعضهم العقاقير لتهدئة مخاوفهم وتسكين الصور الذهنية. وانعزل البعض الآخر كطريقة لحماية أنفسهم. وقد ظل البعض منهم حذرًا دائمًا كما لو أنهم لم يتركوا ميدان المعركة. واستعمل البعض الآخر الغضب كوسيلة لإبعاد الآخرين. فلو أنك سمعت قصص القتال منهم فربما تظن أن الخوف من التهديد ومن الخطر شيء طبيعي.

كنت أقول إنه طبيعي تقريبًا. كان داود يتعرض كثيرًا لتهديدات من العدو وعندما كانوا يهددونه كان يشعر بالخوف. لكن ذلك لم يكن بالضبط خوفًا من الناس، كما لم يثر لديه الخوف من الناس. إن الخوف من الناس مبالغة خاطئة لتجربة عادية.

دعني أفسر ذلك. لا بد أن نشعر بالخوف عند أي تهديد جسدي. فبالطبع ليس من الخطأ أن يتدفق الأدرينالين لديك عندما يطلق عليك النار. لكن الخوف من الناس خوف مسعور. فقد يبدأ بالخوف الطبيعي مصحوباً بالتعرض للتهديد والضعف. هذا الإنذار أحيانًا لا يحكمه الإيمان. فيصبح خوفًا يستهلك ذاته وينسى الله لبعض الوقت. وعند تفعيله يصبح خوفًا يسيطر على حياتك. وفي هذ الحالة فإننا نثق في الآخرين للخلاص.

الخوف ليس خطأً في ذاته. فنحن كمخلوقات نعيش في عالم الخطية فلا بد أن نخاف في بعض الأحيان. كانت هذه هي تجربة جانيت وهي خبرة الكثيرين من المحاربين الذين عرفتهم.

لذلك فمزامير داود ليست أمثلة توضيحية للخوف من الناس. فخوفه كان في إطار معايير صالحة. ففي خوفه كان يتجه باستمرار إلى الملك. فهو نموذج أن الخبرات السيئة لا ينبغي أن تحفز الخوف الخاطئ من الناس. لكن لاحظ ما الذي فعله داود. كان يذكّر نفسه دائمًا بأنه يقف عند مفترق الطرق بين الإيمان بالله والخوف من الناس. وبالمثل، لو أنك في موقف يعتبر تهديدًا جسديًا فالأفضل أن تكون يقظًا. إنه منحدر زلق بين الخوف العادي والخوف الوثني من الناس. لكي تظل في المضمار فعليك أن تتأمل في المزامير بإيمان وتتبع مثال داود.

«اَلـرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ عِنْدَ مَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا. إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذلِكَ أَنَا مُطْمَئِنّ. وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ

فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ» (مزمور ٢٧:١-٤).

يمكنك قراءة هذا المزمور وتقول إنه يعبّر عن رغبة قلبك، فلا يكون خوفك خوفًا خاطئًا من الناس.

جانيت: حالة للدراسة

إن أشهر تهديد جسدي في الثقافة المعاصرة هو العنف الجسدي والعدوان الجنسي على المرأة. بالتأكيد كان الرجال والنساء يتعرضون لإساءة جسدية وجنسية لكن تميل النساء إلى كونهن أكثر عرضة وأكثر استهدافًا.

وبدون شك، فإن العنف الجنسي والاعتداء الجنسي على المرأة يتركها أكثر تعرضًا للخوف من الناس. فبتجربتها الحرفية تصرخ أن الناس أقوى من الله. فق كل ذلك، لو كان الله محبًا فلماذا لم يوقف المعتدي. تأمل منطق الكتاب «**عندما تحدث أمور شريرة لأشخاص صالحين**». فهو يصر أن المأساة تجبرنا على اتخاذ قرار: هل نؤمن أن الله قوي أو محب؟ إن المؤلف لا يؤمن أن كليهما ممكن.

(إن كاتب سفر أيوب) يستبعد أن يتخلّى عن اعتقاده ...أن الله قوي. تحدث أمور شريرة لأشخاص صالحين، لكن ليس الله هو الذي يريد ذلك. الله يحب أن ينال الناس ما يستحقونه في الحياة، لكنه لا يرتب لذلك دائمًا. وإذ يضطر كاتب سفر أيوب إلى الاختيار فيما بين إله صالح كلي القوة وإله قوي كلي الصلاح فإنه يختار أن يؤمن بصلاح الله[1].

1 Harold S. Kuschner, *When Bad Things Happen to Good People* (New York: Schocken, 1981), 43.

يقول الرابَي (المعلّم) كوشنر إما أن يكون الله غير محب إما أن يكون غير قوي. وفي كلا الأمرين فإن مجد الله الحقيقي يصطبغ سريعًا بهذه الأفكار. فهو يصير أصغر في أذهاننا. ولا نعود نخافه بشكل مناسب. فنحن لا نخاف إلا الناس الذين يبدون أقوى منا.

لو كان لدى أي إنسان سبب لأن يخاف من أشخاص يبدون أقوى منه لكان ذلك الإنسان هو جانيت. إن الاعتداء الجنسي المتكرر عليها من أبيها والعنف من أخيها كانت أحداثًا تحدد حياتها. لكنها كانت تعمل باحتهاد على أن تمضي فيما وراء آلام الماضي وتتجاوزها. فعبر الشهر الماضي قرأت جانيت عددًا من الكتب المسيحية والدنيوية الشهيرة عن تقدير الذات وحب الذات. ويبدو أنها جميعًا كانت تصفها بدقة. في الحقيقة لقد أحست أن هذه الكتب تفهمها أكثر مما يفهمها زوجها. وتعترف كذلك بأن هذه الكتب قد ساعدتها على فهم ذاتها بأفضل مما فعل الكتاب المقدّس. والآن حينما تكون أمامها مشكلة في حياتها ترجعها إلى «شعورها السيء بذاتها»: «إن ما أريده حقًا هو أن أحب ذاتي. فقد كرهت نفسي لسنوات عديدة حتى أنني أشعر بأنها مرض».

هذا التركيز على الذات أمر مفهوم. فجانيت تشعر أنها مملوءة بالخجل. تعتبر كراهية النفس تعبيرًا عن الخجل. ولكن ما لم يكن فحص الذات لديها يقوده الكتاب المقدّس، فإن الأمور سوف تسوء. فمسارها الحالي يأخذها بعيدًا عن الناس ويجعل من المستحيل عليها أن تنمو في مخافة الرب.

فمثلاً، كانت جانيت رافضة لأن تأتي إلى الكنيسة طوال الشهرين الماضيين. فإبنها البالغ من العمر ست سنوات نشيط ولحوح للغاية، وأحيانًا يخلق المشاكل في فصول أطفال مدارس الأحد. وكانت المعلّمة

مبدعة في إيجاد طرق للعمل معه وهو يتحسن الآن، حتى أنها كلفت شخصًا بالغًا بمتابعته طول الوقت. لكن المعلّمة فكرت أنه من الأفضل أن تعرف جانيت ماذا يحدث. فبعد أن ذكرت المعلّمة بعض سلوكياته لجانيت تجاوبت جانيت بسماحة لكنها داخليًا في رعب وغضب. لقد أحبطت لأن ابنها تم عزله وأخذت ملاحظات المعلّمة على أنها هجوم شخصي عليها وعلى أمومتها. «فاستنتجت قائلة: «الآن كل واحد يظن أنني أم سيئة». ومع كل سعي جانيت لتحقيق تقدير ذات أفضل، فإن مخاوفها من الناس ظلت تنمو. فهي تتجنب معلّمة ابنها في فصول أطفال مدارس الأحد، وبدأت تظن (بدون دليل) أن كل النساء الأخريات في الكنيسة ينتقدنها من خلف ظهرها. والناس الآخرون- على الأقل من إحساسها وإدراكها بهم - يسيطرون عليها أكثر فأكثر.

عند هذه النقطة كان السبب الوحيد على الإطلاق لمجيئها للكنيسة هو أن تقابل مساعد الراعي. وقد اعترفت مؤخرًا أنها كانت مفتونة به. لقد كان يهتم بجانيت رعويًا عندما كان عندها بعض المشاكل الطبية الحديثة، والآن لم تعد جانيت قادرة على عدم التفكير فيه. فظلت تفكر في إقامة علاقة معه. بل وتخيلت زواجها منه. وأحيانًا تنقي خيالها بالزواج من الراعي بعد أن يموت زوجها في حادث سيارة.

واعترفت بهذه الأفكار لزوجها، وكان ردة فعله طيبة. كان مجروحًا، لكنه حاول أن يبدي مساعدته لها بقدر الإمكان. فحاول أن يحبها أكثر ويقدم لها المزيد من الحب. وصارع عندما أصبح واضحًا أنه لا يوجد شيء يمكنه زحزحة خيالاتها.

وقد بدأ يرى أنه برغم ذلك، أمكنه أن يبدي نعمة ومحبة لزوجته. لم يمكنه أن يغير قلبها. لقد أقامت جانيت صنمًا لشخص في حياتها وصار متحكمًا فيها.

تأثير الخوف من الناس

ماذا يجري في علاقات جانيت بزوجها وبمعلّمة فصول أطفال مدارس الأحد وبمساعد راعي الكنيسة؟ لماذ تخضع بطرق عديدة لسيطرة تلك العلاقات عليها؟ أليس ذلك نتيجة للخوف من الخجل والعار، والخوف من الرفض، والخوف من التهديد؟

فلنتأمل الموقف عن قرب. الخجل جذوره عميقة داخل جانيت. فهي تشعر بأنها مكشوفة وعارية ومدنسة. كما تظن أن علاقتها مع أبيها وأخيها قد تفيدها، لذلك تتوق لها. وتقرأ كتب تقدير الذات التي تصف تفاهتها، والوجه الدنيوي للخجل، فتشعر كأنها تصفها هي شخصيًا. وتتلقى تقريرًا سلبيًا عن ابنها وتشعر بالمزيد من التعري والتفاهة والضآلة. وفي كل يوم تشعر كما لو أن أسوار حماية الذات لديها تتهدم. فتشعر بالمزيد من الضغف والتعرض لجرح الآخرين لها. الخجل شديد الكثافة عندها حتى أنها تفكر في أن تلحق الضرر بجسدها بنفسها، كوسيلة لتشتيت ذاتها لحظيًا وإيجاد الراحة.

هل تذكر أن الخوف من الخجل ممكن أن يكون نتيجة لخطية شخصية منا، أو نتيجة لخطايا الذين اعتدوا علينا وصرنا ضحاياهم، أو ربما نتيجة لكلا الأمرين معًا؟ إن خجل جانيت هو نتيجة لكلا الأمرين معًا، واستجاباتها للخجل تكشف عن امتزاج مضطرب بين كلا المصدرين

في حياتها. وتحتاج جانيت وضوح الشفاء من منظور كتابي، لكنها حتى الآن تتملّص منه.

إن الموضوع الصريح في حياة جانيت هو خجلها من خطيتها الناتجة عن خيالها الجنسي نحو مساعد الراعي والطريقة التي جرحت بها زوجها. وقد اعترفت بذلك وبغير ذلك من الخطايا مئات المرات لكنها ما زالت تشعر بالنجاسة.

هناك أسباب لاستمرار إحساسها بالنجاسة. أولاً، هناك جزء من جانيت يريد أن يتمسك بالعلاقة التي في خيالها. فمنافعها تفوق لديها عيوبها. فهي تريد أن تتبع شهواتها الخاصة. فحبها للخطية أكبر من كرهها لها. فقد صارت طريقة مريحة أن تتوافق مع السقوط من خطايا الآخرين، الفعلية والمتخيلة. ثانيًا، هناك سبب رقيق آخر لعد إحساس جانيت بمغفرة هذه الخطية هو أنها تخلط الخجل من خطيتها مع الخجل من كونها ضحية لخطية الغير. إن جانيت تؤمن فعليًا أنها مسؤولة عن خطايا أبيها وأخيها مما يشكل جزءًا من حياتها كذلك.

كيف يمكنك مساعدة جانيت؟ إن الاستجابة الكتابية لخجل جانيت من خطيتها الشخصية هو تعليمها التوبة وكراهية الخطية. جانيت ليست مسؤولة عن خطايا الآخرين، لكنها مسؤولة عن خطاياها الخاصة. والسبيل إلى استبعاد الخجل المصاحب للخطية هو الاعتراف بالخطية والثقة بأن الله يغفر الخطايا ويشترك معنا في المعركة ضدها .

إن خجل جانيت من كونها ضحية لخطية أصعب في الحل والمعالجة. فمع أن الخجل من خطيتها الخاصة مشكلة روحية أعمق من كليهما،

إلا أنها بطرق كثيرة يكون سترها أسهل. مثل ذلك الخجل يمكن تغطيته وستره بالاعتراف بالخطية والتوبة والإيمان بالعمل الكامل الذي قام به الرب يسوع، كما رأينا.

أما الخجل نتيجة كون الإنسان ضحية فهو أكثر عنادًا. ولا يمكن للاعتراف بالخطية أن يزيله لأن الضحية ليست هي الطرف الجاني. لكن هذا لا يمنع الناس من المحاولة. فيقول الواحد منهم: «لو أنني اعترفت بخطيتي جيدًا لأمكنني الشعور بالطهارة».

وفي اجتهاد بعض الضحايا للإحساس بالنقاء والطهارة والستر، يلجأون إلى معاقبة أنفسهم كما لو أن العقاب سيطهرهم بشكل معجزي ويسترهم. فيحاولون حل الأمور مع الله بتجريح أجسادهم بسبب إحباطهم اليائس، مدمرين زيجاتهم لكي ينالوا ما يظنون أنهم يستحقونه. أو يمارسون بعض الصور الغريبة من كراهية الذات. بالطبع إن العقوبة لا تستر ولا تطهر، لكن بدافع الشك والجهل يمكن للضحايا أن يشعروا أنهم مجردون من مزايا أخرى، فيلجأون إلى العقاب مرة بعد مرة.

إن شيئًا من مثل هذا يجري في حالة جانيت. ففي قلب خطية أبيها وأخيها ضدها تشعر كأنها عريانة طول حياتها. وهي تشعر دائمًا بأنها نجسة ومُدنسة. وبصرف النظر عما تفعله فإنها تظل تشعر بقذارتها وتفسيرها الوحيد هو أنها لا بد قد جعلت أخاها وأباها يسيئان إليها بالخطية. ولا بد أن ذلك خطأ منها. ولا بد أنها قد أغوتهما بشكل ما. وغوايتها في الخيال لمساعد الراعي هي في جزء منها تقول عنها جانيت: «هكذا أنا. هذا ما أنا عليه. إنني شخصية إغرائية تدمر حياة الآخرين» فهي شخصية

حقيرة حتى أنها لا تستحق أي بركة مثل الزوج الصالح، وأنها تستحق أن تُطلّق منه لكي يتزوج من أخرى تكون له زوجة أفضل. فهي لا يمكنها أن تدخل في علاقة فعلية، لكن ربما الخيال وحده يمكنه أن يعطي زوجها المَخرَج الذي يحتاجه. تفكير مجنون، أليس كذلك؟ إنه تفكير غير ممحص كتابيًا يقويه ماضيها. وبشكل أكثر تحديدًا إنه تفكير خاطئ، لأن تفسيرها لماضيها يسبق تفسير الله. لكنه أيضًا تفكير يمكن تغييره ببناء كتابي واضح.

تركيبة كتابية للتغلّب على الخجل والتهديد

تبدأ التركيبة الكتابية بتوضيح تجربة الخجل. فالخجل شيء نعمله لأنفسنا ويعمل لنا. وقد حان الوقت بالنسبة لجانيت لكي تميز فيما بين الشكلين. لعل جانيت يمكنها أن تقرأ أمثلة من الكتاب المقدّس عن خجل وخزي الضحايا، مثل قصة دينا (تكوين ٣٤:٥)، وأمثلة من شريعة اللاويين (لاويين ١١:٢٤)، وتدنيس الهيكل بسبب وجود أشخاص نجسين (مزمور ٧٩). ولعل أوضح مثال هو ربنا يسوع ذاته. فقد حُكم عليه بالموت بأكثر طريقة مشينة ومُخزية: عريانًا على صليب. وقد شعر بالخزي ولكنه كان بريئًا. وتألم بالخجل الموضوع عليه بسبب الآخرين. هذا هو الوحيد الذي يمكن لجانيت أن تثبت عينيها عليه (العبرانيين ١٢:٢). ثم بدلاً من التركيز على أعمالها البارة، لا بد أن يتجه اهتمامها خارج ذاتها إلى الله؛ من هو؛ وماذا يقول.

ما هي ردة فعل الله نحو الضحايا الذين وثقوا به؟ أولاً، إنه يدرك خجلهم ويفهمه. هذا الفهم ليس معرفة ذهنية متحفظة. فإن الله يحزن فعليًا على إيذاء أولاده ويتصرف نحو ذلك الأمر. ربما لا نرى مركبات السماء

تتقلب وربما لا تراها جانيت بالنسبة لإيذائها بصفة خاصة طول حياتها، لكنا نعرف بالإيمان أن الله لا يترك من تأذوا (مزمور ٢٢).

الله يمد شفقته وذراعه القوية المخلّصة والمحررة ليبعد الخزي بعيدًا. لقد اختبر يسوع الخزي وأخذ لنفسه عارنا لكي لا يعود العار يحيط بنا. في الواقع، إنه بالنعمة ومن خلال الإيمان لا يعود العار جزءًا منا. وبفعل يبدو غير مدرك يتقدم الله خطوة أخرى، فيتزوج من النفس التي كانت خزيًا ويرفعها.

«لاَ تَخَافِي لأَنَّكِ لاَ تَخْزَيْنَ، وَلاَ تَخْجَلِي لأَنَّكِ لاَ تَسْتَحِينَ. فَإِنَّكِ تَنْسَيْنَ خِزْيَ صَبَاكِ، وَعَارُ تَرَمُّلِكِ لاَ تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيُّكِ (فاديك) **قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ، إِلهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى»** (إشعياء ٥٤:٤-٥).

كلمات رجاء ومسرّة لجانيت؟ ربما ليست فورية. ففكرة الاقتران بالعالي القدوس قد تكون بالنسبة لها مرعبة أكثر منها عجيبة ورائعة. من المحتمل أنها لو عندها خوف واضح من الرب، فمن الرعب أن تسعى لتجنب الله وليس تقديسًا قويًا له. ويكون من الصعب عليها أن تصدق مدى نعمة الله. فستظل على الدوام تنظر إلى ذاتها وإحساسها بعدم الاستحقاق وبالضآلة وبالقذارة. وستحاول أن تختبئ من القدوس.

لكن يجب عليها أن تصدّق ذلك. يجب أن تؤمن بكلمات المسيح أكثر مما تؤمن بأي شيء آخر. يجب أن تتبع المبدأ: فكل من يتطلع لي مرة فسأتطلع إلى الرب عشر مرات. ينبغي أن تتأمل في هذه الوعود المحبة من فم الله. فإذا ظنت أنها أبعد من النعمة فلا بد من تصويبها.

مثل هذا التفكير مبني على افتراض غير كتابي بأن أعمالنا إما تبعدنا عن الله أو تقربنا نحوه. وهذا إنكار للنعمة ذاتها. فهذا الفكر يقول إن هناك بعض أعمال البر التي ينبغي عليها عملها لكي تقابل الله في منتصف الطريق. وهذا لا علاقة له بإنجيل يسوع. فالإنجيل متاح فقط لمن يعرفون قذارتهم ونجاستهم.

إن خوف جانيت من أن تتكشف (الخجل) يقف مع خوفها من التعرض لاعتداء (التهديد). وإذ نشأت جانيت في بيت تتعرض فيه لاعتداء جنسي غير متوقع، فإنها كانت تتلفت دائمًا. فكانت تقول إنها تشعر دائماً «كما لو أن كارثة ستحدث لي. فأحس بها كأنها في الركن القريب» أحست بالصغر كما شعرت بانها تعيش وسط من هم أقوياء. كان لديها اعتراف صريح بالإيمان، لكن غاب عنها عملية المعايشة اليومية في الثقة بيد الله القوية المحبة. **فعندما يكون الإنسان كبيرًا يصير الله صغيرًا**.

ربما يظن واحد أن الدراسة الموسعة لقوة الله المهيمنة تساعد جانيت في التعامل مع هذا الجانب الخاص من الخوف من الناس. إلا أن صور الله الجالس على العرش لا تتكلم بعمق إلى هذا الخوف من الاعتداء. يجب أن تعرف جانيت أن هذا الله المهيمن هو صالح. إنها تؤمن بأن الله يملك على كل شيء، لكن حبه لها قليل. فاستسلمت لمزاعم الشيطان بأن الله ليس لشعبه ولا يهتم بهم. والتأمل المثابر للمسيح على الصليب يكفي لإزالة هذا الخوف. وستعرف أنه ليس هناك أي إنسان قادر على أن يحبط مقاصد الله الصالحة لحياتها.

ومع وجود أشخاص كبار في حياة جانيت، فالأرجح أنها ستشعر بالحساسية تجاه الرفض، وهو ما حدث بالفعل. فإذا كان هناك كوب

مشروخ ينتظر أن يمتلئ بالقبول، فيكون هو جانيت. فقد أحست باحتياجها الدائم للتأكيد والمديح من زوجها. كما احتاجت أن يقدم لها أبوها وأخوها العلاقة التي لم تكن بينهم على الإطـلاق. كما احتاجت إلى أن يفهمها الناس واستاءت أن تنال ذلك من خلال الكتب وليس من خلال السيدات في الكنيسة. وكان لديها احتياج أن يتم استيعابها كأم صالحة. واحتاجت أيضًا إلى القرب من الرجال الآخرين. لكن كل هذه الأمور لم تملأها ولم تشبعها. فكانت تتطلع دائمًا للمزيد.

من فضلكم تفهّموا أن أي إنسان يجتاز في تجارب جانيت سيشعر بإحساس معين من الفراغ. فضياع العلاقات مع أفراد الأسرة أمر محزن للغاية، والرغبة في إقامة علاقات جيدة رغبة قوية. ليست هذه الرغبة هي التي تشكل خوفًا من الناس. لكن عندما تصل الرغبة إلى مستوى الإلحاح يمكن أن نكتشف وجود أصنام للبشر في حياتنا. وعندما تصل الرغبة إلى مستوى الإلحاح نهتم برغباتنا أكثر من اهتمامنا بمجد الله.

وفي حالة جانيت، كانت الرغبة بالحقيقة، قد نمت إلى حد الإلحاح فتشعر بالاحتياج. فهي لا تؤمن بأنها يمكن أن تثق في الله من أجل سلامتها وأمنها. فطريق الخروج من هذا الوضع بالنسبة لها هو أن تعترف بأنها كانت مشغولة بالاحتياج للآخرين لأغراض عديمة الإيمان. وبدلاً من ذلك يمكنها أن تسعى إلى محبة الآخرين بدافع من المحبة للمسيح والأمان الذي تتمتع به فيه، رغبة في تمجيده. وبدلاً من تعريف نفسها بشكل قاطع بأنها محتاجة، يمكنها ممارسة أحد الأشكال السائدة التي قدّمها لنا الله: فنحن خدام الله العليّ القدوس المدعوون لأن نحب أكثر من أن نحتاج.

هل يبدو هذا قسوة زائدة مني؟ أرجو ألا يكون كذلك. إن قصة العهد القديم يدين فيها الله الظلم والعدوان، ويفيض بالتعاطف مع الضحية. فنِصف المزامير هي تأملات في هذا الموضوع. لذلك، فكل المشورة المقدمة لجانيت ينبغي أن تفيض بالتعاطف معها والغضب على الظلم الذي تألمت به. وإلا، فإنها ليست مشورة كتابية.

هل يبدو الأمر كأنني ألتمس العذر لخطية جانيت؟ مثل هذا التاريخ المأساوي لا يعني أننا نتجاهل الخطية التي في حياة جانيت. فإذا فعلنا ذلك، فمعنى هذا أن مشكلة إيذائها أعمق من مشكلة الخطية، وأن الحقيقة هي أنه ليس هناك ما هو أعمق من إثمنا. كذلك، فإن تجاهل خطية جانيت يزيد من إيذائها. فسيمنعها من أن تعرف الحرية الحقيقية من الذنب، والفرح بالغفران، وعظمة محبة الله.

المشكلة في الكثير من الكتب المسيحية هي أنها لا تخرجنا من داخل أنفسنا ولا تتيح لنا أن نضع رجاءنا في المسيح وحده. بل بالعكس، يبدو كما لو أنها تتركنا محاصرين بالألم. إن وجهة النظر المسيحية بشأن موضوع الإيذاء محورها الله على الدوام، وهذا هو هدف تقديم المشورة لجانيت. يبدأ الإرشاد الكتابي بالسماع عن التعاطف الكبير من الله. ويستمر بفحص قلوبنا لكي يمكننا أن ننمو في الطاعة للمسيح، ويتنهي بالثقة بأن الله إلهنا هو الله القوي العادل والمحب.

هل يمكن لتاريخ الإيذاء أن يزيد من ميلنا نحو الخوف من الناس؟ ليس هناك شك في أنه يمكنه أن يجعل بعض الناس أكثر حساسية.

لكن هذا التاريخ لا يمكنه أن يجبرنا على الخوف من الناس، كما لا يمكنه أن يمنعنا من ترك الخوف خلفنا.

الاختيار أمامنا

الأصحاح السابع عشر من سفر إرميا هو النص الكتابي التقليدي عن الخوف من الناس. فهو يختصر قرارات الحياة إلى اختيارين: هل تثق بالإنسان أم أنك تثق بالرب؟

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ، وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ. وَيَكُونُ مِثْلَ الْعَرْعَرِ فِي الْبَادِيَةِ، وَلاَ يَرَى إِذَا جَاءَ الْخَيْرُ، بَلْ يَسْكُنُ الْحَرَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ، أَرْضًا سَبِخَةً وَغَيْرَ مَسْكُونَةٍ. مُبَارَكٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَكَانَ الرَّبُّ مُتَّكَلَهُ. فَإِنَّهُ يَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى مِيَاهٍ، وَعَلَى نَهْرٍ تَمُدُّ أُصُولَهَا، وَلاَ تَرَى إِذَا جَاءَ الْحَرُّ، وَيَكُونُ وَرَقُهَا أَخْضَرَ، وَفِي سَنَةِ الْقَحْطِ لاَ تَخَافُ، وَلاَ تَكُفُّ عَنِ الإِثْمَارِ» (إرميا ١٧:٥-٨).

يشير العهد القديم إلى أننا نقف عند مفترق طرق بين الخوف من الآخرين ومخافة الله. فالطريق الذي يؤدي إلى الخوف من الناس يمكن التعبير عنه بالمحاباة، حيث تريد من الآخرين أن يحسنوا الظن بك وتخاف أن تنكشف أمامهم، أو تتفوق عليك قوتهم الجسدية المتصورة. وعندما لا نحارب هذه المخاوف بالخوف من الرب فإن التبعات تكون وخيمة مدمرة. لكن عندما نعطي الله مكانته الصحيحة في حياتنا تنكسر القيود القديمة.

لمزيد من التفكير

تأمل في قسم آخر من الأسفار المقدّسة. عندما كان الرب يسوع يرسل تلاميذه لدعوة الآخرين إلى الملكوت، ذَكّرهم بأنهم سيقابلون عددًا من المشاكل. فسيرفضهم الناس، ويجرونهم إلى المحاكم ليجلدوا علانية. ستكون خدمتهم سبب انقسام وغضب الكثيرين من الناس منهم. وبتعبير آخر، فإن التلاميذ سيجَرّبون بالخوف من الناس. ونتيجة لذلك أرسلهم الرب يسوع وقال لهم: «**وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ**» (متى ١٠:٢٨).

إن نصيحة يسوع لهم تحدثت بصفة خاصة عن الخوف من التهديدات الجسدية، المشابهة للتهديدات التي واجهت إبراهيم. لكنه يأخذ أسوأ ما يمكن أن يحدث لهم وهو القتل، ويقول إنه حتى التهديد بالموت ينبغي ألا يسبب للتلاميذ الخوف من الناس. إن كان هذا التهديد القاسي يقارن بالخوف من الرب فستكون التهديدات بهذا الرفض ليست قاتلة. لا تنسوا أن التلاميذ كانوا مثلنا تمامًا. فقد كانوا يريدون أن يحبهم الناس. ولذلك فإن الأصدقاء وغيرهم من الناس في بني إسرائيل كانوا بنفس خطورة الأعداء الذين يريدون قتلهم.

فكر في نصائح الرب يسوع: «**وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ**». هل تشعر بالقوة المحررة في تلك النصيحة؟ هناك شيء في قوة الله، بجانب فكرة جَهَنم، تستطيع أن تستأصل التفكير المؤلم المُصاحب للخوف من الناس.

الفصل الخامس

العالم يريد مني أن أخاف من الناس

«الفردية في البداية تضعف فضائل الحياة العامة، فهي تهاجم وتهدم كل أمر آخر ، وعلى المدى الطويل تُمتص في الأنانية الصريحة. والأنانية رذيلة عمرها من عمر العالم... الفردية من أصل ديمقراطي».
- أليكسيس دي توكفيل.

لسنا في حاجة إلى الاقتناع أو المناورة لكي نضع رجاءنا في الناس أكثر منه في الله. ومثل نوبات الغضب في الطفل فإن هذا ليس سلوكًا يحتاج إلى أن نلاحظه أو نتعلمه. فالخوف من الناس شيء نفعله بشل طبيعي. فهو غريزة في الإنسان منذ السقوط. فالعالم وافتراضاته الأدنى من الكتاب المقدس تزيد من ميلنا إلى الخوف من الغير وتوقيرهم.

الخطوة الثالثة: اعرف أين ازداد خوفك من الناس بادعاءات العالم.

ينبغي أن يأتي هذا بغير مفاجأة. فالكتاب المقدّس يحذرنا من أن هناك نمطًا دون الكتاب المقدّس للعالم يرجونا أن نتوافق معه. كان الرب يحذر بني إسرائيل في العهد القديم من أن العالم من حولهم بكل ممارساته الوثنية يعتبر تهديدًا خطيرًا لهم. كذلك الكنيسة الأولى كانت متأثرة بالعالم.

وظلت ثقافة اليهود تجر رسالة الإنجيل إلى البر بالأعمال والشريعة (كولوسي ٢). وبالتأكيد إن هذا العصر لا يختلف عن كل زمان آخر في تاريخ شعب الله. فالعالم يغري قلوبنا لنعيش من أجل استحسان الآخرين لنا.

كيف يمكن للعالم «المشترك معنا في الجسد» أن يشجع على الخوف من الناس؟[1]

تأمل بعض الأمثلة. هناك ملاحظة عامة عن عالمنا هي أننا نعيش في ثقافة الإيـذاء. فالخطأ دائمًا خطأ الغير. فأنت مسؤول عن أفعالي. بل إننا نلوم الآخرين على ثقافة الإيذاء لدينا. والمحامون يفعلون ذلك. فهم يؤذوننا في ثقافة الإيذاء.

لاحظ مضامين إلقاء اللوم على الآخرين. فنحن نقول إن الآخرين يسيطرون على سلوكنا. أليس ذلك خوفًا من الناس؟ فإن كنا ضحايا مزمنين فنحن ننقل مكان التحكم من عندنا إلى الآخرين. ونقول إن الآخرين يضطروننا إلى أن نفعل ذلك. بالطبع هناك إيذاء حقيقي في هذا العالم لكن كل إنسان تقريبًا يعترف أننا ندعم سلالة جديدة ومريبة من الضحايا.

إن التركيز على تقدير الذات يساهم في أن نصاب بالخوف من الناس. فمثلاً مع أن معظم كتب تقدير الذات تشير إلى أنه شيء يمكنك تنميته داخلك، إلا أن كل الكتب تقريبًا تقول إن واحدة من أفضل الطرق لزيادة تقدير الذات لديك هو أن تحقق بعض النجاحات (والتي تقارن بما فعله

1 Richard Lovelace, *Renewal as a way of life* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1985), 86.

الآخرون) أو أن تحيط ذاتك ببعض الناس الذين يؤيدونك (وهو ما يتركك معتمدًا على آرائهم). فإن كان لديك بعض المال، فيمكن تضخيم تقدير الذات لديك بيد معالج نفسي لطيف ومتعاطف.

هناك افتراضات هادئة غير كتابية في ثقافتنا تشكّل تفكيرنا وتُملي علينا الأسئلة التي نستفسر عنها. وأحيانًا نطلق على ذلك اسم العالم، كما في: «العالم والجسد وإبليس».هذه الافتراضات تؤثر في تفسيراتنا للكتاب المقدّس. فمثلاً، لأن ثقافتنا علّمتنا أن نفكر بشكل فردي وليس بشكل جماعي، فإننا معرضون للتفكير عني وليس عنا. فتفسيرنا لعبارة: «**وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا**» (أفسس ٤:٢٧)؛ هو توضيح تقليدي. هذه الفقرة تطبّق على الفرد. أي أنك لو كان غضبك شريرًا فسيكون للشيطان تحكم على حياتك. ومع أن هذا قد يكون حقيقيًا إلا أن الفقرة تتحدث في مضمونها عن الكنيسة. إن الرسالة إلى أهل أفسس تدور عن الوَحدة في الكنيسة. وكلمة «مكان» هنا تشير إلى تأثير إبليس في تقسيم جسد الكنيسة وليس إلى امتلاك الشيطان لإنسان. والعلاج هو السعي المقدّس نحو الوَحدة في الكنيسة .

وبصرف النظر عن مدى التفكير الإيجابي لدينا، فمن المستحيل أن نتجنب التأثر بهذه الافتراضات. فافتراضات العالم كمثل الهواء الذي نتنفسه.

هل سبق وتواجدت في وسط دخان مدينة كبرى؟ إنني أذكر أول مرة قدت فيها السيارة إلى مدينة لوس أنجلوس. كانت حرفيًا معبأة داخل فقاعة من الدخان. لكن ما إن دخلت لوس أنجلوس حتى تلاشى دخان المدينة.

كنت أتطلع إلى السماء فأجدها صافية الزرقة. وطالما أنه لا توجد خلفية كالجبال مثلاً، فإن الهواء يبدو صافياً كالبلور. هذه طبيعة افتراضات العالم. عندما تحيط بك فإنك لا تراها.

إن هدفنا في هذا الفصل هو أن نأخذ لحظة ونتأمل الدخان الذي يحيط بنا. يلزمنا أن نرى أنه في معركتنا ضد أن يتحكم الغير فينا، أننا لا نحارب في داخل قلوبنا فقط، بل كذلك اتجاهات الثقافة.

بعض الافتراضات الحديثة المعاصرة

بدأت عدة تغييرات مهمة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وقبل هذا، آمن الشعب بأن هناك هناك تركيبة إلهية محتومة للعالم. لكل إنسان ولكل شيء مكان. فلو أنك مولود في طبقة معينة أو أسرة أو مهنة فإن حياتك تكون مرسومة لك. فتقول: «أنا رجل إنجليزي؛ أو أنا عضو في أسقفية سانت آن؛ أو أنا مزارع؛ أو أنا الابن الثاني لأبواي». تلك هي شخصيتك. ليس هناك حاجة لقرارات وظيفية أو دينية. فهي مقررة لك بالفعل. هناك عدد قليل من أزمات الشخصية عندما يعرف كل إنسان من هو وماذا «يفترض» أن يكون. وبالتالي فإن المشاكل مع تقدير الذات نادرًا ما تطفو على السطح. (هذا لا يعني أن هذه الثقافة لم يكن فيها مشاكل أخرى؛ كل ما هنالك هو أن تلك الأسئلة حول الشخصية والهوية تم تناولها بشكل مختلف).

إن ظهور طبقة وسطى غيّر الكثير في ذلك التفكير. فلم تعد أدوار الحياة كما في السابق. كذلك نشأت الأفكار الجذرية الراديكالية الحديثة عن حياة

الإنسان وهويته، والإمكانيات التي مرت من قبل بغير استكشاف، نشأت عندما فردت الطبقة الوسطى عضلاتها في الثورة الفرنسية (١٧٨٩). كان هذا الحدث علامة سياسية لشيء أعمق يحدث. ومع طمس التمييز بين الوالد والابن، وبين الفلاح والسيد النبيل، وبدون التفكير الكتابي الصافي الذي يشكل التركيبة الاجتماعية الحديثة، نشأت فكرة عالمية جديدة وضعت الكثير من القيم على نمو الفرد وعلى الهوية الشخصية وعلى إمكانات الشخص الكثيفة بدون ربط ذلك بخضوعه لسلطان الله. كان ذلك قيام الثقافة الغربية كما نعرفها اليوم وقد قيل عنها بحق إنها نشأة عبادة الذات.

افتراضات عن اللّه

كان الله وما يزال جزءًا من هذه الثقافة. في الواقع إن معظم الناس، حينئذ والآن، يقولون إن الله موجود وإن الروح خالدة. وهذا يبدو جيدًا، كأمر أساسي بغير تقرير واضح عن يسوع، لكنه بالضرورة مصدره مسيحي.

لكن فلنقفز معًا إلى الحاضر للحظة. ما هي ردة فعلك نحو استطلاع للرأي يشير إلى أن الغالبية العظمى من الأمريكيين يؤمنون بالله وبالحياة بعد الموت، بل وبوجود الملائكة؟ هل تتشجع بأن تقول إن أمريكا دولة مسيحية؟ أم أنك تتشكك قليلاً وتطلب أن تسأل المزيد من الأسئلة؟ ربما يمكنك تخمين ردة فعلي. فنحن نعيش في وقت العودة إلى كلام الله واللغة الروحية، لكن الأحاديث نادرًا ما تتطرق إلى موضوع «الأهمية الأولى: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الأسفار المقدّسة وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الأسفار المُقدّسة، وأنه ظهر

لبطرس ثم للاثني عشر»؛ «**فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضاً: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ**» (كورنثوس الأولى ١٥:٣-٥).

قدّم القرنان الأخيران لغة الله التي تبدو جيدة لكنها منفصلة عن محتوى الكتاب المقدّس. فمثلاً، تكلّم الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو عن الله، لكنه وجد إلهه في الطبيعة. كان إلهه كله سلام وصلاح، ودفع الناس نحو شعور بالعبادة. نقل روسو المركز من إعلان موضوعي (الكتاب المقدّس) إلى خبرة شخصية ذاتية (المشاعر)؛ من الآخرين إلى الحياة الداخلية؛ ومن محبة الله والقريب إلى محبة الذات.

هل يمكنك أن ترى في هذا الخطوط العريضة للثقافة المعاصرة، ولذواتنا؟ إن سلطان المشاعر ولغة الروحانية بـدون المضمون، هي افتراضات ثقافتنا.

وبالطبع لا يمكن لهذه الافتراضات أن تستمر طويلاً قبل أن تظهر على السطح المضامين الحقيقية عن الله. لقد التزمت الثورة الهادئة بتمجيد ذواتنا والتقليل من الله في قداسته وسيادته. وقد أوضح هذا الأمر حديث رالف والدو إيميرسون:

«من السخف أن نمثّل ألوهية حياة يسوع معادلة للكون. أن نتشبث بإنسان صالح وجد في مكان ما، في وقت ما، ونقول للنفس الوليدة: تمسكي بهذا النموذج... سيري خلف هذا الشخص السابق واتخذي أخلاقياته

وتكلّمي بلغته؛ هذا هو جنون تقليد المسيحية... إنني أدير ظهري لهؤلاء المغتصبين. إن النفس تؤمن دائمًا بذاتها».[٢]

لقد صارت الذات هي الاهتمام الأسمى. ليس الله؛ وليس أنت؛ بل أنا.

هل يمكنك أن ترى بعض الروابط بين ذلك الحين وبين الآن؟ لقد احتضنت ثقافتنا «الله كما نفهمه»، والذي نعرفه برحلة داخلية. الاتكال على الله هو الاعتماد على فهمك لما هو الله المحب وما يفعله من أجلك.[٣] هناك عشرات المداخل لكل من الصلاة والتأمل. ليس هناك طريق هو الطريق الصحيح. فالشيء الحقيقي الفعلي هو الاختبار الفعلي لله ... والنمو الروحي يأتي من خلال تعميق التأمل في كينونتي.[٤] هذه هي ثمار الثقافة الجماعية «**أنت تفعل ما عليك وأنا أفعل ما عليَّ؛ إنك عندك إلهك وأنا عندي إلهي**». والشيء اللاأخلاقي الوحيد هو أن تقول إن إلهك أعلى من إله أي إنسان آخر.

ومع اكتساب هذه الافتراضات للمزيد من القبول كان هناك زيادة غير مسبوقة من الإحباط وارتفاع مذهل في عدد الناس الذين اعترفوا بغضبهم على الله. كان هناك بكاء عام من الناس الذين كانوا يطلبون أجوبة و «أنوارًا» من الله . وربما في قمة تمجيد الذات، يشجع بعض رجال الدين فعليًا مثل هؤلاء الغاضبين على «مسامحة الله!».

2 Ralph Waldo Emerson, *The journals and Miscellaneous Notebooks, VII, 1838-42,ed.,* A.W. Plumstead and H. Hayford (Cambridge, Mass.: Harvard University Press ,1969), 254.

3 Lynne Bundesen, *God Dependency* (New York: Crossway, 1989), 59.

4 John Bradshow, *Bradshow On: The Family* (Derfield Beach, Fla.: Health Communications, 1988), 234,236.

هل ترى كيف تؤثر هذه الافتراضات على الخوف من الناس؟ فكل ما يمحو مخافة الله يزيد الخوف من الناس.

افتراضات عن ذواتنا

لو كانت ثقافتنا قد ضلّت في فهمها عن الله، فستضل في فهمها عن الناس المخلوقين على صورته ومثاله. وهو بالحق ما نشاهده في الافتراضات عن طبيعة الإنسان التي نراها روتينية رتيبة. فلنطالع بعضًا منها.

إننا طيبون أدبيًا. الهواء الذي نستنشقه يقول إن الشر لا يوجد داخلنا، بل إنه موجود خارجنا. والدافع وراء ذلك بدأ في اعتقادات القرن التاسع عشر أننا يمكن أن نجد براءة الإنسان وجماله الأخلاقي الداخلي في أولئك الذين لم تلمسهم المدنية كالأطفال. فالطفل، تبعاً لرأي شليجيل، هو: «المرآة الصافية التي نرى فيها أسرار محبة الله».[٥]

هل يبدو هذا الكلام مألوفًا؟ هل سمعت عن «الطفل الذي بداخلك»؟ من المعتقد أنه هو الجوهر النقي البريء الموجود داخلنا جميعًا. وبمثل هذا الجوهر الروحي يمكن للناس أن يبحثوا لأنفسهم عن الألوهية والإعلان. كتب صمويل كوليريدج في كتابه "Biographia Literaria" (١٨١٧)، إننا نبدأ «**بأنا أعرف ذاتي**». لكي ننتهي إلى المطلق: «**أنا**». وننطلق من «**الذات**» لكي تذوب الذات وتجد أنها في «**الله**». لم يعد هناك حاجة للبحث خارج الذات، لا إلى الله ولا إلى الناس، للبحث عما هو حق. فالحق موجود داخل الإنسان.

5 *An Anthology of Modern Philisophy*, comp. D. S. Robinson (New York: Thomas Crowell, 1931), 508.

إنه أمر معاصر. هذه الافتراضات موجودة في مكاتب المشورة المسيحية (خليط من الكتاب المقدّس والعلوم الإنسانية الدنيوية)، حيث يكون المسيحيون غير مبالين بغفران الخطايا لكنهم غيورون على حاجاتهم الشخصية. كما أنها موجودة كذلك في معظم برامج الحوار حيث يكثر الإعلان عن الذات بسخاء وتمجيدها.

تأمل تعليقات نثنائيل براندين في كتاب: تمجيد الذات Honoring the Self، وهو كتاب امتدحته ميلودي بيتي في كتابها الأفضل مبيعًا: «لا مزيد من الاعتمادية المتبادلة CoDependent No More»

"إن تمجيد الذات هو أن نحب بكل حياتنا، أن نحب بكل إمكانياتنا من أجل النمو واختبار الفرح، أن نحب بعملية اكتشاف واستكشاف طاقاتنا الكامنة المتميزة إنسانيًا. وهكذا، نبدأ في أن نرى أن تمجيد الذات هو ممارسة الأنانية بأعلى وأسمى مغزى للكلمة وأقلها إدراكًا. وهذا يتطلب في رأيي، قدرًا هائلاً من الشجاعة والاستقلال والاستقامة."[6]

لم يكن ممكنًا كتابة مثل هذه الكلمات قبل القرن التاسع عشر. فلو حدث، لأدينت كأنها كلمات هرطقة. أما اليوم، فإنها كلمات أي إنسان في الشارع. إنها افتراض ثقافي أساسي. فنحن رجال صالحون ينبغي أن نحب ذواتنا لكي نكون أصحاء.

إن عبارة: «**وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**» (متى ١٩:١٩) ، تعتبر النص الكتابي البرهان (لمن يريدون برهانًا). عندما نفسر ذلك من خلال

6 Nathaniel Branden, *Honoring Self: Personal Integrity and the Heroic Potentials of Human Nature* (Boston: Houghton Mifflin, 1983), 4.

منظار ثقافي فإن هذه العبارة تعني أننا ينبغي أن نحب ذواتنا لكي نحب الآخرين. لكن في الواقع، هذه الفقرة لا ترجح مثل هذا التفسير. تكلم يسوع هذه الكلمات إلى شاب غني أحب ذاته/نفسه جدًا، وأحب مقتنياته كثيرًا. هناك وصية واحدة فقط في الفقرة، وهي: «**...أَحِبَّ قَرِيبَكَ...**». فليس هناك أي إنسان، بما في ذلك من كتبوا الأسفار المقدّسة، يمكن أن يحلم بأن هذه الفقرة تعلّمنا عن محبة الذات. فأخذ الأمر بعض التغييرات الثقافية لإعادة تفسيرها وتحويل عيوننا إلى داخلنا.

يفترض الكتاب المقدّس أن لدينا أكثر مما هو كاف من الاهتمام بالذات. إننا نحبط أنفسنا. كما أننا نصاب بالإحباط عندما لا تسير الأمور حسب هوانا. وقد نُستهلك فيما قد يظنه الناس عنا. لكن الافتراضات الثقافية قد أعمتنا. فلم نعد نرى الدخان الذي نعيش فيه. لذلك فرعاة الكنائس النامية العديدة، ينادون كل أسبوع تقريبًا عن تقدير الذات الصحي، كما لو أنهم تعلموا هذا في كل صفحة من الأسفار المقدّسة. وهناك الكثيرون جدًا من المسيحيين لا يرون على الإطلاق أن محبة الذات نابعة من ثقافة تكرم الفرد فوق المجتمع ثم تقرأ ذلك المبدأ الأساسي في صفحات الأسفار المقدّسة. وعندما نفهم الكتاب المقدّس فهمًا صحيحًا، يسألنا السؤال التالي: لماذا تهتمون بأنفسكم؟ وبالإضافة، فهو يشير إلى أن العلاج المقدّم من ثقافتنا، وهو حب الذات المتزايد، هو فعليًا المرض ذاته. فإن فشلنا في معرفة واقع وحقيقة وعمق مشكلتنا وهي الخطية، فإن الله سيصبح أقل أهمية، وسيصبح الناس أكثر أهمية.

العواطف هي الطريق إلى الحق. قال فاوست: «إنني رجل صالح يعمل أحيانًا أمورًا شريرة. ويتبع ذلك أن ما أشعر به هو صالح عامة. فالمشاعر

هي كل شيء». فالمشاعر هي التمتمة المبهمة لروح الله. لذلك فالاستقامة الأخلاقية هي أن تفعل كل ما يلهمك قلبك أن تفعله. فهذا الافتراض يعلن أنه باتباعنا للدوافع الداخلية فلا يمكن أن نفعل الخطأ.

قالت ماري: «لقد أخبرني الله بأن أتزوج من جون». وكانت منتشية وتمنى الراعي أن يشاركها سعادتها.

«من فضلك أخبريني القليل عنه»

«حسنًا. إنه ليس مسيحيًا مؤمنًا ومختبرًا بعد. في الواقع إنه حتى يرفض أن يأتي إلى الكنيسة، لكنني أعرف أنه سيفعل ذلك يومًا ما».

«فكيف تعرفين يا ماري أن عليك الزواج منه؟ كيف أعلن الله لك ذلك؟»

«أيها الراعي، إنني أشعر بذلك. وأعلم أنه صواب»

انتهت المحادثة. لقد أعلنت ماري مشاعرها لأعلى سلطة. وفي خلال سنتين ستناشد نفس السلطة مرة أخرى.

«أيها الراعي ، لا أعتقد أن الله يريد مني أن أظل في علاقة تعيسة. لقد كنت تعيسة مع جون طوال السنة الماضية. إنه لا يذهب إلى الكنيسة معي. فهو منهمك في العمل والرياضة ولم يعد لنا علاقة زوجية معًا. إنني أشعر بأنني لم أعد أحبه. لذلك قررت الطلاق منه».

بل وحتى في خدمة العبادة، يكون هدف الكثيرين هو أن يشعر الناس بشيء ما. فهوذا شلايرماخر، وهو عالم لاهوتي ألماني في القرن التاسع عشر، جعل ذلك هو جوهر الدين. فعلم اللاهوت بالنسبة له ليس سوى

مشاعر دينية واضحة. فقال: «إن الدين هو شعور بالاعتماد المطلق»[٧]. ومع أن شلايرماخر كان متطرفًا في آرائه، أليست معترفًا بها اليوم؟ هل شاهدت المعالجون بالإيمان؟ هل سمعت بالمبشرين الذين يرجون وجود استجابة جمالية لعظاتهم؟ إن تأكيد الكنيسة على العاطفة يمكن أن يكون أكثر اعتمادًا على التقاليد الثقافية أكثر من اعتمادها على الأسفار المقدّسة.

ليست مجرد العواطف السعيدة هي محورنا. ولما كانت العواطف عامة يظن أنها المصدر الرئيسي للحق لدينا، فإننا نميل كذلك إلى الاهتمام بصفة خاصة بآلامنا. إن الفكر المسيحي الأرثوذكسي تكلّم دائمًا عن المعاناة لكن في مضمون التقديس وليس تحسين الذات. فالهدف هو مجد المسيح. وهذا يختلف تمامًا عن القول إن العواطف هي الأدوات التي تتيح لنا الوعي التام باحتياجاتنا. كما أن ذلك مناقض لفكرة أن كبت العواطف هو إحدى الخطايا الكبرى في ثقافتنا، وليس سوى القبول المتزايد لمشاعرنا هو الذي يحسّن شكلنا.

المزامير بالتأكيد، تشجعنا على الحديث بأمانة مع الله في آلامنا ومعاناتنا. لكنهم يقولون اليوم لنا أن "نحتضن الآلام الشرعية وندخل في حزن" هذا الاهتمام بالألم الشخصي يميل إلى أن يقودنا إلى داخل أنفسنا وليس خارجها، إلى فهم كتابي لله، وإلى الحزن والأمور السماوية وليس الأرضية. يقول لنا صوت من القرن التاسع عشر: "تلامس مع مشاعرك". فالأمر يستغرق قليلاً لتمسك بها.

7 *On Religion: Speeches to Its Cultured Despires* (New York: Harper and Row, 1965), 106.

هذا التمجيد للمشاعر قد غير طريقة تفكيرنا. فمثلاً، سمعت عظة قدمت غرضًا رومانسيًا جديدًا للصلاة. بدأ الواعظ يقول: "إن الغرض من الصلاة هو الوعي بوجود الله. وقد استقيت تطبيقات مفيدة من العظة، لكن المقدمة كانت خاطئة. إن الوعي بوجود الله ليس هو الغرض من الصلاة. كان الواعظ يناشد خبرة المؤمنين الذين أرادوا دفعة عاطفية بعيدًا عن العبادة والعظات والصلاة.

كان هناك وقت في حياتي، كنت فيه "أتـدرب على وجـود الله". ثم حينما أحسست بوجوده كنت أصلّي. مضت كل الأمور حسنة حتى اليوم الذي لم أشعر فيه بوجوده فانتظرت لساعات، وامتلأت عيناي بالدموع، لكنني لم أشعر بوجوده. حاولت أن أصلّي لكنني شعرت بأنني محبوس مع صلواتي في صومعة مغلقة. وأخيرًا أتاني وجود الله في اليوم التالي عندما كنت أطلب المشورة من صديق صالح. كان تعليقه ببساطة هو: "لماذا لا تصلّي بالإيمان؟" لقد علّمني واحدًا من أهم دروس الصلاة؛ وهو أن الصلاة تعتمد على الله وعلى وعوده، وليس على مشاعري الخيالية.

واظب على البحث حولك. يمكنك أن تجد تمجيد المشاعر في كل مكان. فمثلاً، يمكنك أن تجده في طريقة مراجعة أفكار الخجل والخزي. فالخجل في الأصل معروض على أنه نتيجة لمشكلة بين الله وبيننا. والآن هو مختصر في كل ما يمنعنا من الإحساس الطيب بشأن نفوسنا.

استمع إلى السؤال الشائع في دراسات الكتاب المقدّس: "ماذا تشعر بشأن هذه الفقرة؟". هل من الممكن أن تكون مشاعرنا أهم بالنسبة لنا من الإيمان؟ كثيرًا ما يكون الإيمان ضعيفًا فلا نرى في ذلك مشكلة خطيرة.

ليس إلا عندما تكون المشاعر في محنة أن نقرر أن نطلب من الآخرين المساعدة والصلاة.

فعبر تاريخ الكنيسة، كانت العواطف تصور دائمًا بشيء من الشك، لأنها يمكن أن تتأرجح بشدة. وكثيرًا ما تكون هي المعيار الذي نقيّم به أحكامنا.

عندما تصبح المشاعر أهم من الإيمان، يصبح الناس أهم، ويصير الله أقل أهمية.

كل الناس روحانيون. مقابل هذه الخلفية نواجه افتراضًا ثقافيًا آخر حول الحاجة إلى المزيد من الروحانية. فقد تم اختصار الروحانية إلى الشعور بنشوة غير محدودة لا يمكن وصفها، أمام عجائب الذات أو الطبيعة، أو اختبار غير موصوف. الروحانية المعاصرة ليس فيها جهنم، ولا تعليم، ولا جوهر، فهي تدور حول المشاعر فقط.

يقول تود ويليامز مدرب الرقص إنه في مجال عمله الأخير، يتكلم عن «أن تصير واحدًا مع اللامحدود. وبإدراكك أن روحك هي انعكاس كامل لله أو للإدراك الدنيوي، تصبح قادرًا على اتحاد روحك بذلك الوعي.»[8]

منذ مائة وخمسين سنة مضت، كان الفيلسوف الدانمركي كيركجارد (١٨١٣-١٨٥٥)، يراقب نفس الشيء. فلاحظ أن الكثيرين كانوا يمضون إلى الكنيسة لكن «أن يصيروا مسيحيين فهذا أمر تافه».

8 *Los Angeles Times,* July 29, 1995, F2.

«ما معنى أن كل هؤلاء الآلاف يدعون أنفسهم مسيحيين كمسألة طبيعية؟ هؤلاء الكثيرون جدًا من الناس الذين يعيش قسم كبير منهم، حسب ما يمكننا أن نحكُم، في غربة عن المسيحية. يمكن لأي إنسان أن يقنع نفسه بذلك بأبسط مراقبة. الناس الذين ربما لم يدخلوا الكنيسة مرة واحدة، ولم يفكروا في الله، ولا يذكروا اسمه إلا عند القسم. الناس الذين لم يحل عليهم أن يكونوا في التزام تجاه الله... في قاع كل هذا، لا بد أن هناك اضطرابًا قويًا ووهمًا رهيبًا، بالتأكيد كان الأمر كذلك.»[9]

يبدو كيركجارد كنبي لعصرنا. فالصغار يرجعون إلى الكنيسة، لكن أحيانًا لا يبدو كأن الملكوت يتقدم بقوة.

مدمنو الكحوليات المجهولون «AA» هم نموذج آخر. عندما كان بيل ويلسون مؤسس جمعية مدمني الكحوليات المجهولين، في المستشفى يعالج انغماس مخمور آخر من الكحوليات، رأى نورًا لامعًا فسره بأنه خبرة دينية. فقال فيما بعد، إن هذه الخبرة الدينية/الروحية كانت ضرورية لرزانته وصحوته. لكن هذا الاختبار الروحي كان منفصلاً تمامًا عن شخص الله. «فالروحي» ببساطة كانت تعني له غير الموصوف، وهو شعور بالكمال والعجب.

واليوم يبدو أنه يمكنك أن تكون روحانيًا إن كنت تؤمن بأتفه الأمور.

* إنني آخذ ما أريده من الكتاب المقدّس والكنيسة وأترك الباقي.
* اجتماعات مدمني الكحوليات المجهولين تدور حول إيجاد قوة روحية.

9 Soren Kierkegaard, *The Point of View for My Work as an Author: A report to History.* (New York: Harper and Row, 1962), 74.

* ما زالت عندي مشكلة مع فكرة إله المسيحية... فأنا أعتقد في الله إله الكون بما لديه من حس الصلاح.

الروحانية هي في الأسلوب. ففي عصر انفجار التقنيات، ما زلنا نعرف أن هناك أسرار. فالناس يريدون الاحتفاظ بإحساس العجائب في حياتهم. وبتعبير كتابي، لا يمكن إنكار معرفة الله؛ لكن يتم تشويشها.

عندما يتم اختصار الله والروحانية إلى معايير المشاعر لدينا، فإن الله لن يكون بالنسبة لنا ذلك الإله القوي الذي كان لدى بني إسرائيل. ومع اختصار الله في عيوننا، سينتعش خوفنا من الناس.

علم النفس : الوكيل المسؤول عن الافتراضات الثقافية

صار علم النفس الإنساني الدنيوي هو المسؤول الرسمي عن هذه الافتراضات المعاصرة. فتمت تغذية مفهوم «الشخص كإله»؛ والتركيز على العواطف وأهمية الروحانية. كما طورت موضوعًا مشابهًا هو «الإنسان كمحتاج نفسيًا».

لاحظ تأثير فرويد على هذا الأمر. فمع أنه لم يقل كلمة «محتاج» بصفة خاصة، إلا أنه نقل عنه قوله إنه أبو الاحتياج للتعبير الجنسي، والحاجة إلى أبوين متساهلين. فتحدث عن الغرائز (الاحتياجات)، التي تطلب التعبير عنها. فادّعى أنه لو لم يتم إشباع هذه الغرائز فستكون النتيجة اضطراب أعصاب الكبار.

إن الناشر الحقيقي لهذا المفهوم عن الحاجات النفسية هو أبراهام ماسلو. فنظريته عن التفعيل الذاتي تؤكد أننا عند الولادة يكون عندنا هرم من الاحتياجات. وتبعًا لكلام ماسلو فإن أهم هذه الاحتياجات هو الاحتياجات البيولوجية والحاجة إلى الأمـان. فعندما تسدد هذه الحاجات يمكننا أن ننتقل إلى إشباع الحاجات النفسية الأقل إلحاحًا وأهمية؛ وهي الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى الحب، والحاجة إلى التقدير من الآخرين، والحاجة إلى تقدير الذات.

ما الذي يجعل الناس عصبيين؟ إجابتي...هي باختصار أن العصبية في صلبها وفي بدايتها هي رفض النقص. فهو يولد من قلب الحرمان من إشباعات معينة والتي أدعوها احتياجات، بنفس مغزى أن الماء والأحماض الأمينية والكالسيوم هي احتياجات، وبالتحديد فإن غيابها يُنتج مرضًا. تتضمن معظم الاضطرابات العصبية ... رغبات غير مشبعة نحو الأمان أو الانتماء أو تعريف الشخصية أو علاقات الحب اللصيق أو الاحترام والمركز.[١٠]

يفكر كل من فرويد وماسلو في الاحتياجات (الدوافع) بشكل مختلف، لكنها متفقان على ثلاث نقاط أساسية: الاحتياجات النفسية موجودة؛ وهي جزء أساسي جوهري في كيان الإنسان، والاحتياجات غير المشبعة ستؤدي إلى نوع من المرض الشخصي. ويمكن إلى هذين الأمرين الضروريين أن نضيف سمة إضافية من الاحتياج النفسي أو نظريات النقص: إنها أمريكية خالصة. إن نظرية الاحتياجات يمكن أن تنتعش في محيط يكون التركيز فيه على الفرد وليس على المجتمع، وحيث

10 Abraham Maslow, *Towards A Psychology of Being* (New York: Van Nostrand, 1968), 21.

الاستهلاك هو وسيلة للحياة. فإن سألت معظم الأسيويين أو الأفارقة عن احتياجاتهم النفسية فربما لن يفهموا السؤال.

إن نشأة هذه الاحتياجات النفسية أمر حتمي. فإن كنت تمجد الفرد وتجعل العواطف هي الطريق نحو الحق، إذن فمهما تشعر بقوته فهو يعتبر جيدًا وضروريًا من أجل النمو. وكل ما تشعر به بقوة فهو يعتبر احتاجات مقدمة من الله. وهذا هو سبب أن الخطية غير المغتفرة في ثقافة اليوم فهي إما تنكر عواطفك أو تكتمها. العواطف تشير إلى احتياجات، وإنكارك لاحتياجاتك هو إنكار لشيء يعطيه لك الله وهو مثل الله.

هل تسمع الطريقة التي بها تشجع ثقافتنا الخوف من الناس؟ «الاحتياجات» أو «الحقوق» تؤدي بلا مقاومة إلى الخوف من الناس. وقد رأينا أنه مهما كان ما تفكر في احتياجك إليه، فستأتي إلى الخوف. فإن كنت تحتاج إلى الحب (الشعور بالرضا عن ذاتك)، فسرعان ما يتحكم فيك الشخص الذي يستغني عن الحب. كما أنك تقول إنك بدون حب هذا الشخص ستكون متأخرًا روحيًا، وغير قادر على تقديم الحب للآخرين. وبهذا النوع من المنطق المعاق روحيًا والذي يحمل ثمرًا رديًا في كل مكان، فلا عجب أنه حتى علماء النفس يطلبون الإصلاح للافتراضات الأساسية في الثقافة.

لقد قام علماء النفس بتقديم إسهامهم في هذا الشأن. وبينما قد لاحظوا بدقة أن الناس من ذوي التقدير المنخفض للنفس، يضعون الكثير من الرجاء على الآخرين ويخافون من الناس، وعلاجهم لا يحرر المريض. لاحظ ما يقدمونه: القبول العلاجي، والحب غير المشروط، والتأكيد

المستمر. وبتعبير آخر: «لا تصدق ما يقوله عنك الآخرون، ولا تؤمن بالتقارير السلبية عن ذاتك. بل بالعكس، آمن بما أقوله أنا». مثل هذا العلاج يعيد تأهيل الخوف من الناس بدلاً من القضاء عليه.

إنه شعور أفضل، لأنك تضع رجاءك في شخص يؤيدك وليس يتهمك.

تأثير علم النفس المسيحي

في نفس الوقت، فإن الكنيسة المسيحية كانت تصغي لكل ما كان العالم يقوله. لقد اكتشف الكثيرون من الرعاة وقادة الكنيسة تلك الافتراضات غير الكتابية وحاولوا كشفها. إلا أن أشهر استجابة كانت هي استيعاب أفكار العالم بقليل من التطوير. فمثلاً، فإن واحدًا من أكثر الكتب مبيعًا في سوق الكتاب المسيحي جعل هذا الافتراض عن «الاحتياجات» مركزيًا لفهم الشخص لها. فرأيه أن الإنسان مثل كوب فارغ سلبي ينتظر أن يمتلئ. فيقول مؤلفو الكتاب:

«هناك احتياج مقدم من الله أن تكون محبوبًا ويضعه في كل طفل مولود. إنه احتياج مشروع لا بد من تسديده وإشباعه منذ المهد. فإن حُرم الأطفال منه، وإن لم يتم إشباع ذلك الاحتياج الأولي، فإنهم يحملون معهم آثاره طول الحياة»[11]

إن امتلأ كأس احتياجاتنا بمحبة الآخرين، فسنكون سعداء. فإن كان كأس احتياجاتنا فارغًا أو غير مملوء للنهاية، فسنصاب بمشاعر سيئة.

11 Robert Hemfelt, Frank Minirth, and Paul Meier, *Love is a Choice* (Nashville, Nelson, 1989), 34.

تأمل هذا القول جيدًا. فهو يعبر عن افتراض يتمسك به عشرات من الكتّاب المسيحيين. إنه فكر لاهوتي غير ممتحن. ويبدو صائبًا. إنني أعترف بأنني قد شعرت بالاحتياج والفراغ عندما لم أجد الحب الذي أريده أو بالطريقة التي «أحتاجها». لكن مجرد احتياجي إلى الحب لا يعني أن هذه الرغبة هي «احتياج من عند الله»، أو أنها «احتياج مشروع»، أو أنها «احتياج أولي أساسي».

هناك فعلاً بعض الاحتياجات من عند الله، لكن يلزمها المزيد من البحث في الكتاب المقدّس لكي نميز بينها؛ (سنفعل ذلك في الفصل التاسع). عند هذه النقطة يمكننا ببساطة أن نقول إن النقاش حول الاحتياجات أكثر تعقيدًا مما يبدو عليه أولاً. فمن الممكن أن مناقشتنا الحالية حول الاحتياجات ربما تتشكل أكثر بنظريات علم النفس الدنيوية أكثر منها بالكتاب المقدّس.

لو كان الأمر كذلك، فلا بد أن نكون حذرين ونحن نقول «إن يسوع يسدد كل احتياجاتنا». فأولاً هذا مقبول كتابيًا. فالمسيح صديق لنا، والله أب محب لنا، والمسيحيون اختبروا احساس المعنى والثقة في معرفة محبة الله. فهذا يجعل المسيح هو الجواب والحل لكل مشاكلنا. لكن إن كان استخدامنا لكلمة احتياجات مبهمًا وغامضًا، ومدى معناها يمتد إلى الرغبات الأنانية (رفاهيتكم)، إذن فسيكون هناك بعض المواقف التي نقول فها إن يسوع لا ينوي أن يسدد احتياجاتنا، لكنه يريد أن يغيّر احتياجاتنا.[١٢]

12 See Welch, "Who Are We? Needs, Longings, and the Image of God in Man," *The Journal of Biblical Counseling* 13, (1994): 25-38

ردة الفعل العنيفة الناشئة

حدث أمر آخر في هذا التاريخ القصير للاحتياجات النفسية. حاليًا، هذا الرأي الشائع والمقبول على مجال واسع، عن الإنسان، يتم مراجعته بجدية في دوائر العالم. فقد صار الناس يرون أن الانغماس في الاحتياج والفراغ أمر «مرضي وغير صحي»، لكل من الأفراد والمجتمع. فمثلاً، في الصحافة المشهورة انتقد البعض نظريات الاحتياج بأنها التبرير النظري للأنانية المتفشية والإيذاء المزمن في ثقافتنا. فهم يرون المضامين: فلو أن الناس حقًا على هيئة الكأس، فلا بد أن الإنسان مستقبل متلقي سلبي وليس مفسرًا إيجابيًا وفاعلاً مسؤولاً في عالمنا. فلن يقع اللوم علينا على الإطلاق، لأن كل المرض هو نتيجة لعيوب وتقصيرات مقحمة في علاقات الماضي. ويؤكد البعض أنه على الأقل في مجال الإعلام، هذا يخلق فوضى في نظام العدالة. «فلن يستمر الأمر طويلاً على هذا المعدل، حتى يكون الحكم الإلزامي بجرائم العنف مجرد احتضان وصرخة جيدة.»[١٣]

إن الصحافة الأكاديمية كذلك تدعم فكرة أن الإنسان المعاصر لا بد من تعريفه بأنه إناء فارغ أجوف. ففي مقال مهم في دورية «علماء النفس الأمريكان» يقول فيليب كوشمان أن «الذات الفارغة منتج خطير لثقافة تريد أن تمتلئ، نفسيًا وماديًا.»[١٤]

فالجناة، تبعًا لرأي عالم النفس كوشمان، هم الحرفة النفسية وصناعة الدعاية. فكل منهما يحاول أن يخلق إحساسًا بالاحتياج من أجل ترويج

13 *The Economist,* February 26, 1994, 15.

14 Philip Cushman, "Why the Self Is Empty?", *American Psychologists* (May 1990), 599

المنتجات. وبالإضافة، فإن البيع النفساني للاحتياجات قد أدى إلى جيل من أفراد يعانون من الفراغ والهشاشة والإحباط.

ويردد المؤرخ والفيلسوف كريستوفر لاش هذه الاهتمامات.

«إن المناخ المعاصر علاجي وليس دينيًا. فالناس اليوم ليس لديهم جوع نحو الخلاص الشخصي، ناهيك عن استرداد العصر الذهبي المبكر، لكنهم نهمون نحو المشاعر، وأوهام اللحظة والرفاهية الشخصية والصحة والسلامة النفسية.»[١٥]

إننا نعيش اليوم وقتًا رائعًا ساحرًا. فأجزاء من الكنيسة افتتنوا بافتراضات العالم، وهذه الافتراضات قد زادت من مشكلتنا مع الخوف من الناس. بل إن العالم ذاته، يتحدى نفس هذه الافتراضات. فهو يريد أن يرى زوال كأس المحبة المتسربة، كما يريد أن يعيد دراسة تعليمه عن الاحتياجات. إلا أنه ليس لديه بدائل مُرضية مُشبعة.

بتعبير آخر، إنه وقت نموذجي بالنسبة لنا لتطوير تعليم كتابي واضح ومفيد عن من نكون وكيف يمكننا أن نتجنب أن تسيطر علينا الأمور التي نشعر باحتياجنا لها.

لمزيد من التفكير

يستعرض هذا الفصل بإيجاز، تاريخ بعض الافتراضات الثقافية عندنا. فيرجح أن تلك الافتراضات قد أصابت عدواها الكنيسة؛ فالذات أهم من الجماعة والمجتمع؛ والـذات صالحة طيبة؛ وتمجيد المشاعر

15 Christopher Lasch, *The Culture of Narcicism* (New York: Norton, 1978), 7.

والاحتياجات؛ والروحانية المنفصلة عن موت الرب يسوع وقيامته؛ وأسلوب حياة الإيمان والطاعة. خذ وقتك في التأمل في كيفية تأثير هذه الافتراضات على حياتك.

١- أين تجد افتراضات العالم (في الكتابات الأدبية، وفي الفنون، وفي الأفلام السينمائية، وفي المحادثات)؟ تأمل البحث من خلال قسم المساعدة الذاتية، أو قسم علم النفس في المكتبة المحلية.

٢- أين تجد هذه الافتراضات داخلك؟ تذكر أن هذه الافتراضات قد لا تتفق مع علم اللاهوت الرسمي لكنها قد تنكشف في طريقة حياتك.

٣- اسأل مُرسلين من كنيستك عن ما يرونه في الكنائس المحلية وليس فقط في الكنائس الأجنبية.

القسم الثاني
الانتصار على الخوف من الآخرين

يستكشف القسم الثاني الأفكار الكتابية التي تعينك على اتخاذ الخطوات التالية لكي تتحرر من الخوف من الناس.

* الخطوة الرابعة: افهم مخافة الرب واعمل على النمو فيها. إن من يخاف الله لن يخاف من أي شيء آخر.

* الخطوة الخامسة: افحص أين تكون رغباتك كبيرة للغاية. عندما نخاف من الناس، يبدو الناس كبارًا وتكون رغباتنا أكبر ويبدو الله صغيرًا.

* الخطوة السادسة: افرح بأن الله ستر عارك وحفظك من الخطر وقبلك إليه. لقد ملأك بالمحبة.

* الخطوة السابعة: ليكن احتياجك للناس أقل وحبك لهم أكثر. فبدافع طاعتك للمسيح وكردة فعل لحبه لك، اتبع المحبة مع الآخرين.

الفصل السادس

اعرف مخافة الرب

«**فَيَكُونُ أَمَانُ أَوْقَاتِكَ** (أزمانك) **وَفْرَةَ خَلاَصٍ** (نجاة) **وَحِكْمَةٍ وَمَعْرِفَةٍ** (علم)**. مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ كَنْزُهُ**» (إشعياء ٣٣:٦).

تشترك كل خبرات الخوف من الناس في سمة واحدة مشتركة هي أن الناس كبار. فقد كبروا ليصيروا أصنامًا في حياتنا، يتحكمون فينا. ولأنه ليس في قلوبنا مكان لعبادة كل من الله والناس معًا، فعندما يكون الناس كبارًا لا يكون الله كذلك. ولذلك فإن أول مهمة للهروب من فخ الخوف من الناس هو أن نعرف أن الله مهيب ومجيد، وليس الناس.

حدث هذا لي يوم الأحد وأنا جالس في الكنيسة، وكان شهر الأسرة. ففي كل يوم أحد من شهر فبراير تتكلم إحدى الأسر للكنيسة وتحكي عن عبادتها العائلية. كانت كل الأسر تعمل للبناء وشديدة الإيمان، لكن أسرة «شمور» أعطتني رؤية. قال روجر شمور إن أحد الأمور التي حاول عملها أثناء خدمة العبادة في أسرته هو أن يتكلم عن الله.

هكذا الأمر. كانت تلك هي الرؤية.

دعني أفسّر لك. كمشير فإنني أعيش في عالم «كيف أعمل ذلك». فكان يتحدث معي شخص محبط لأنه يريد أن يعرف كيف يتخلّص من إحباطه. وأحيانًا يأتي لي زوجان غير منسجمين عاطفيًا في علاقتهما

معًا، ويريدان أن يعرفا كيف يشعلان لهيب العاطفة مرة أخرى. وأعترف أنني أحيانًا أتكلم عن كيفية العمل أكثر من كلامي عن الله.

عندي طفلان يحضران معهما مواد رائعة من دروس أطفال مدارس الأحد. وبشكل نمطي فإنني أقرأ كل تلك الأوراق يوم الأحد ظهرًا وهي مفيدة دائمًا مليئة بالمبادئ الكتابية وتطبيقاتها. وفيها الكثير من النصائح الجيدة عن «كيف تنفذ؟». كما أن هناك الكثير من القصص التثقيفية للأولاد الذين يشعرون بالرفض من أصدقائهم وكيف يساعدهم يسوع على أن يحبوا الآخرين. وأذكر قصة منهم عن الغش وكانت رائعة بصفة خاصة. إلا أنها نادرًا ما كانت تتكلم عن الله.

لا تفهمني خطأ. أعتقد أن تطبيق الأسفار المقدّسة على تفاصيل حياتنا شيء عظيم. إلا أن ملاحظتي هي أن هذه المبادئ ليست مغروسة دائمًا في خوف الرب. والنتيجة أن هدفنا يمكن أن يكون تحسين الذات وليس مجد الله القدوس.

يلزمنا عظات تجعلنا نرتجف.

الخطوة الرابعة: افهم مخافة الرب وانمو فيها. إن من يخاف اللّه لن يخاف أي شيء آخر.

ما هي مخافة الرب؟

من فضلك لا تفكر في الرعب عندما تفكر في مخافة الرب. إن مخافة الرب تتضمن، مثل الخوف من الناس طيفًا واسعًا من المواقف. فمن جهة،

فإن مخافة الرب تعني بالحقيقة الرعب من الله (الخوف من التهديد). إننا نجسون غير أطهار، ونقف أمام الله القدير كلّي الطهارة. إننا نخجل حقًا أمامه، والعقاب عادل تمامًا. فالرعب هو ردة الفعل الطبيعي المناسب. فمثل هذا الخوف يتقلص أمـام الله. فينقص أن نتجنبه بقدر الإمكان. ليس هناك استثناء لأحـد مـن هـذا الـخـوف، سـواء مـن المسيحيين أو من غيرهم. فبالنسبة للمسيحيين المؤمنين الذين تفتحت عيونهم على محبة الله العظيمة فإن هذا الخوف يتلاشى. أما بالنسبة لغير المسيحيين فإن هذا الخوف قائم دائمًا. وسبب أنك لا تسمع الناس يتكلمون عنه هو أنه يميل إلى الظهور في صورة «قلق بشكل حر»، و»الشعور بصغر النفس» وعدد كبير من الأمراض المعاصرة الأخرى التي فقدت رؤيتها لجذورها في خوف الله. لكن هذا الخوف لن يتم التعتيم عليه إلى الأبد. فسيأتي اليوم الذي ينحني فيه كل إنسان أمام الله في مخافة الرب.

إننا نعيش في: رعب ← هلع ← رعدة ← ذهول ← خوف ← تقدير ← تكريس ← ثقة ← سجود وعبادة

إننا نختبئ من الله .... فنبحث ونقترب ونخضع لله

إننا نعرف عدالة الله المقدّسة................................. إننا نعرف عدالة الله المقدّسة ومحبته المقدّسة

←

شكل ١- مخافة الرب – تواصل

لكن هذا طرف واحد من مخافة الرب. وفي الطرف الآخر من الطيف، هناك المخافة المحفوظة تمامًا لمن وضعوا إيمانهم في يسوع المسيح. مخافة الرب هذه معناها الخضوع بتوقير، الذي يؤدي إلى الطاعة، وهو متغير بالتبادل مع «العبادة» و«الاتكال» و«الثقة» و«الرجاء». وهو مثل الرعب، يتضمن معرفة بإثمنا وبطهارة الله الكلّية، كما يشمل معرفة واضحة بعدالة الله وبغضبه على الخطية. ذلك فالعبادة تعرف أيضًا مغفرة الله العظيمة، ورحمته وعظمته. كما أنها تعرف ذلك لأن خطة الله أبدية. وقد تنازل يسوع بموته على الصليب ليفدي أعداءه من العبودية والموت. ومن المعروف أنه في علاقتنا بالله، أنه دائمًا يقول إنه يحبنا أولاً. هذه المعرفة تجذبنا أكثر نحو الله ولا تجعلنا نهرب منه. فهي تجعلنا نخضع بفرح لربوبيته ونُسرّ بطاعته. هذا النوع من الخوف الشديد هو استجابتنا نحو الله.

إن معرفة الفرق بين هذين النوعين من الخوف يوضح لنا لماذا يقول الكتاب المقدس: «**لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ**» (يوحنا الأولى ٤:١٨)، بينما في نفس الوقت يطلب منا أن نخاف الرب. يعلّمنا الكتاب المقدّس أن شعب الله لم يعد يساق بالرعب أو بالخوف المرتبط بالعقاب. بل بالعكس إننا نتبارك بخوف العبادة، الخوف المقدّس الموقر المدفوع بالمحبة الكاملة الواجبة له.

فلماذا يستخدم الكتاب المقدّس نفس الكلمة لكلا الاستجابتين؟ االمضمون الكتابي يوضح دائمًا إلى أي نوع من الخوف يشير، لكن النقطة هنا أن كلا الخوفين بينهما شيء مشترك مهم. فكلاهما ردة فعل نحو حقيقة

أن الله الواحد قدوس إسرائيل قد ملك على كل الأرض. هذه رسالة الكتاب المقدّس، وهي جوهر الخوف من الرب.

لكي تقدّر حجم هذه الرسالة عليك أن تدرك المعنى الكتابي «للقداسة». يمكن تعريف التقديس أنه «العزل»، و«الفرز»، و«التكريس»، و«التمييز»، و«عدم التلوث». وبالإشارة إلى الله فإن كلمة «قدّوس» معناها أنه مختلف عنا. لا يمكن فهم أي صفة من صفاته بمقارنتها بمخلوقاته. فمحبته وعدالته أكبر منا. هما مقدّستان. وقوته هي قوة القدير ولا يمكن مقارنتها بأي شخص آخر. وشخصه الأدبي لا نظير له لأنه هو وحده البار. ليست القداسة واحدة من صفات الله الكثيرة، بل إنها طبيعته الجوهرية المنظورة في كل صفاته. فحكمته حكمة مقدّسة، وجماله جمال مقدّس، وسيادته سيادة مقدّسة. وقداسته تضيف المجد والبهاء والتوافق لكل كمالاته الأخرى.[1]

«**فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟، يَقُولُ الْقُدُّوسُ**» (إشعياء٤٠:٢٥).

«**اَللَّهُمَّ، فِي الْقُدْسِ طَرِيقُكَ. أَيُّ إِلهٍ عَظِيمٌ مِثْلُ اللهِ؟**» (مزمور٧٧:١٣).

«**لأَنِّي اللهُ لاَ إِنْسَانٌ، الْقُدُّوسُ فِي وَسَطِكَ**» (هوشع١١:٩).

يقول البعض عن هذه «الغيرية» وهذه القداسة التي لله إنها سمو. الله ممجد فوق كل شعبه. فهو يحيا في مكان مرتفع عالٍ (إشعياء٥٧:١٥). ودينونته ورحمته أسمى منا، فهما فوق الإدراك تمامًا. وكنتيجة لذلك، فإننا لا نستخدم ملكًا أو ملكة كقالب لمعرفة الله. فعندما نقول إن الله القدوس

1 John M'Clintock and James Strong, "Holiness," *Cyclopedia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature* (New York: Harper, 1872), 4:298.

يملك علينا فمن المستحيل أن نستخدم الملوك الأرضيين كنموذج له. الله القدوس متفرد وأعظم من كل ملوك الأرض ومختلف عنهم. الله القدّوس هو الأصل، وأكثر ملوك الأرض مجدًا هم مجرد إنعكاس معتم لشخصه.

ولكي تكون قداسة الله أكثر هيبة فإن الله المتسامي اقترب منا. إنه شيء أن تعرف أن الله مرتفع وبعيد تمامًا عن كل خليقته. في مثل هذه الحالة، يمكن أن نتعود على عدم تدخله في شئون البشر. وللغرض العملي نصبح نحن آلهة لنفوسنا. لكن الله إلهنا هو أيضًا قريب منا ملاصق لنا وقد أعلن لنا ذاته وصار مثلنا. وقد قال: «**وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا**» (لاويين ٢٦:١٢). إنه قريب منا. فهو لايتركنا ولا ينسانا (العبرانيين ١٣:٥). وهو قريب ويدعونا أصدقاءه (يوحنا ١٥:١٤). وهو قريب حتى أن الأسفار المقدّسة تتكلم عن أن المسيح في داخلنا (كولوسي ١:٢٧). وإذ يعطينا طبيعته فإن هذا لا يمكن استيعابه عمليًا. لكن بنعمته يمكننا أن ننمو في معرفة قداسته، وهذه المعرفة ستطرد أصنام الناس من حياتنا وتتركنا أقل تعرضًا لأن نكون مستهلكين مع أنفسنا.

ما الذي يقاوم مخافة الرب؟

إن المشكلة التي تواجهنا في استفسارنا لكي نعرف ونخاف الرب مثلما ينبغي لمخافته أن تكون، هي أن أمامنا ثلاثة خصوم بارزين. فالعالم والجسد وإبليس يتآمرون لرفع أشخاص آخرين (أو ما قد يمكن أن ننال منهم) أعلى من الله.

إن المقاومة موجودة فعليًا في قلوبنا (الجسد)، وتتأثر بالعالم وبإبليس. في قلوبنا عشرات الاستراتيجيات والخطط لتجنب مخافة الرب.

هناك استراتيجية تقليل الطاعة، وهي التعبير المادي عن مخافة الرب، إلى الاهتمام بالمظهر. إننا نركز على الأفعال ونتجاوز عن المواقف والسلوك. وعملنا هذا يمكن لطبيعتنا الآثمة أن تعطينا إحساسًا بأننا على ما يرام. فنحن لم نقتل، ولم نرتكب الزنا، ولم نسرق أي شيء من أي مخزن. لذلك فإن يومنا طيب. ونحن بخير. وبالطبع أننا نعمل بعض الشرور. فقد نصرخ بصوت مرتفع، أو ربما نشاهد بعض الصور الإباحية. ففي هذه الحالات لا بد أن نطلب الغفران من الله. لكن بصفة عامة، نحن بخير. وإذا كنا نظن أننا بخير دائمًا، فإن الله لا علاقة له بالأمر دائمًا.

مثل هذا التفكير لا يعلن عنه أنه فكر لاهوتي صالح. لكن أليس ذلك هو الفكر اللاهوتي العملي لمعظم المسيحيين؟ أعلم أن ذلك ربما يكون ما أقتنع به. إنني إنسان صالح، يرتكب أحيانًا بعض السيئات. يتجاهل هذا التفكير أعماق الخطية في قلبي، وهو في جوهره يرفعني إلى درجة أن أكون صورة محاكاة لله بها بعض العيوب البسيطة، وليس كوني إنسانًا أعتمد عليه تمامًا. فمخافة الرب حينئذ تكون مستحيلة.

وحين نجعل الخطية أصعب في رؤيتها فذلك ركوب على ظهر أمور جيدة عديدة. فمثلاً، العمل شيء طيب لكن الخطية يمكنها أن تأخذه وتمجده إلى درجة أنه يتحكم فينا. فنصير مدمنين للعمل، نقول إننا نفعل ذلك من أجل الأولاد، لكننا في الحقيقة نفعله من أجل أنفسنا. فماذا عن التخطيط المالي؟ أليس من الحكمة أن نجمع المال ليكون بذرة للمستقبل؟ هذا أيضًا أمر طيب. لكنه قد ينمو ليصير نسبة متحكمة وننسى العطاء؟ إن معظم الخطايا هي مبالغات شريرة لأمور تبدو جيدة. ونتيجة لذلك، يمكننا أن نقدم نصوصًا للبرهنة على تبرير سلوكنا بعد أن صار صنمًا بالنسبة لنا .

يأخذ العالم هذه الميول ويلبسها ثوب المنطق والعقل. ويذكّرنا العالم بأنه مهما كانت خطايانا و«تقصيراتنا»، فنحن بشر. وكل إنسان يرتكب مثل تلك الأخطاء. فالصواب والخطأ يحدده التصويت العام. ومن يقدر أن يقول إن الله يهتم فعلاً بمثل هذه الأمور؟ يؤكد العالم أن الله حقيقي، لكنه بعيد. فقد بدأ كل شيء لكنه الآن جالس بعيدًا يترك الأمور تجري حسبما تشاء. يقول العالم إننا نعيش في كون إيماني حيث هناك إله، لكن «الله يساعد من يساعدون أنفسهم».

يقف إبليس ضد أي شيء يمكن أن يمجّد الله. فعندما نخاف من أي شيء، من إله أو إنسان أو أي شيء من الخليقة التي دون البشر، أي كائن غير الله، فإن الشيطان يقبع في الظلام الذي أوجدناه. بالأكاذيب والخداع يقلل لنا من الخطية ويؤكد أن الله بعيد وأن كلمة الله لا يمكن الثقة بها فعليًا. في الحقيقة إنه يقول إن الله يمسك بنا ويبعدنا عن الأشياء الطيبة.

إن النمو في الرب مع وجود مثل هؤلاء الأعداء، لن يكون عملية سلسة، بل بالعكس سيكون الطريق نحو الحرب. يجب أن نكره افتراضات العالم الشريرة الأثيمة، كما يجب أن نكره طبيعتنا الخاطئة، ويجب أن نكره الشيطان. ولتحقيق هذه المهام يلزمنا أقوى المصادر التي عندنا، وهي الكلمة والروح وجسد المسيح.

تعلّم مخافة الرب

ينبغي ألا يحبطنا الخصوم. فيمكن تعلّم مخافة الرب. فسفر التثنية يقرر: «**اجْمَعْ لِي الشَّعْبَ فَأُسْمِعَهُمْ كَلاَمِي، لِيَتَعَلَّمُوا أَنْ يَخَافُونِي كُلَّ**

الأَيَّامِ الَّتِي هُمْ فِيهَا أَحْيَاءٌ عَلَى الأَرْضِ، وَيُعَلِّمُوا أَوْلاَدَهُمْ» (تثنية٤:١٠). وبالمثل نصح داود الملك شعبه أن يتعلّموا مخافة الرب:

«اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ...هَلُمَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأُعَلِّمَكُمْ مَخَافَةَ الرَّبِّ» (مزمور ٣٤:٩-١١).

كيف يمكن أن نتعلّم ذلك؟ بقراءة كلمة الله والتأمل فيها، وبالصلاة لكي يُعلّمنا الله.

«وَعِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ، فَتَكُونُ مَعَهُ، وَيَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، لِكَيْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهذِهِ الْفَرَائِضَ لِيَعْمَلَ بِهَا» (تثنية ١٧:١٨-١٩).

«وَأَوْلاَدُهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا، يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ» (تثنية ٣١:١٣).

هذا ليس سهلاً. فالمواظبة على قراءة (وفهم، والتأمل في، وحفظ، وتطبيق) الكتاب المقدّس عملية شاقة. فالأعداء الثلاثة يحرصون على التأكد من أنها معركة وأن عالمنا مشغول بالفعل. لكن إن كانت مخافة الرب بنفس الأهمية التي تشير إليها الأسفار المقدّسة فيمكننا أن نتيقن من أن الله ذاته يعطينا القوة على اتّباع ذلك.

تأمل كيف يمكنك استخدام الموارد التي أعطاها لك الله. اطلب من زوجتك أو أولادك أو أصدقائك أو راعي الكنيسة أو الشيوخ الصلاة

من أجلك. تقابل مع أخ أو أخت. اسألهما كيف يشهدان لله المهوب. ابدأ بالتعرّف أين يحاول العالم أن يلاحظ الله بحيث يكون أكثر طوعًا. اطلب من الله أن يعلّمك أن تقرأ كلمته كشخص حكيم «**مَنِ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ وَثَبَتَ**» (يعقوب ١:٢٥).

والآن تأمل بعض الفقرات التي تعلّمك مخافة الرب. حيث أن كل الكتاب المقدّس يعلّمنا أن الله الواحد قدوس إسرائيل يملك، لذلك فإن الكتاب المقدّس كله هو مرجع عن مخافة الرب، سواء استخدم ذلك التعبير بصفة خاصة، أم لم يستخدمه. لكن هناك بعض الفقرات التي يبدو أنها محورية بصفة خاصة أو مهملة. وسأركز على بعض هذه الفقرات.

لاحظ بصفة خاصة أعمال الله الجبارة التي تبين كلاً من محبته المقدّسة وعدالته المقدّسة وشفقته وصرامته (رومية ١١:٢٢). يذكّرنا المرنم أن من يخافون الرب يقولون: «**لِيَقُلْ مُتَّقُو الرَّبِّ: إِنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ**» (مزمور ١١٨:٤)؛ ويقولون كذلك: «**فَمَنْ يَقِفُ قُدَّامَكَ حَالَ غَضَبِكَ؟**» (مزمور ٧٦:٧). تتكلّم الأسفار المقدّسة عن محبة فائقة غير متصورة مع الغضب المُقدّس. الله شفوق، ورحيم، وبطيء الغضب، وكثير المحبة. لكنه كذلك لا يترك الذنب بدون قصاص «**الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ... مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ**» (خروج ٣٤:٦-٧). لذلك لا يمكننا أن نقول: «إن إلهي ليس إله دينونة وغضب. إن إلهي إله محبة». هذا التفكير يجعل من المستحيل أن ننمو في مخافة الرب. فهو يؤكد أن الخطية فقط هي التي تحزن قلب الله وليس تسيء له. إن كلاً من العدالة

والمحبة هما تعبيران عن قداسته ويجب أن نعرفهما كليهما لكي نتعلّم مخافة الرب. فلو نظرنا إلى محبة الله وحدها فلن نحتاج إليه، ولن يكون هناك إلحاح في رسالة الصليب. ولو ركزنا بشكل ضيق على عدالة الله فسنريد أن نتجنبه ونعيش في خوف مرعب، شاعرين دائمًا بالذنب ومنتظرين العقاب.

تعلّم مخافة الرب الخالق

تأمل مدرسة الله للكتاب المقدّس في مخافة الرب. يبدأ الفصل في الحال. يفتتح الكتاب المقدّس بتعليم عن أن الله الواحد القدوس قد ملك. «**لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ. لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ**» (مزمور ٣٣:٨-٩).

الخليقة خادم لله. لقد نطق بكلمة واحد فوجدت لتنفذ مشيئته. وما نراه حولنا هو صنعة يدي الله وقد قال عنه إنه حسن. إن كان الله قد قال إنه حسن فلا بد أنه عمل رائع حتى في حالته المشوشة.

وبأكثر تحديد يمكنني أن أعتبر أن العلامة التقليدية الرائعة «الأخدود العظيم Grand Canyon» هي قطعة متميزة من الصحراء. إن هذه الذكرى تشير بالقطع إلى عظمة الله. لكن ينبغي الحذر. الله قدّوس. فهو فوق كل ما يمكن أن نراه أو نظنه. إن الاخدود العظيم يشير إلى من هو أعظم بما لا يقاس (مزمور ٩٣:٣-٤).

وأكبر من Grand Canyon أفضل التأمل في المحيط. لقد عملت كحارس إنقاذ على الشاطئ صيفًا لمدة خمس سنوات ولم أتعب من اتساعه.

كان سبب هدوء لي ويذكّرني بنعمة الله المتجددة، وتقويت به. فهو يذكّرني بقوة الله العظيمة. إن محيط الله يذكّرني بأنه أعظم من أي إنسان.

تطلع حولك ولاحظ مجد الله المنعكس في الخليقة. فالسحب تذكّرك بوجوده (خروج ١٩:٩)، فهي مركبته في إشرافه على الخليقة. أما الرياح فهي رسله (مزمور ١٠٤:٤). فهي تأتي من مخازن الله (مزمور١٣٥:٧). والشمس تخرج كعريس تذكّرني بأن يسوع المسيح راجع إلى كنيسته (مزمور ١٩:٥). والسموات تسبّح بعجائب الله بالحقيقة (مزمور ٨٩:٥)، وتعلن مجده (مزمور ١٩:١).

كل حيوان تراه يشرب أو يأكل من الحشائش، يرعاه الله العلي القدير (مزمور ١٠٤). والفلاح لم يتسبب في أن تنمو المحاصيل. فالمحاصيل تنبت من الأرض كعطية من الله. والمطر تعبير عن رعايته، والبرق تعبير عن قوته. وبالإضافة، فإن الله يملك الخليقة. «**الَّذِي بِيَدِهِ مَقَاصِيرُ** (أعماق) **الأَرْضِ، وَخَزَائِنُ الْجِبَالِ لَهُ**» (مزمور ٩٥:٤). فنحن نسير على أرض هي ملكية خاصة له.

وقد وصفت إليزابيث باريت براونينج هذا الوضع كما يلي:

الأرض تتلاقى مع السماء

وكل شجرة تشتعل بالله

لكن من يرى فقط هو يخلع نعليه

والبقية يجلسون حوله يقتلعون الأشجار[٢]

2 Elizabeth Barett Browning, “Aurora Leigh”, Book VII

والمرنم سبق إليزابيث في خلع نعليه. إن جلال الخليقة توحي بالعبادة والتواضع.

«إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟» (مزمور ٨:٣-٤)

مع كل الجمال المخلوق حولنا، وهو الجمال الذي يفوق جمالنا بطرق كثيرة، اختار الله شعبه ليكون تاج خليقته.

ومثل المرنم، كان لي استجابتان أساسيتان نحو هذه الحقيقة. فأي منهما لا يرفع تقدير الذات عندي. أولاً، إنني ببساطة مندهش ومملوء بالتساؤلات. لماذا يا رب تهتم بنا؟ لماذا مع كل هذا الجمال في الخليقة، تجعل الناس متميزين يحملون صورتك؟ إنني حقًا ممتن، لكن من الصعب أن نؤمن أن الله وضعنا فوق خليقته.

أما ردة الفعل الثانية، فهو تواضعي وتذللي. فكل من الأخدود العظيم (Grand Canyon) والمحيط أجمل مني بكثير. فهذا بدلاً من أن يدعم تقدير الذات عندي، فإنه يهدمه. فأنا لا أحيا بالجمال. فكثيرًا ما يتهاون قلبي مع اهتماماتي بشأن مجدي أنا وليس مجد الله. فالضرر من هذا التذلل هو ما أحتاج إليه بالتحديد. فهو أفضل من نفخ الذات المؤقت.

يعقوب وموسى يتعلّمان مخافة الرب

عند قراءة سفر التكوين بمنظار مخافة الرب، يصير كل حدث أكثر خطورة وتأثيرًا. فالطوفان استعراض مهيب لعدالة الله. ونوح دليل قوي على محبة الله. وبرج بابل قوة الله العظيمة وعدله. فهو لن يترك الناس

يمجدون أنفسهم. لكن بابل تبين كذلك محبة الله العظيمة في أنه يحد آثار خطة القائد. ومع انتشار الناس في كل أنحاء العالم، ومعيشتهم في قبائل متميزة، هناك فرصة أقل أن يظلم واحد منهم الكثيرين. دعوة إبراهيم صورة مخيفة (جميلة ومرهوبة) للحب الذي يتابع. الله العالي المتسامي يقترب من الإنسان ويدعوه أن يكون أبًا لجمهور كبير من الناس هم شعب الله. كل قصة تتحدى فهمنا المحدود عن عدل الله ومحبته وكل قصة تقودنا إلى توقير الرب. لكن قصة يعقوب وحدها تكشف عن الله باسم «**الخوف**» (تكوين ٣١:٥٣).

في أول مرة تقابل فيها يعقوب مع الله، أو رهبة إسحاق مثلما دعاه، كان هاربًا من أمام عيسو أخيه، إذ قد غشه في البكورية. كان لدى يعقوب سبب للخوف من الإنسان. فعيسو أكبر وأقوى، وربما كان سريع الغضب. وبلا شك إن الإنسان في تلك الفترة من حياة يعقوب كان كبيرًا بالنسبة له، بينما كان الله صغيرًا.

غيّر حلم يعقوب ذلك كله (تكوين ٢٨:١٠-٢٢). تستخدم كلمة قدس في كل الكتاب المقدّس، لكن أكثر استخدامها هو لوصف موضع حلول الله. وهذا حيث وجد يعقوب نفسه في حلم، فقد انفتحت أستار السماء وتكلم الرب. بالحقيقة كانت الكلمات رقيقة معزية لكنها ظلت مقدّسة. ولذلك كان يعقوب خائفًا. لقد فرح حين استيقظ ووجد نفسه حيًا. فتعجب قائلاً: «**وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إِلَى بَيْتِ أَبِي، يَكُونُ الرَّبُّ لِي إِلهًا**» (تكوين ٢٨:٢١). فدعا اسم المكان بيت إيل أي بيت الله.

الأرجح أنه كان هذا الحدث في ذهن يعقوب حين دعا الله «رهبة إسحاق». لم يكن ذلك هو اللقاء الوحيد ليعقوب مع الله. فمحتوى اللقاء التالي مع الله مشابه في أنه تضمن تهديدًا من عيسو، لكنه مختلف في أن يعقوب كان ذاهبًا للقاء عيسو وليس هاربًا منه.

كان السؤال واضحًا: ممن تخاف؟ عيسو أم الله؟ لكي يساعد يعقوب في قراره، باركه الله بزيارة أخرى في لقاء أقوى من حلم بيت إيل. لقد ظهر الله بالفعل ليعقوب كرجل وتصارع معه ثم باركه.

هل يمكنك تصور ذلك؟ إنه شيء أن يعلن الله ذاته في حلم، وشيء مختلف تمامًا بالنسبة لله أن يتلامس مع الناس حرفيًا. إلا أن هذه هي الطريقة التي بها يسر الله بإعلان ذاته لنا. إنه قريب، فهو الله معنا. هذا الإعلان عن شخص الله أكبر من قدرة يعقوب، لذلك فضل الله الاحتفاظ باسمه سرًّا. أما بالنسبة لنا، فإن السر قد أُعلن. فنحن نعرف المُصارع بالاسم، مما يدفعنا إلى أقصى إجلال ومهابة: «**لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ**» (فيلبّي ٢:١٠).

هل يمكنك استيعاب احساس قوة مخافة الرب الطاردة؟ إن المعرفة المتنامية عن الله تزيح الخوف من الناس. وتبعد ميلنا لأن نكون متساهلين مع خطايانا السرية. والخبر السار هو أن ذلك يمكن تعلّمه. الله متحمس لأن يباركنا بهذه المعرفة. لست مضطرًا أن تكون أحد آباء بني إسرائيل، بل عليك ببساطة أن تصلّي (أفسس ١:١٧)، وتسعى نحو هذه العطية العظمى. كما يمكنك أن تتعلّم من الآخرين الذين تعلّموا مخافة الرب.

إن موسى، كيعقوب، لم يكن يخاف الله بالطبيعة، لكنه بالتأكيد تعلّم مخافة الرب. إن اختبار يعقوب الأول في بيت إيل. أما موسى، فحدث بينما كان هاربًا وكان في البرية مختبئًا من فرعون ظهر له الله في هيئة نار. وبتعبير آخر، أحضر الله مكان حلوله بالقرب من موسى، وأعلنه له. إن الأرض مقدّسة. وأمر موسى بأن يخلع نعليه. وأخفى موسى وجهه لأنه كان خائفًا.

تلقّى كل من موسى ويعقوب بركاتٍ ووعـودًا. إن معرفة محبة الله أساسية في خوفنا التوقيري لله. لكن كلاً من الرجلين كان خائفًا لاقترابه من الله العلي. ولكي نضعهما على تواصل الخوف من الرعب إلى العبادة، فإنهما يمضيان من طرف إلى الطرف النقيض. وقد تميز خوفهما من الرب بالرعب إلى جانب العبادة. وهما في هذا نموذجان صالحان. في حياة المسيحيين يحفزهم الدافع من الرعب المرتبط بالدينونة إلى العبادة المدفوعة بالمحبة. إلا أن هذه النماذج الكتابية تؤكد أن الرعدة تتناسب مع المؤمن. فمن الخير لنا أن يكون عندنا أوقات نكون فيها في غير راحة أمام الله. قد لا يكون هناك خوف من العقاب، لكنه ربما يكون خوفًا من سخط الله، أو قد يكون ببساطة الخوف (التوقير) الذي لا يمكن تجنبه عندما نرى الله في مجده. عندما نكون حساسين نحو مطالب قداسته، يمكننا أن ننقاد وراء موسى ويعقوب والمرنم، فنقول معه: «**قَدِ اقْشَعَرَّ لَحْمِي مِنْ رُعْبِكَ، وَمِنْ أَحْكَامِكَ جَزِعْتُ**» (مزمور ١١٩:١٢٠). أحد أسماء الله هو المهوب.

دروس من سفر الخروج

إننا نعرف مخافة الرب عندما نعرف الله الخالق. فبالتأكيد إن الكون تعبير عن قوته ومحبته. كما نتعلّم مخافة الرب بشهادة الله باعتباره فادينا. ففي العهد القديم نرى هذا بوضوح في سفر الخروج من أرض مصر. إن الخروج من مصر والشريعة التي أعطيت في سيناء، هما اثنان من أوائل فصول التعليم واسعة المدى. فخلال هذه الأحداث أظهر الله أنه هو وحده الله. ولا شيء يقارن به . فليس له مثيل في قوته ودينونته ومحبته وأمانته.

بعد أن ترك بنو إسرائيل أرض مصر انتهوا في النهاية إلى جبل الله. وإذ كانوا قريبين من مسكن الله، أمرهم بالتطهر رمزيًا والتكريس والانـعـزال، فلا يمكنهم لمس سفح الجبل. غسلوا ملابسهم وامتنعوا عن العلاقات الجنسية عند اجتماعهم حول الجبل. كان عليهم الاستعداد للاقتراب من الأرض المقدّسة.

وما شاهدوه كان مثيرًا للدهشة والعجب. نزلت النار على الجبل وانتشر الدخان في كل مكان. ارتعد الجبل كله. وأعلن صوت البوق عن مجيء الله وحضوره. وصار الصوت أعلى. ولا بد أن حواس الشعب وصلت إلى أعلى حد لها.

لقد اختبرت مرة شيئًا صاخبًا ساحقًا. فقد كنت أقود سيارتي لنحو عشرين ساعة مع بعض أصدقاء الكلية في الطريق إلى فلوريدا جنوبًا. وعند وصولنا كان الوقت نحو الواحدة والنصف صباحًا. فقررنا إيجاد

مكان لنصب الخيمة لأن الفنادق غالية بالنسبة لمبيت ليلة واحدة. وفي الوقت نفسه كنا نغالب النوم وفي النهاية عندما توقف السائق نصبنا خيمتنا ونمنا ليلتنا فيها. وما لم نعلمه هو أننا في استعجالنا لإيجاد موضع للتخييم، مضى السائق وتجاوز لافتة «عدم التعدي». والشيء التالي الذي أذكره هو أن الأرض كانت تهتز وصوت الجبال تتساقط. وفي هذه الضجة كل ما لاحظته هو أن أفواه أصدقائي الأربعة كانت مفتوحة عن آخرها وعروقهم نافرة. كانوا يصرخون لكن الضوضاء في الخارج كانت تصم الآذان حتى أنني لم أسمع منهم أي شيء. بعد لحظات قليلة تكومنا خارج الخيمة وعرفنا لماذا كان التخييم مجانًا. لقد عسكرنا بجانب نهاية ممر جوي حربي. وكانت الضوضاء التي سمعناها هي صوت إقلاع طائرة نقل حربية ضخمة فوق رؤوسنا بثلاثين قدمًا.

إنني أشك في أن بني إسرائيل لم يمكنهم أن يسمعوا صرخات جيرانهم عندما نفخت الأبواق. لكن الأرجح أنهم كانوا منشغلين بمراقبة الجبال عن ملاحظة الأفواه المفتوحة والعروق النافرة.

كانت النتيجة عشر كلمات على لوحين من الحجر، هي الشريعة. فهل كان هذا ضد الطبيعة؟ مع مثل هذه الجلبة يمكن للناس أن يتوقعوا أكثر من مجرد لوحين حجريين. على الأقل كان يمكن أن يكونا لوحين من الذهب. لكن لو أنهم توقعوا شيئًا أكثر تألقًا، فلا بد أنهم فقدوا تمامًا طبيعة الشريعة.

الشريعة رائعة في أنها تعلن شخص الله القدوس. فالوصايا العشر وتطبيقاتها الكثيرة تعلّمنا عن معطي الناموس. فهي تكشف عن أن طرق

الله أسمى بشدة من طرق الأمم المحيطة. وما قد يبدو بالنسبة لنا مثل كحماقة، كان إعلانًا جميلاً بالفعل عن الله الذي يحمي الفقير والمظلوم ويكره الظلم ويحب الرحمة ويقدم الغفران ويطهر الناس، وهو طاهر أدبيًا. ففي الشريعة، وضع الله معيارًا جديدًا للقداسة لا يعرفه العالم.

كما يمكننا أن نقول إن الشريعة هي وثيقة الحب المقدّس. ففيها يقول الله: «لقد أظهرت لكم أنه مع أنكم كنتم من أضعف الأمم، إلا أنني أنقذتكم واعتنيت بكم كأولاد محبوبين. لقد أعلنت لكم الكثير من محبتي الأبدية لكم. والآن، وقد رأيتم محبتي وعرفتم أنكم أولادي، عليكم أن تتعلّموا كيف تحبونني وتعيشون كأولاد الله. ولكي أبين لكم كيف تعملون ذلك، أعطيتكم الشريعة. وسأعلّمكم كيف تكونون كأبيكم السماوي».

«إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (لاويين ١١:٤٤).

«كَلِّمْ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (لاويين ١٩:٢).

«فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (لاويين٢٠:٧).

«وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي» (لاويين٢٠:٢٦).

كيف يمكن للناس أن يصيروا قديسين؟ كيف يحبون الله ويقدّسونه؟ فبلا تبجيل يخضعون لسلطان الله ويطيعونه. وهذه هي مخافة الرب.

وهذا ما يمكن للشريعة أن تعلّمنا إياه. أي عطية رائعة يمكن أن تكون؟ لا عجب أن يقول المرنم: «**قَدِ اقْشَعَرَّ لَحْمِي مِنْ رُعْبِكَ، وَمِنْ أَحْكَامِكَ جَزِعْتُ**» (مزمور ١١٩:١٢٠).

هذا هو مستوى الدرجة الثالثة في مخافة الرب. وعند هذه النقطة، تأكد من أنك توجه عينيك نحو القدوس. وسواء كان الموضوع هو الأخدود العظيم (Grand Canyon) أو الوصايا العشر، فهذه تهبنا الخشية، لأنها تعبير عن شخص الله القدّوس.

الفصل السابع

انمو في مخافة الرب

المشكلة واضحة. فالناس كبار جدًا في حياتنا، بينما الله صغير. والإجابة صريحة. يجب أن نتعلّم أن نعرف أن الله إلهنا أكثر محبة وقوة مما قد نتخيل. إلا أن هذه المهمة ليست سهلة. بل وحتى لو عملنا أفضل الحدائق العامة، أو لو أن الشجيرة في فناء البيت بدأت في الاشتعال بدون أن تفنى، أو لو ظهر يسوع ودخل معنا في مصارعة من عدة جولات، فلن يمكن أن نضمن تبجيلاً مستمرًا لله. يحدث كثيرًا لتجربة قمة الجبل، أن يتفوق عليها صخب العالم سريعًا، ويتم اختزال الله في عقولنا. الهدف هو إقامة تقليد يومي للنمو في معرفة الله.

مخافة الرب: جمالها

للنمو في معرفة الله القدّوس فلا بد أن نرى أن هذه المعرفة جميلة وجذابة. وهنا يمكن لسفر الأمثال أن يساعدنا. إن جوهر السفر هو مخافة الرب، فهي الباب إلى الحكمة والطريق إليها وغايتها. «**بَدْءُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ، وَمَعْرِفَةُ الْقُدُّوسِ فَهْمٌ**» (أمثال ٩:١٠).

ولأن مخافة الرب كنز عظيم في الحياة، يحاول سفر الأمثال أن يجذبنا إليها. فهو يحاول أن يجعل مخافة الرب جذابة بقدر الإمكان. فمن يخاف الرب لن يخاف من أي شيء آخر (أمثال ١٩:٢٣). ومخافة الرب تطيل

العمر وتزيد الأيام (أمثال ١٠:٢٧). إنها قلعة حصينة لمن يخاف الرب ولأولاده (أمثال ١٤:٢٦). كما أنها ينبوع الحياة (أمثال ١٥:١٦)، وتجلب الكرامة (أمثال ٢٢:٤)، وينغي أن نمدحها عندما نراها (أمثال ٣١:٣٠).

ما هو شكل مخافة الرب؟ إنها تشبه محبة الخير وكراهية الشر. «**مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ**» (أمثال ٨:١٣). كذلك تشبه الثقة بالله (تبجيله) وطاعته.

هل يمكنك أن ترى أن مخافة الرب بركة؟ تخيل ما يكون عليه الحال إن كرهنا الخطية بالحقيقة، أولاً خطيتنا، ثم خطية الآخرين (متى ٧:٣-٥). ماذا يحدث للمعارك الزوجية؟ ستكون مستحيلة تقريبًا. وسيكون الزوجان منشغلين بالإصغاء للآخر وطلب الغفران عن أنانيتهما. وماذا عن الشلل في فناء المدرسة؟ سيتبادلون سرد القصص اللطيفة عن الغير. وماذا لو أخطأ أحدهم إلينا؟ لن نعود نسعى إلى قتله في قلوبنا. بل بالعكس، سنستر خطيته في تواضع ومحبة، أو سنواجهه بنفس الروح.

عند قراءتك القصص التالية، ضع في ذهنك بعض النماذج من حياتك الخاصة حين كان الناس أكبر من الله. وتذكّر أن من يتحكمون فيك هم قطط أليفة بالمقارنة بأسد يهوذا.

مخافة الرب: أسئلة اللّه

سأل الرب الشيطان: «**هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟**» كان أيوب نموذجًا كاملاً للإنسان الذي يخاف الرب. إن أردت أن تعرف إن تخاف الله أم لا، فلاحظ ردة فعلك عندما تؤخذ منك الأشياء الطيبة. كيف تسلك تجاه خسارة مالية، أو موت أحد أفراد عائلتك، أو خسارتك في الحب؟

كم واحد منا، بعد أن يجتاز اختبارًا قويًا مثل هذا، سيظل مقتنعًا بأن الله أكبر من كل معاناته وآلامه؟ كان أيوب بالقطع كذلك. فبعد أن فقد كل شيء قال: «**الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا**» (أيوب ١:٢١). ثم بعد أن أصيب جسده بمرض شديد قال: «**أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟**» (أيوب ٢:١٠). كان أيوب أول من تكلم بتخصص عن الحكمة ومخافة الرب، عندما قال: «**هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ**» (أيوب ٢٨:٢٨). لكن حتى مع هذه الكلمات، لم تكن كلمات أيوب هي الأفضل تعليمًا وتهذيبًا.

بصرف النظر عن تقديم الشريعة، فإن أطول حديث لله في الكتاب المقدّس كله هو الأصحاحات الأربعة الأخيرة من سفر أيوب. فهو حديث يقصد به أن ينمو أيوب في معرفة عظمة الله. فإن قرأت هذه الأصحاحات يوميًا لمدة شهر فستجد أنها علاج لأي شيء تقريبًا. هل تخاف من الناس؟ هل تتألم وتعاني؟ هل أنت قلق؟ هل عندك إحباط أو اكتئاب؟ هل تجاهد ضد الغضب؟ هل لديك قساوة قلب؟ استمع لهذه الأسئلة من فم الله.

«**هَلْ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتَ الصُّبْحَ؟ هَلْ عَرَّفْتَ الْفَجْرَ مَوْضِعَهُ**» (أيوب ٣٨:١٢).

«**هَلِ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ، أَوْ عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ عَرْضَ الأَرْضِ؟**» (أيوب ٣٨:١٧-١٨).

«**أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَذْهَبَ وَتَقُولَ لَكَ: هَا نَحْنُ؟**» (أيوب ٣٨:٣٥).

إن سرعة تدفق أسئلة الله لا هوادة فيها. فهي تتركك عاجزًا عن الكلام.

لكنها مقدمة لرجل بار يقدّر قيمة مخافة الرب فوق كل شيء. وتأثير كلام الله عليه هو بالضبط ما يقصده الله. وتبين ردة فعل أيوب أنه أدرك أن الله قدّوس وأن الله فوقه. كانت معرفة الله عجيبة بالنسبة له لكي يعرفها. الله مختلف عن أيوب. فهو ليس كرجل يمكن دعوته والاجتماع معه. وكدليل إضافي على نمو أيوب في مخافة الرب، تواضع أمام القدير. «**لِذلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ**» (أيوب ٤٢:٦). مثل هذا التواضع والتوبة علامة أكيدة على تعلّم مخافة الرب.

هل تتذكّر أوقاتًا في حياتك قلت فيها: «الله هو الله. وأنا أخضع لإرادته.» في تلك الأوقات لا يكون للآخرين قدرة على استغلالك، والضغط عليك، والسيطرة عليك.

مخافة الرب: وجهًا لوجه

بينما كان فضل أيوب في مخافة الرب غير موجه نحو مخافة الناس، إلا أن تعليمات الله لإشعياء النبي كانت كذلك. حين قام الله بدعوة إشعياء أعطاه رسالة تضمن له أن يرفضه الناس ويهددوه جسديًا (إشعياء ٦:٩-١٤) كان هناك فرص يومية أمامه ليخاف من الناس وليس من الله. ونتيجة لذلك كان من الضروري له أن يكون لديه مخافة الرب بشكل مطلق في قلبه، لأن الإنسان الذي يخاف الله لا يخاف من أي شيء آخر.

فكّر في هذا. الله يخبرك أن تتكلم علانية ضد سياسة قومية بطريقة ما تعرضك لأن تعتبر خائنًا. وقد دعيت إلى حفل للمناداة بالعذاب للحاضرين فستكون أكثر شخص مكروه في كل إسرائيل ويهوذا،

وكل الملوك سيطلبون رأسك. في مثل هذه الحالة، فإن الله يعطي لشعبه نعمة. بالنسبة لإشعياء، جاءت هذه النعمة كنوع من عظة تنصيب. وتأثير هذا التنصيب أعطى شكلاً لكل السفر، وهي المناسبة التي يفضل إشعياء أن يدعوها الله قدّوس إسرائيل.

يبدأ إشعياء بقوله: «**فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ**» (إشعياء٦:١). وبهذه المُقدّمة لا يحاول إشعياء أن يقدم لنا علامة تاريخية للأحداث التي تلي ذلك، بل إنه يقدّم مخافة الرب.

كان عزّيّا ملكًا رائعًا تعلّم مخافة الله في مدرسة زكريا (أخبار الأيام الثاني ٢٦:٥)، وقد أعطاه الله نجاحًا بعد نجاح. إلا أنه لم يصغِ إلى تعليم الناموس لكي يكون يقظًا وحذرًا بصفة خاصة في أيام الرخاء. وعندما صار قويًا، اغتصب في غروره مهمة موكولة للكهنة فقط. والنتيجة أن الرب ضربه في الحال بالبَرَص.

يردنا هذا إلى الوراء إلى ذكريات عن موسى. كان هناك قائد ممتاز حقًا لكنه ابتعد في نقطة واحدة فنال تأديبًا شديدًا. لم يسمح الله لموسى بدخول أرض الموعد، وكذلك ضرب عزيا بالبَرَص إلى يوم مماته. ولذلك عندما مات عزيا كان وقتًا لنواح قومه عليه، كما كان وقتًا للنمو في مخافة الرب. الرب هو الله القدّوس الذي لا يتهاون في وجود خطية في وسط شعبه. لذلك كان إشعياء يرتعد حتى قبل الرؤيا.

كان إشعياء في الهيكل، والأرجح أنه كان يفكّر في عزّيّا، عندما فتح الله عينيه على وقائع سماوية.

«فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ» (إشعياء ٦:١-٢).

إشعياء رأى الرب جالسًا على كرسي العرش لابسًا ملابس كهنوتية. وقد ملأ وجوده القدّوس الهيكل وقد كان يملأ الهيكل والسرافيم واقفون فوق العرش، ليس هناك مكان حوله.

هؤلاء السرافيم لم يرد ذكرهم في أي موضع آخر من الكتاب المقدّس إلا في سفر إشعياء. وحقيقة أن إشعياء لم يكن متآلفًا معهم جعلت المنظر أكثر هيبة. ولعل وجود ملاك معروف ومألوف لديه ربما جعل المنظر أسهل قليلاً عليه. فإن كانوا يقدرون أن يقفوا أمام الله فربما يمكنني أنا ذلك أيضًا.

أما إشعياء فلم يكن مستعدًا تمامًا لهذه الكائنات. بل، ولم يسمع عنهم على الإطلاق. وكان أقرب كائن لهذه المخلوقات هم الكاروبيم الذين على غطاء تابوت العهد، وحتى هؤلاء كانوا في قدس الأقداس فقط.

يبدو أن السرافيم لم يكن لهم سوى عمل واحد فقط، وهو المناداة بقداسة الرب. كانوا مهيبين حتى أن صوتهم هز أساسات عتب الهيكل. ولكن حتى مع هذه المكانة الرفيعة، احتاج السرافيم إلى أن يغطوا وجوهم من النظر إلى قداسة الله.

وكان الواحد منهم ينادي الآخر قائلاً: **«قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»**. وكان إعلان قداسة الله ثلاث مرات

تفخيمًا لقداسته. كانت كل كلمة قدوس تزيد الكلمة التي قبلها. وقد علّمتني ابنتي عن قوة مثل هذا التكرار. ففي عصر أحد الأيام، كنت أعمل في مكتبي بالمنزل. وعندما أكون في المكتب أفضل عدم الإزعاج. إنها تعليمات غير مكتوبة وغير معلنة، لكن ربما كنت غاضبًا عند مقاطعتي في الماضي لذلك تركتني بناتي وحدي. لكن في ذلك الوقت بصفة خاصة، أرادت ليزا أن تلعب معي. فسألتني متى أنتهي من عملي. ووقفت حولي تتطلع نحوي من فوق الكتب، راجية أن أنتهي سريعًا. كان هذا الإغراء كثيراً بالنسبة لي، ولذلك أخذت راحة في عصر ذلك اليوم، ولعبت معها. كنت أنوي العمل في ذلك المساء، لكنها كانت تستحق.

أبي الحبيب..

إنني أحبك جدًا جدًا جدًا ...

ليزا المُحبّة.

وظلت تكرر كلمة «جدًا» في صفحتين.

لم يكن لديها حصيلة مفردات لغوية لتقول للغاية أو إلى المنتهى، أو القدرة البلاغية الشعرية لاستخدام تشبيه ثري. لو كان لديها ذلك لكان الخطاب أقل قوة. فبالعكس، إن كل كلمة «جـدًا» تقوي الكلمة التي قبلها. فكأنها تقول لي إنها لا يمكن أن تحبني أكثر مما تفعل.

هكذا تعلّمت أن ألاحظ تكرار كلمة قدّوس ثلاث مرات: «**قدّوس قدّوس قدّوس**»

فعل إشعياء ما كان سيفعله أي إنسان آخر. صرخ: «**ويل لي**». كان واثقاً أنه سيموت فقد كان نجسًا وهو الآن في حضرة وجود الله قدّوس إسرائيل الذي عاقب عزّيّا وضربه بالبَرَص.

إلا أن الرب لم ينته من إشعياء. كان هذا مدرسة في مخافة الرب، وقمة التعليم تتكون من مزج القوة بالدينونة باللطف والمغفرة المحبة. لذلك، ففي فعل يشير إلى يسوع بأوضح ما يكون في الكتاب المقدّس، أخذ واحد من السرافيم المبادرة نحو إنسان كان كميت. طهّر ذلك الملاك شفتي إشعياء بجمرة مشتعلة من المذبح حيث تقديم الذبائح لله ولمسه (يوحنا الأولى ١:٩).

بعد ذلك فعل إشعياء ما يفعله أي إنسان في مثل هذا الموقف. لقد نسي نفسه وقدم ذاته كخادم لله الحي. لقد عبّر عن مخافة الرب بطاعة تبجيل. هذه واحدة من البركات العظيمة لمخافة الرب. قد نفكر في نفوسنا بشكل أقل. فعندما يمتلئ القلب بعظمة الله، يوجد هناك مكان أقل للسؤال: «ماذا سيظن الناس بي؟»

إن كنت قد سرت وسط أشجار الغابات العملاقة، فلن يهمك أن تسير وسط الشجيرات الصغيرة. أو لو أنك دخلت في إعصار، فلن تخاف من رخات المطر الربيعي. وإن كنت في حضرة الله القدير فكل ما كان يسيطر عليك يصبح أقل تحكّمًا فيك.

أتذكّر أنني كنت في مجموعة صغيرة مع رجل مرعوب من أن يقول أي شيء يغضب الآخرين. ونتيجة لذلك، كان هادئًا ساكتًا ومترددًا مع زوجته، ونادرًا ما عمل على تأديب أولاده، وكان مرعوبًا

من رئيسه في العمل. لقد أدركنا أن والد هذا الرجل كان يغضب بشكل غير متوقع. لكن أفكارنا بشأن علاقة الماضي لم تحرر هذا الرجل. وأخيرًا، وبعد أسابيع من محاولة مساعدته ركزت المجموعة على شيء آخر. بحثنا عن صور الله في سفر إشعياء. وبعد أربعة اجتماعات، طلب هذا الرجل المرعوب الصلاة. كان سيتكلم مع رئيسه عن بعض الممارسات في المكتب يظن أنها غير سليمة. كانت معرفة الله هي أول خطوة في تحريره من الخوف من الناس.

تضمنت صور الله منظر العرش في الأصحاح السادس من سفر إشعياء، إلا أن هنك المزيد. فعبر السفر كله، نرى صورًا لعدالة الله المقدّسة، شفقته العظيمة نحو شعبه. وعند وصولنا إلى الأصحاح الأربعين، نجد أن هذين الموضوعين يتبادلان معًا إلى أن يقترنا معًا في الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء.

يفتتح إشعياء الأصحاح الأربعين بقوله: «**عَـزُّوا، عَـزُّوا شَعْبِي، يَقُولُ إِلهُكُمْ**» (إشعياء٤٠:١)، مبتدئًا قسمًا من النبوات يصل إلى قمته في رسالة الصليب. لم يقل الرب «عزوا» مرة واحدة بل مرتين، مركزًا على اهتمام الأم الذي يقدمه للذين في السبي. وأكبر تعزية يمكن لله أن يقدمها هي أن يكون موجودًا مع شعبه. فسبب سبيهم هو تركهم لوجود الله القدّوس. والآن يعود إليهم القدّوس ليدعوهم شعبه ثانية. إنه يقترب منهم.

وسط الأصوات التي أعلنت مجيئه كان هناك من نادى قائلاً: «**كُلُّ جَسَدٍ عُشْبٌ، وَكُلُّ جَمَالِهِ كَزَهْرِ الْحَقْلِ**» (إشعياء٤٠:٦). ومع أن هذا الصوت يبدو مثبطًا للعزم، إلا أنه قدم كلمات تعزية. والتعزية هي أن ملك أشور،

مضطهد شعب الله، سيموت مثل زهر العشب. ومع أن الشعب سيؤخذ في السبي بسبب خطيتهم، إلا أن ذلك لن يدوم طويلاً، لأن ملك أشور إنسان وليس إلهًا. ولن يمكن لقوته أن تتغلّب على وعود الله لشعبه.

جاء الله ينقذ شعبه من التهديدات والهجمات والسبي. وبنفس الذراع القوية التي خلّصت شعبه مرات ومرات، وبنفس الذراع القوية التي حكمت بني إسرائيل، يحمل الآن الحملان الصغيرة بجوار قلبه.

«**كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ**» (إشعياء ٤٠: ١١).

عندما نتعرض للاضطهاد والظلم من الآخرين، سواء من الأعداء أو الرؤساء أو الزوجات، فهذه واحدة من الصور المقدّسة التي أعطاها لنا الله. فالظلم لن يـدوم، لكن الشفقة تـدوم طويلاً. إن رأفـة الله أكبر من كل التهديدات. وهذا بالطبع أمر صعب أن تراه في بعض الأحيان. فهو يأخذ عيون الإيمان لكي ترى ذراع الله الرفيعة القوية، وتتوقع خلاصه في أوقات الشدة والتعب.

إلا أن صلاح الله معنا قريب منا دائمًا. ونحتاج إلى التدريب والممارسة لكي نراه.

وباتباع هذه الصورة الثمينة عن رعاية الله لشعبه كالخراف، فإن الله يبدأ في سلسلة من الأسئلة مثل أيوب. كيف يتناسب هذا مع صورة رأفة الله الكبيرة؟ فهذان يقودانا إلى مخافة الرب. إن الله الذي هو فوق كل شيء، والذي يأتي قريبًا لشعبه برحمة ومغفرة ينبغي أن نخشاه.

«مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ، وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ، وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ، وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ، وَالآكَامَ بِالْمِيزَانِ؟... كُلُّ الأُمَمِ كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَهُ. مِنَ الْعَدَمِ وَالْبَاطِلِ تُحْسَبُ عِنْدَهُ» (إشعياء ٤٠: ١٢، ١٧).

إن تكرار هذا الأمر مرتين في هذه الفقرة، يلخّص مخافة الرب:

«فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟» (إشعياء ٤٠:١٨).

ومع أن هذه الكلمات تبدو كأنها مرفوعة من نص سفر أيوب، إلا أن هناك اختلافًا كبيرًا بين النصين. مع أيوب كان الرب يتكلم بصفة خاصة منفردة. أما في هذه المرة، فإن الرب يتكلّم إلى العالم كله، بل أنه كان يخاطب حتى الجزر البعيدة (إشعياء ٤١:١). لم يقصد الله على الإطلاق أن يكون إلهًا إقليميًا محليًا لشعب بني إسرائيل وحده فقط، فمجده أعظم من أن يحد بمجموعة معينة. فمجده يتطلب انتباه البشرية كلها (إشعياء ٤٠:٥). إنه حقًا إله عظيم. تصل قصة هذا المجد المتسع إلى قمتها (إشعياء ٥٢ ؛ ٥٣). إلا أنه مع أول لمحة، ليست النهاية (الغاية) هي ما نرجوها. بل بالعكس، فإن هذه القصة تنتهي بخادم متألم لا منظر له ولا جمال. ويبدأ إشعياء الأصحاح الخامس والخمسين بشكل مناسب، فالناس يفرحون، والأسرى يتحررون ويُطلقون، والجبال حول أورشليم جميلة، وكل الأرض تشهد خلاص الرب. كل هذا الاحتفال هو نتيجة عمل الخادم، الذي يسترد أسباط إسرائيل:

«هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًا» (إشعياء ٥٢:١٣).

«كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. هكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ

أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ» (إشعياء ٥٢:١٤-١٥).

سيتحقق المجد من خلال الألم والموت. ليست آلامنا نحن وموتنا، لأن النص يشير بوضوح إلى خـادم، عبد سيمثّلنا، وسيأتي التمجيد من خلال سحق الله للعبد. وكل هذا يتم من أجل خطايانا.

«لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ» (إشعياء ٥٣:١٢).

هذه هي قمة قداسة الله في العهد القديم. فإن لم تندهش عند قراءتها أعد قراءتها واقرأها بمهابة وخشوع.

هذا الخشوع يجذبك إلى الله، إنه لا يبعدك ولا يتركك تشعر بالخزي والخجل وحدك. بل إنه يجعلك تريد أن تأتي إليه وتعرفه. وعندما تتضح مخافة الرب فيك يصبح المسيح الذي لا يقاوَم.

هل تجد نفسك تختبئ من الله أم أنك لا تجد نفسك على الإطلاق؟ لو كان كذلك، فإن الرب يسوع يقول لك: **«هَلُمُّوا... تَعَالَوْا... هَلُمُّوا»** (إشعياء ٥٥:١). إنه يدعوك للاقتراب، ويدعوك لتعرفه أنه الله المجيد. إن كانت هذه الدعوة لا تحفزك، فتذكر أنه لا يقول **«تعال»** مرة واحدة، بل يكررها من أجلك. فهو لا يمكن أن يعبّر عن محبته بأكثر صراحة ووضوحًا من هذا.

مخافة الرب: غضب اللّه

يسوع العبد الذي تكلّم عنه إشعياء، سُحق من أجلنا، لذلك إن كنا نؤمن به ونرجع عن خطايانا، فلن نُسحق. فقد أنقذنا من المصير المميت ومن الألم اللانهائي. ولكن مع ابتعاد اليوم الذي نلنا فيه النجاة، هل نتذكّر من أي شيء خلّصنا؟ هل نتذكّر أنه كان ينبغي أن يسحقنا بغضبه؟ هل تدرك أنه من خلال منظورنا، فإن الصليب هو العظيم دائمًا. الرب سحق «الكامل» عوض الخطاة.

وهل تتذكّر أنه سيكون هناك دينونة إلهية عند استعلان غضب الله (رومية ٢:٥). إنه يعلّمنا عن مخافة الرب.

إن معظم الأمريكان اليوم يؤمنون بـالله وبالسماء وبالملائكة. ولكن القليلين، والقليلين جدًا يؤمنون بوجود جَهَنّم. إن جَهَنّم غير محبوبة، حتى وسط دارسي الكتاب المقدّس المحافظين. وأشك أنها غير محبوبة اليوم بالأكثر. وربما كانت محبوبة بشدة.

دعني أشرح ذلك. إننا نعرف الله. وعندنا ضمير يخبرنا بالصواب من الخطأ. كما أننا نعرف أننا لا نرقى إلى مقياس مجد الله. ونعرف أننا نستحق غضبه. لكن التفكير في جَهَنّم مرعب للغاية أن نواجهه. تذكّر أننا نفضّل أن نفكر في صورة ذاتية متدينة عن أن نكون عراة أمام الله. إننا بارعون في تجنب قداسة الله. وبنفس الطريقة، هناك قوات روحية قوية تقودنا إلى تقليل الرعب من جَهَنّم.

إن يسوع الذي أنقذنا من جَهَنّم هو نفسه الذي يتحدث عنها. إنه ينادي بالخوف منها، والتهديد بها. إليك بعض كلماته عنها:

«أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ» (متى ٥:٢٢).

«كُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (متى ٧:١٩).

«وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ؛ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ» (مرقس ٩:٤٣-٤٤).

«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ (بيسوع) **لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ»** (يوحنا ٣:١٨).

«ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (متى ٢٥:٤١).

تأمل في قول إنجيل متى: **«وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ»** (متى ١٠:٢٨). قال جون كالفن إن هذا النص يجعل شعره يقف.

كان جوناثان إدواردز مبشرًا، وقد حاول أن يحاكي يسوع. ونتيجة لذلك، ألقى عدة عظات على جبل. وكانت أشهر عظة له على جبل تركت الناس يرتعدون في نهضة دعيت الصحوة الكبرى. لقد ألقى جوناثان إدواردز

هذه العظة أولاً على مواطنيه في كنيسة نورثهامبتون، ماساشوسيتس. لكن ليس عندنا أي سجل لردة الفعل. كان ذلك في اجتماع في بيت في إنفيلد بولاية كونيكتيكت في الثامن من يوليو ١٧٤١، حيث أننا معتادون على تأثير الخطاة في يدي إله غاضب. لم تكن هذه العظة بالطبع أكثر عظاته رعبًا. فكان أقسى منها عظة له بعنوان: عدالة الله في إدانة الخطاة؛ وعظته عن رسالة رومية (رومية ٢:٤).

لكن الله استخدم عظة: خطاة في يدي إله غاضب، ليوجد مخافة الرب. هذه المقتطفات تبين لماذا.

«ليس هناك أي شيء يمنع الأشرار في أي لحظة ليكونوا خارج جَهَنّم، ليس سوى مَسرّة الله...إن غضب الله مثل مياه عظيمة محجوزة حاليًا، لكنها تتزايد أكثر فأكثر، وترتفع إلى أعلى، إلى أن تجد لها مخرجًا. وكلما طالت فترة منع تدفق المياه زادت سرعتها واشتد سريانهاعندما تجد منفذًا.

الله الذي يمسكك من فوق حفرة جَهَنّم، يكون كمن يمسك عنكبوتًا أو حشرة مقززة فوق لهيب نار... فغضبه عليك يشتعل كالنار... إن عينيه أطهر من أن تحتملا رؤيتك... لقد أهنته بلا حدود أكثر من أي متمرد عنيد فعل ذلك مع رئيسه...

أيها الخاطئ. فكّر في الغضب المخيف الذي أنت فيه. إنه موقد عظيم من الغضب، هوة واسعة بغير قرار... وأنت معلّق بخيط رفيع وألسنة لهب غضب الله تتراوح عليه.[1]

1 *The Works of Jonathan Edwards* (New York: Leavitt and Allen, 1855), 4:313-321.

كان للمستمعين ردة فعل كتابية مناسبة. فقد بكوا فعليًا بصوت مرتفع حتى صار صعبًا على إدواردز أن يواصل الحديث. لقد تساقطوا بالفعل من أماكنهم لأن قداسة الله تملكتهم. ربما لم يكن ذلك مخافة من الرب ناضجة، لكنها كانت بداية طيبة.

إليك الحقيقة عن الجحيم. عندما يموت إنسان وهو بعيد عن الإيمان بيسوع، فليس له خلاص ممكن من جَهَنّم العذاب الأبدي (متى ٢٥:٤٦). ليس هناك راحة من العذاب (رومية ٢:٤)، والأسوأ من كل ذلك، هو أن الغضب المُقدّس من الله ينصب عليه (يوحنا ٣:٣٦). هذه المعرفة أدت ببولس الرسول إلى أن يقول: «**فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ**» (كورنثوس الثانية ٥:١١).[٢]

هذا ما نستحقه. هذا ما أخذه يسوع على نفسه من أجلنا من غضب ومن «سَحْقٍ». يجب أن نرتعب، لأنه كان ينبغي أن نكون نحن الذين نُسحَق بسبب خطايانا. كما ينبغي أن نرتعب لأننا نعيش في وجود الحب الإلهي المذهل بشكل مطلق. ومع وجود خلفية جَهَنّم، ينبغي أن نرتعب عندما نفكر في السماء. كيف يمكن أن يكون هذا؟ نحن الذين تعرينا أمام الله، واستحقينا الغضب الأبدي، قد نلنا بالإيمان بركة من الآب. إنه شيء أن تُطلق سراح إنسان من السجن، لكنه شيء آخر أن تعطي نفس هذا الإنسان كل الثروات المتخيلة الممكنة. لكن هذا ما فعله الله. لقد نلنا ميراثًا: «**رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ**» (متى ٢٥:٣٤). كيف يمكن أن يكون هذا؟

2 A helpful book is Robert A. Peterson, *Hell or Trial: The Case for Eternal Punishment* (Phillipsburg, N.J.: Presbyterian and Reformed, 1995).

أيها الرب، من هو الإنسان حتى تهتم به؟ إننا نتجاوب مع رحمتك ومحبتك، وليس مع خوف العبودية وأحزان العالم، لكن بتمجيد يقودنا إلى التوبة والفرح بالثقة فيك وطاعتك.

مخافة الرب: انبهار واندهاش

هناك موضوعات كتابية أخرى وفقرات من الكتاب المقدّس توجهنا نحو مخافة الرب. إن إنجيل مرقس هو كتاب الاندهاش. فهو يقول دائمًا إن يسوع نال اعجاب كل الذين شاهدوا خدمته. فالعجب لم يكن يقود دائمًا إلى خضوع وقور، لكنها طريقة مرقس في تعليمنا أن يسوع هو القدوس الله في الجسد.

الموضوع الأساسي لإنجيل مرقس هو أن يسوع أذهل الناس بكل من تعليمه وأعماله الإعجازية. فيبدأ الموضوع مباشرة: «**فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ**» (مرقس ١:٢٢). يواصل إنجيل مرقس في إظهار سلطان يسوع على الأرواح الشريرة (مرقس ١:٢٧). ثم عندما قال يسوع للمفلوج إن خطاياه غفرت وأنه يمكنه أن يمشي. تعجب الجميع وسبّحوا الله (مرقس ٢:١٢).

القصة التالية للدهشة أخذت التلاميذ إلى الوراء إلى قصة الخلق وكلمة الله المبدعة الخلاقة. كانت الجموع تتبع يسوع بالفعل إلى درجة أن أحد أماكن راحته القليلة كان هو قارب . قال يسوع لتلاميذه: «**لنبحر نحو الجانب الآخر**». بعد أن جدفوا واختفى الشاطئ عن الأبصار قامت عاصفة عاتية هددت بانقلاب السفينة. كانت الأمواج تضرب جوانب السفينة التي كانت تمتلئ بالماء. ولم يكن هذا ما أثار الدهشة. وعندما تمكن التلاميذ

في النهاية من إيقاظ يسوع، تكلّم مع خليقته. وقال يسوع للبحر: «**اخرس. ابكم**». صارت المياه هادئة كالزجاج.

قبل ذلك الوقت رأى التلاميذ وسمعوا أمـورًا كثيرة. لقد شاهدوا العديد من حالات الشفاء الإعجازية، كما سمعوا التعليم الذي أثار الكثير من الرهبة من الجموع مثلما فعلت المعجزات. لكنها المرة الأولى التي يتكلم فيها مرقس عن ردات الفعل لدى التلاميذ.

كيف تكون ردة فعلك لو أنك واقف بجوار الله الخالق وسمعته يتكلّم مع خليقته؟ لا تنسَ كلمات السرافيم التي يمكن أن تهز الهيكل.

يقول مرقس عن التلاميذ إنهم «ارتعبوا». لم يشعروا بالراحة أو السعادة أنهم سيعيشون أو يفقدون السفينة. لكنهم ارتعبوا.

يا لها من ردة فعل عجيبة. كان الأمر نموذجيًا بالنسبة للناس أن يتعلّموا مخافة الرب.

كانت هذه مجرد البداية. يريد مرقس منا أن نعرف خدمة يسوع كلها تتخللها الدهشة والعجب. اندهش الناس عندما قام يسوع بطرد الأرواح الشريرة إلى الخنازير (مرقس ٥:٢٠). عندما أقام ابنة يايرس من الموت بهت أبواها (مرقس ٥:٤٢). عندما كان يسوع يعلّم في المجمع فإن الكثيرين من الذين سمعوا بهتوا واندهشوا (مرقس ٦:٢). عندما حاول الفريسيون اصطياد يسوع تحول الموقف إلى مناسبة لاستعراض الحكمة، فاندهش الشهود (مرقس ١٢:١٧). وعندما مشى يسوع على المياه اندهش التلاميذ (مرقس ٦:٥١). وعندما شفى الأصم الأبكم انذهل الناس وانبهروا

(مرقس ٣:٣٧). بل أن الجموع لما رأوا يسوع تحيروا وبهتوا (مرقس ٩:١٥). إلا أنه وسط هذه الأحداث ليس هناك دليل واضح على أن الدهشة تحولت سريعًا إلى إيمان إلا مع امرأة معينة (مرقس ٥:٢٥-٣٤).

هناك عدد من الأسرار في هذا الحدث الأخير. كيف عرف يسوع القوة التي خرجت منه (مرقس ٥:٣٠)، وكيف فكرت المرأة بأن مجرد لمس يسوع سيشفيها؟ إن معجزات الشفاء لدى يسوع مصحوبة عادة بكلمة أو بفعل خاص. ما الذي جعلها تفكر أن اللمسة السرية ستشفيها؟

«**لأَنَّهَا قَالَتْ: إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ**» (مرقس ٥:٢٨). كان ذلك هو إيمانها الذي ميزها. كان هناك الآلاف يلمسون يسوع ويزحمونه، لكن واحدة فقط تميزت بإيمانها. لقد أنفقت كل معيشتها وكل ما لديها على العلاج الطبي ولم يتوقف النزيف بل صار أسوأ. لكن عندما سمعت بيسوع، آمنت بأنه يقدر أن يشفيها هذا بالحقيقة إيمان عظيم. فبعد عشرات العلاجات والأدوية يئست هذه المرأة بالتأكيد. وربما حاولت وعلمت أن العلاج التالي سيأتي في الطريق، لكن لم يكن لها ثقة في ذلك. لقد تعلمت الآن أنه لن ينفعها أي شيء. لكن عندما سعت أن يسوع قادم فكرت في نفسها أنها لو لمست هدب ثوبه فستبرأ... ولم تقل ربما أبرأ. كانت هذه المرأة واثقة لأنها تعرف يسوع.

هذه المرأة التي لا نعرف اسمها، هي معلّمة لنا في مخافة الرب. فقد استعت إلى الرب يسوع ورأت ما عمله. وبلا شك أنها تعجبت مما سمعت ورأت. لكن دهشتها قادتها إلى الثقة بأن يسوع هو المسيا ابن الله.

فماذا عنك؟ عندما تقرأ عن هذه الأحداث فهل تندهش، أم أنها مجرد درس في فصول التلمذة؟ اسمح لهذه المرأة أن تريك ابن الله بطريقة جديدة، أكبر من قبل ذلك. ثم اسمح لها أن تعلّمك المزيد: «**لا تقف هناك مفتوح الفم. آمن**». الخشية جيدة. لكن ذلك لا بد أن يقودك إلى الإيمان، ولا بد أن يقودك الإيمان إلى الفعل.

مخافة الرب: «لا تخف»

بمواصلة سفر الدهشة (إنجيل مرقس)، يخبرنا مرقس بقصة أخرى يكون فيها الناس في خشية. لكنه ذلك النوع من الخوف حيث الشاهد لا يمكن أن يفعل شيئًا إلا أن يقف هناك فاتحًا فمه في اندهاش. كان الحدث هو التجلّي، عندما أعطانا الرب يسوع لمحة مرئية عن بهاء الله. كان بطرس واقفًا مفتوح الفم. لكن يسوع عرف أن بذور الإيمان في حياة بطرس سرعان ما تنتج ثمرًا عظيمًا، ولذلك ترك بطرس في دهشته.

التجلّي ليس غير مسبوق في الأسفار المقدّسة. فمثلاً، شاهد أبو شمشون وأمه حدثًا مماثلاً (قضاة ١٣). فكان لديهما نفس ردة الفعل المعتادة: «**إننا موتًا نموت، لأننا رأينا الله**». أما ردة فعل بطرس فكانت فريدة ومتميزة.

لماذا لم يصطحب يسوع معه سوى بطرس ويعقوب ويوحنا، لا نعرف. لكننا نعرف أن يسوع أعطاهم عطية يتذكرونها طول فترة خدمتهم. تذكّر التلاميذ أن الذي عاش معهم هو الله الظاهر في الجسد. وكانت العطية درسًا متقدمًا في مخافة الرب.

«وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ» (متى ١٧: ١-٣).

«وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدّاً كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ. وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ» (مرقس ٩: ١-٤)

«صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضّاً لاَمِعاً. وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اَللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ» (لوقا ٩: ٢٨-٣١).

بالطبع كان التلاميذ مرعوبين. لقد تنبهوا على هذا العرض العجيب للمجد. لكن ردة فعل بطرس كانت بالتأكيد متميزة وفريدة في كل الأسفار المقدّسة. فلماذا اقترح صنع ثلاث مظال؛ واحدة ليسوع وواحدة لموسى وواحدة لإيليا؟ أثق أنه كان لديه أسبابه. ولكن لا يستحق الأمر محاولة الاستيعاب. لأن إنجيل مرقس يقدم السبب الفعلي. ففي واحدة من أكثر التعليقات سخرية يوضح مرقس سبب سخف كلام بطرس: **«لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ»** (مرقس ٩: ٦). كان معظم الناس صامتين من الرعب فتكلّم بطرس بشيء فقاطع الله حديثه. **«وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا. وَلَمَّا سَمِعَ التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدّاً. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ: قُومُوا، وَلاَ تَخَافُوا. فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَداً إِلاَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ»** (متى ١٧: ٥-٨).

«وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا. فَنَظَرُوا حَوْلَهُمْ بَغْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَداً غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ» (مرقس ٩:٧-٨).

«وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتْهُمْ. فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِي السَّحَابَةِ. وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ لَهُ اسْمَعُوا. وَلَمَّا كَانَ الصَّوْتُ وُجِدَ يَسُوعُ وَحْدَهُ» (لوقا ٩:٣٤-٣٥).

أما يسوع، الراعي العظيم، الذي محبّته المقدّسة مرهوبة كقوته، فقال لهم: «**لا تخافوا**». كانت الكلمات مألوفة لدى التلاميذ. فقد عرفوها من موسى ويشوع، لكنها لم تكن على الإطلاق أقوى معنى من الآن. مرة أخرى، يدعونا يسوع للاقتراب منه وقبول معرفته.

مخافة الرب والإنجيل

كل هذا كان يؤدي إلى موت يسوع وقيامته. أمر طيب أن تندهش من كل شيء في الكتاب المقدّس، لكن هنا تصير محبة الله المقدّسة وعدالته المقدّسة واحدًا. لذلك ينبغي أن ينتهي خوفنا (خوف التبجيل) عند الإنجيل.

الحبّ المقدّس؛ كان كشاة تساق إلى الذبح عوضاً عنا. «**إذ ونحن بعد خطاة** (أعداء)، **مات المسيح لأجلنا**»

العدل المقدّس، عقوبة الخطية أزيلت وهي عدم التواجد في محضر الله. «**إلهي إلهي لماذا تركتني؟**»

لا بد أن يحرّك موته الخوف الصالح فينا. فليس هناك أي فعل آخر يمكنه أن يتضمن الحب المقدّس والعدل المقدّس معًا.

هذا الموت قادنا إلى التعجب، لكن ربما تندهش عن من الذي تعجب. يذكر مرقس عددًا من النسوة اللاتي كن حاضرات وشاهدات، لكنه لا يقدم لنا ردة فعلهن. كما لم يذكر أي تلميذ. أما ردة الفعل الشخصية الوحيدة تجاه موت يسوع والتي يذكرها لنا مرقس في إنجيله هي ردة فعل قائد المئة. لا نعرف مـاذا رأى من خدمة يسوع. ربما لم يشاهد سـوى موته. لكن ما يقوله هو أمر متميز يستحق الذكر. فيبدو كأنه خوف امتد واتسع ليصير إيمانًا.

«وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفُ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قَالَ: حَقّاً كَانَ هذَا الإِنْسَانُ ابْنَ اللهِ» (مرقس ١٥:٣٩).

لقد فعل يسوع وقال أمورًا كثيرة أثارت الدهشة في الجموع. وبعد ذلك، كانت الجموع تندهش لمجرد رؤيته. لكن أعجب تعليق عن الدهشة في هذا السفر هو ما قاله قائد المئة، وكل ما قد رآه هو موت ثلاثة أعداء لروما.

لقد قرأت عن موت الكثيرين من المشاهير، رجالاً ونساءً. مضى البعض في غضبهم إلى الموت إما بالانتحار أو بالتلويح بقبضتهم نحو الله بالتهديد. وآخرون أحاط بهم الأصدقاء والتلاميذ، ولاحظ الشهود كيف ماتوا في هدوء وسلام وسكينة. لكنني لم أقرأ على الإطلاق أن أحدًا ارتعب من موت شخص آخر.

لم يلق يسوع أي عظة وهو على الصليب، كما لم يصنع أي معجزة ظاهرة. لكنه مات؛ فعرف قائد المئة عن يقين تام بلا أدنى شك، أن يسوع هو ابن الله .

ثم يشهد مرقس بعد ذلك لحقيقة أن يسوع قهر الموت. فتقريره الموجز يبين أن ذلك يبدو ضد الطبيعة، كما لو أنه يقول: «بالطبع إننا سمعنا يسوع يشهد لنفسه بأعماله وأقواله، فعرفنا أن الموت لن يقدر أن يحتويه. إلا أن يسوع هو القدّوس الذي هو فوق الموت وليس تحت حكمه». لكن مرقس لم يسعه إلا أن يسجل ردة فعل تعجبية أخرى. ولعل رسالته تنتهي بهذه الكلمات:

«فَخَرَجْنَ سَرِيعاً وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئاً لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ» (مرقس١٦:٨).

سرعان ما يتحول خوفهم وذهولهم إلى خشية (خوف احترام أو خوف عبادة)، وثقة.

تشير كل هذه الأمثلة الكتابية إلى نفس النتائج: الله الثالوث يسر بأن يظهر لنا عظمته وقداسته. ولن نكتفي بمعرفتنا الحالية به. ولذاك نطمح إلى مخافة الرب. وبالتأكيد سيتم إشباع هذه الرغبة بالصلاة.

أيها الرب، علّم كنيستك أن تهابك. إن نعمتك ليست مذهلة لنا دائمًا. إننا نهتم بالأكثر بما قد يظنه الآخرون عن مظهرنا أكثر من اهتمامنا بطاعة التقوى أمامك. إننا نريد أن نُسَرّ بمهابتك. ونريد أن نكتنزها ونقدمها للجيل التالي. آمين.

لمزيد من التفكير

إن مفتاح تعلّم مخافة الرب هو البقاء في الأسفار المقدّسة. فعندما تتأمل في الأسفار المقدّسة، صلِّ لكي يعلّمكم الله أنه الواحد القدوس.

١- راجع مزامير الخليقة (مزامير ٨؛ ١٩؛ ٢٩؛ ٦٥؛ ١٠٤).

٢- تأمل في مزامير العرش (مزامير ٩٥-٩٧؛ ٩٩).

٣- احفظ المزمور ١٣٩. فهو يقرر أن تدبير الله شامل، حتى أنه يدخل في كل تفاصيل حياتنا.

٤- راجع أحد كتب الترانيم، وسلّط الضوء على الترانيم التي تعبّر عن جلال الله وقداسته.

٥- اقرأ سفر حبقوق. فهو شبيه بسفر أيوب في أن الله يخاطب إنسانًا لديه تساؤلات بشأن ما يفعله الله. وقد تم حل كل هذه الأسئلة عندما تتلمذ حبقوق في مدرسة مخافة الرب.

٦- اقرأ كتاب «قداسة الله»، تأليف أر سي سبراول (دار نشر تيندال، ١٩٨٥).

٧- راجع فقرات العهد الجديد عن جَهَنّم. فمع الفقرات المذكورة في هذا الفصل، تأمل ما يلي: تسالونيكي الثانية ١:٥-١٠ ؛ بطرس الثانية ٢:٦ ؛ رؤيا يوحنا ١٤:٩-١١ . احرص على التحدث مع الآخرين في كنيستك عن تأملاتك. باركهم بما تعلّمت من الله واستمع لما تعلّموه هم من الله .

٨- ابدأوا مجموعة صلاة «مخافة الرب» أو «معرفة الله».

٩- خذ وقتك في الاعتراف بخوفك من الناس وقلة مخافة الرب لديك.

الفصل الثامن

افحص احتياجاتك المحسوسة في ضوء الكتاب المقدّس

«**اتَّقُوا الرَّبَّ يَا قِدِّيسِيهِ، لأَنَّهُ لَيْسَ عَوَزٌ لِمُتَّقِيهِ**» (مزمور ٣٤:٩).

عندما تنفق وقتًا في موضع عرش الله، فإنك تضع أمورًا في منظورها. فوجهات نظر الآخرين أقل أهمية، بل وحتى وجهات النظر الخاصة بنا تبدو أقل أهمية. ربما يكون هذا هو كل ما نحتاج إليه. إن الوقوف اليومي في محضر الرب يشفي الخوف من الناس. لكن ماذا لو أنك مازلت تشعر بأن احتياجاتك لم تسدد بعد؟ ماذا لو أن تقدير الذات عندك يظل يعوق اهتمامك؟ إن مخافة الرب هي لب العلاج الكتابي للخوف من الناس، لكنها ليست العلاج الوحيد. فالتحرر من الخوف من الناس له ثلاثة مكونات: فلا بد أن نمتلك معرفة مستقاة من الكتاب المقدّس عن الله، وعن الآخرين، وعن أنفسنا . وفي هذا الفصل سنطالع عن قرب ما قاله الله عن ذواتنا وعن احتياجاتنا.

الخطوة الخامسة : افحص أين تكون شهواتك ورغباتك كبيرة جدًا. عندما نخاف الناس، يبدو الناس كبارًا وتكون رغباتنا أكبر، ويبدو اللّه صغيرًا.

السؤال هو هذا: ما هو الشكل الأساسي أو الهوية الأساسية التي أعطاها الله لنا؟ الفكرة السائدة هي أننا مخلوقون في احتياج نفسي. ويمكنك أن تجد ذلك في المكتبات المسيحية والدنيوية. كما يمكنك سماع ذلك في مكاتب المشورة. وهي جزء من الحديث العرضي في كل من الكنيسة والعالم.

* لو أن زوجي كان يشجعني أكثر من ذلك.
* لو أن زوجتي تحترمني قليلاً.
* لو أن أولادي يطيعونني.
* لو أنها تبدي شيئًا من الاهتمام بي.
* لو أن أبواي يعطياانني مزيدًا من الاستقلال.

هل تسمع ذلك؟ كأس الحياة المملوءة حبًا. «املأني بالحب، لكي أكون سعيدًا». إننا نميل إلى أن نرى أنفسنا كأشخاص محتاجين إلى شيء ما من الآخرين لو كنا سنتغير.

نظرة الناس المنتشرة

بتجميعها معًا فإن النظرة الشائعة لدى الناس هي كما يلي:

١- شكلنا الأساسي أننا مثل الوعاء أو الكأس التي تمتلئ باحتياجات نفسية.

٢- لدينا قائمة طويلة بالاحتياجات النفسية، لكن هذه الاحتياجات تميل إلى أن تتجمع معًا حول الاحتياجات الأساسية للحب والقيمة والأهمية.

٣- عندما لا تسدد هذه الاحتياجات، نصبح في نقص ولذلك نشعر بالفراغ.

٤- ينبغي أن نكون حذرين، من الذي يملأ هذه الاحتياجات. فإما أن نتجه إلى الناس أو نتجه إلى المسيح.

ما هي هذه الاحتياجات؟

عندما نتطلّع إلى هذه الأفكار الأربع، فإن المكان الطبيعي لبداية فك شفرة رأينا في أنفسنا، هو تفهمنا لاحتياجاتنا. ما الذي تقول إنك تحتاج إليه بالحقيقة؟ إن إجابتك تصل إلى جوهر رأيك في ذاتك.

بالنسبة لي الإجابة سهلة. فأنا محتاج إلى أن تحبني زوجتي. وأحتاج إلى أن يكون عندي حس المساهمة في العمل. كذلك أحتاج إلى أن يطيعني أولادي، خاصة عندما يكون هناك أشخاص آخرون في البيت. وأحتاج إلى المال بالطبع. أعتقد هذا كل شيء، حتى الآن.

كيف ستجيب السؤال ؟ هناك طريقة أخرى يمكنك بها طرح سؤال آخر. ماذا تقصد «بالاحتياج»؟ يمكن بالتأكيد أن يكون للكلمة عدة درجات من المعنى. فلو أنك تائه في الصحراء وتموت عطشًا، فإن الإجابة هي الماء. فإذا سأل الراعي هذا السؤال أثناء العظة، وخاصة لو سأل: ما الذي تريده حقًا؟، فالأرجح أن تكون إجابتك هي: الرب يسوع. فإن سألك شخص ما نفس السؤال أثناء تناول كوب من القهوة، فالإجابة ستكون حسب تخمين كل واحد: مثل الاحترام أو الحب أو التفاهم أو الإصغاء أو تقدير الذات أو أولاد مطيعين أوالأمان. القائمة محدودة بخيال الإنسان ورغباته.

مرحباً بكلمة «**احتياج**»، وهي واحدة من أكثر الكلمات تشويشًا في اللغة. كل إنسان يستخدمها، لكنها يمكن أن تعبر عن أفكار غير مترابطة. فمثلاً: أنا محتاج إلى عطلة، هي طريقة ثقافية للتعبير عن أنني تعبت من العمل يوميًا. كذلك عبارة: «إنني محتاج إلى احترام زوجتي» تكشف عن اعتقاد بأنني أجرب نقصًا نفسيًا لو لم تخدم زوجتي هذه الضرورة النفسية المتصورة. كذلك «أنت محتاج للماء»، هي طريقة للتعبير عن احتياج بيولوجي حقيقي، والذي عندما لا يتحقق سيؤدي فعليًا إلى اعتلال الصحة أو الموت. وعبارة «أنا محتاج للجنس»، تعبر بشكل نمطي تقليدي عن شهوة القلب، لكن القلب يخدعني بأنني أفكر فقط في طلب ضرورة بيولوجية.

بعض المعاني محايدة. فتقول زوجة لزوجها: «نحن نحتاج إلى لتر حليب ورغيف خبز» وهناك معاني أخرى تحمل تقييدًا أكبر. يقول الزوج: «أحتاج أن تبتعدي عني».

من بين كل هذه الاستخدامات لكلمة الاحتياج بمشتقاتها، هناك ثلاث مجموعات مختلفة من المعاني: احتياجات بيولوجية واحتياجات روحية واحتياجات نفسية.

الاحتياجات البيولوجية: هذه الاحتياجات واضحة وصريحة. فنحن نحتاج إلى الطعام والماء والمسكن، وإلا فإننا نموت. وهذا استخدام شائع لكلمة احتياج في الكتاب المقدّس. ويدعونا الرب يسوع إلى عدم الاهتمام بما نأكل أو نشرب أو نلبس: «**فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا**» (متى ٦:٣٢).

وهذا القسم مؤخرًا صار مربكًا. فمثلاً: انتقل إلى هذا القسم منذ سنوات احتياج جديد: «إنني محتاج إلى زجاجة بيرة». ولم تعد المشروبات الكحولية إشباعًا لرغبة تنتج عن تجربة أو شهوة، لكنها احتياج مفهوم عن دافع بيولوجي لا يقاوم. تأمل القول الشائع: «إنني محتاج للجنس». عندما يخرج ذلك من قسم الشهوة والرغبة إلى الاحتياج البيولوجي، فهنا افتراض بأن الجنس احتياج بيولوجي، يتطابق تقريبًا مع الطعام والماء. والمنطق هنا هو لأنه احتياج بيولوجي، فإن ضبط النفس في الجنس غير طبيعي، والاختيار الوحيد المتاح هو ممارسته. ولذلك فالامتناع عنه طراز قديم كما أنه غير مبرر بيولوجيًا.

الاحتياجات الروحية: الاستخدام الثاني لكلمة احتياج هو الاحتياج الروحي. وبعيدًا عن خلاص المسيح فإننا محتاجون ومحبطون، فنحن أموات في خطايانا، ونحن أعداء لله، كما أننا نقف أمامه ونحن مدانون، ونحن مستعبدون للشيطان ولشهواتنا الخاصة ولا نقدر على أن نعالج موقفنا أو نرضي الله. هذه بوضوح أعمق احتياجاتنا الروحية. إلا أن الله الثالوث القدّوس لا يتركنا وحيدين. فقد صار يسوع هو مسدد احتياجاتنا. فهو الذي يجعلنا أحياء، ويصالحنا لنفسه ويدعونا أصدقاءه ويغفر لنا ويفدينا ويخلّصنا من عبودية الخطية والشيطان. فحسب الأسفار المقدّسة يسدد الرب يسوع كل احتياجات حياتنا وصلاحنا (بطرس الثانية ١:٣).

الاحتياجات النفسية: والآن الأمر صعب. فحدود هذا القسم يصعب إيجادها. فهذه تسمى احتياجات نفسية. ويمكن أن تكون قائمة الاحتياجات

النفسية طويلة، لكنها عادة لها علاقة بما نريده في العلاقات والأهمية والقبول والاحترام والإعجاب والمحبة والانتماء والمعنى إلخ. ويقصر بعض الناس هذه القائمة الطويلة على احتياج واحد هو المحبة.

فالاحتياج للحب يفترض عادة أنه أساسي لطبيعة الإنسان مثل الاحتياجات البيولوجية والاحتياجات الروحية. فهي يمكن أن تكون بنفس قوة الاحتياج البيولوجي للأكل والنوم.[1] وكما لاحظنا من قبل في الفصل الخامس، فإن كتابًا مثل «المحبة اختيار»، يقرر أن عندنا حاجة ممنوحة من الله لأن نكون محبوبين، تولد في كل طفل. إنه احتياج مشروع ينبغي تسديده منذ المهد حتى اللحد. فلو أن طفلاً حرم من الحب، ولو أن الاحتياج الأساسي لم يسدد، لترك أثرًا في الطفل مدى الحياة».[2] إلا أنه يوجد سؤالان من النادر طرحهما بشأن الاحتياج إلى الحب. أولاً، مع اتفاقنا بأن الحب رغبة بشرية عامة، كيف يمكننا تبرير رفع مستوى الرغبة إلى أن تكون احتياجًا مقدمًا من الله؟ هذا فرق مهم بين الكلمتين. ثانيًا، وربما الأهم، ما هو الغرض من استيفاء هذا الاحتياج؟

الجواب للسؤال الأول عادة هو: «لقد خلقنا الله على صورته وقال إنه ليس حسنًا أن يكون الإنسان وحده. ولذلك فإننا نحتاج إلى الناس» هذا مفهوم كتابي. فهناك طريقة نحتاج بها إلى الناس. لكن هذا يترك السؤال الثاني: «لماذا نحتاج إلى الناس حسب احتياجات القسم النفسي؟ فتبعًا للقسم النفسي، فإننا نحتاج إلى الناس لتحذيرنا من خداع الخطية ولتوجيهنا نحو محبة يسوع، ولمساعدتنا في حمل أثقالنا وللعديد من الأمور الأخرى.

1 Tom Whiteman and Randt Peterson, *Love Gone Wrong* (Nashville: Nelson, 1994), 90.

2 Robert Hemfelt, Frank Minirth, and Paul Meier, *Love is a Choice* (Nashville, Nelson, 1989), 34.

مع أن هذا السؤال نـادرًا ما يطرح، تظهر الإجابة عادة في العديد من الكتب التي تهتم بالاحتياجات النفسية. وتبعًا للتفكير الشائع لا بد من إشباع هذه الاحتياجات لكي نصل إلى أقصى جهد، وننال السعادة والاستقرار النفسي وتقدير الـذات. ولكي نصوغها بشكل أبسط نقول إن احتياجاتنا النفسية ينبغي إشباعها لكي نشعر بالرضا عن الذات.

الاحتياجات البيولوجية	مطلوبة لحياة الجسد	المأكل، والماء، والملبس، والمأوى.
الاحتياجات الروحية	مطلوبة لحياة الروح والإيمان والطاعة...	غفران الخطايا، والتبنّي، والتقديس، والتمجيد.
الاحتياجات النفسية	مطلوبة للسعادة والقبول...	الحب، والأهمية، والأمان، وتقدير الذات...

الشكل ١ ـ استخدامات شائعة لكلمة "احتياج"

إننا نعلم أننا خلقنا لكي نعيش في علاقة مع الناس، وفي هذه العلاقات هناك الحب والتشجيع والتعزية بعضنا نحو بعض. لكن هل القصد من هذه العلاقات هو دعم تقدير الذات؟ للوهلة الأولى، يُمكن للأسفار المقدّسة أن تدعم فكرة أن لدينا احتياجًا لإظهار الحب نحو الآخرين. لكن الأصعب أن نجد نصًّا كتابيًا يقول أن هناك احتياجًا مرتبًا من الله لاستقبال الحب لكي نشعر بالرضا عن أنفسنا. فأين تكلّم الكتاب المقدّس عن هذه الاحتياجات؟

الاحتياجات: تجربة البحث عن نص كدليل

عند ترك الاحتياجات النفسية بتعريف جزئي، فيبدو من الطبيعي مع تكشف الهدف منها، أن تبدو هذه الاحتياجات متركزة حول الذات، كما يبدو من الصعب إيجاد دعم لها من نص الكتاب المقدّس. إلا أن المفكرين قد وجدوا هذه الاحتياجات في الكتاب المقدّس. فيفترضون أن الاحتياجات المرتبة من الله، يمكن أن توجد في واحد من قسمين بارزين من الأسفار المقدّسة: الإنسان كجسد ونفس وروح، والإنسان كمخلوق على صورة الله. ربما لم تتوقع سلوك مفكر لاهوتي على درب التعامل مع الخوف من الناس. لكن حياتنا تنبع من الفكر اللاهوتي، مفهومنا عن الله وعن ذواتنا. لذلك فمن الضروري أن نفصل هذه الافتراضات اللاهوتية.

الإنسان مكون من ثلاث مواد: إن الرأي القائل بثلاثية مكونات الإنسان، أي الجسد والنفس والروح، هو أول فئة كتابية يطلب منها أن تحمل الاحتياجات النفسية. فالفكرة الشائعة هي أن الجسد المادي له احتياجاته الجسدية المادية، وأن النفس لها احتياجاتها النفسية، وأن الروح لها احتياجاتها الروحية. وبالتالي، فإن الجسد الذي له احتاجات جسدية يذهب إلى طبيب الجسد، والإنسان صاحب الاحتياجات النفسية يذهب إلى طبيب نفساني أو إلى معالج/مرشد نفسي، والإنسان ذو الاحتياجات الروحية يذهب إلى الراعي أو القس.

هذه الصيغة الأساسية، مع بساطتها واستنادها إلى الكتاب المقدّس في ظاهرها، فيها بعض المضامين غير المقصودة. فهي بالضرورة قد أعطت لعلم النفس الدنيوي السماح بتشكيل ثلث الإنسان. فقد صارت

النفس قسمًا فارغًا تملؤه نظريات علم النفس التحررية المتضاربة. وكما يسهم الدواء في العديد من تفاصيل قسم الجسد في الإنسان، كذلك يمكن لعلم النفس أن يسهم الآن في (أو يستبعد تمامًا) استيعابنا للنفس. وقد يبدو الاحتياج إلى التحليل الكتابي الدقيق لما نقوله عنها انزلاقة منا. فيبدو أننا قد عملنا ذلك بالفعل بتسمية هذا القسم باسم «النفس». إلا أنه ينبغي علينا أولاً أن نسأل إن كان هناك فعليًا «نفس» واضحة التميز عن الروح.

إن نظرية ثلاثية تكوين الإنسان توجد بسبب وجود ظلال مختلفة المعنى للروح والنفس. فمثل معظم الكلمات، هاتان الكلمتان بينهما حدود واهية مبهمة. فهما ليستا كلمتين فنيتين مثل كلمة «إليكترون»، لكنهما أقرب شبهًا بكلمة «احتياج»، تستمدان من المضمون الكثير من المعنى. والسؤال هو إن كانت ظلال المعنى هذه كافية للتأكيد على أن الروح والنفس مادتان مخلوقتان متميزتان. أم أن الروح والنفس (مثل القلب، والعقل، والذهن، والشخصية، والضمير) مفاهيم مختلفة قليلاً تعبر عن الإنسان الداخلي غير المادي الواحد ذاته (كورنثوس الثانية ٤:١٦)؟

هناك عدد من الفقرات الكتابة تؤكد أن الإنسان مكون من مادتين هما الجسد والروح أو من جوهر مادي وجوهر روحي، يصيران واحدًا معًا ولا ينفصلان إلا بالموت. من هذه النقطة الأفضل، فإن التعبير بكلمتي روح ونفس، يؤكد على وجهين مختلفين لنفس الجوهر. إنهما بالضرورة متبادلان في المعنى والاستخدام، لكنهما يقدمان منظورين مختلفين بشأن الكيان غير المادي في الإنسان. فإنجيل متى مثلاً، يؤكد أن الإنسان مكون من مادتين هما الجسد المادي والنفس غير المادية «**وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ** (المادي) **وَلكِنَّ النَّفْسَ** (غير المادية) **لاَ يَقْدِرُونَ**

أَنْ يَقْتُلُوهَا» (متى ١٠:٢٥). كما يؤكد بولس أننا نتكون من جوهرين - مادي وغير مادي - لكنهما يشار إليهما أنهما جسد وروح وليس جسد ونفس (كورنثوس الأولى ٧:٣٤). ويتفق يعقوب مع هذه الثنائية ويشير إليها بالجسد والروح «**الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ**» (يعقوب ٢:٢٦).

أما الفقرتان اللتان يقتبسهما معظم مؤيدي فكرة ثلاثية تكوين الإنسان فهما الرسالة إلى العبرانيين والرسالة الأولى إلى تسالونيكي ٥: ٢٣.

«لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (العبرانيين ٤:١٢). يظن البعض أن هذه الفقرة تشير إلى تمييز أجزاء الإنسان. أي أن كلمة الله تفصل ما بين النفس والروح. لذلك فهما جوهران منفصلان ويكونان جزءًا من الإنسان. إلا أنه لو كانت الفقرة تقصد أن تتحدث بشكل فني عن أجزاء الإنسان، لكان هناك على الأقل أربعة مكونات تشكل مجموع الإنسان كله هي: النفس والروح والجسد (المفاصل والمخاخ) والقلب (مع تقسيم القلب إلى أفكاره ونياته أو مواقفه). والأرجح أن الفقرة تؤكد أن كلمة الله تنفذ إلى وتخترق الجانب الخفي غير المنظور في الإنسان. فهي تمضي داخل جوهر الإنسان وليس بينه، كما لو أنها تقطع إلى شرائح. وحقيقة أن الإنسان الداخلي يشار إليه بأنه النفس أو الروح أو القلب، هي وسيلة شعرية للتأكيد على انغماس الإنسان كله في العملية. فمثلاً، يقول إنجيل مرقس :»**وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ**» (مرقس ١٢:٣٠). إن تراكم التعبيرات هنا تستخدم للتعبير عن الكمال. إنها طريقة قوية للتأكيد على أن محبتك لله هي استجابة للإنسان كله.

يمكن لمعظم الكتاب المقدّس أن يتكلم عن التمييز فيما بين النفس والروح، أن النفس تؤكد أن الإنسان وجود لكيان أرضي ضعيف، أما الروح فتركز على حقيقة أن حياتنا مستمدة من الله. ولا يقول أي مصطلح منهما أن الإنسان مخلوق وفيه قسم متميز اسمه الاحتياجات النفسية. وبالعكس، فإنها كلمات متراكبة تشير إلى الإنسان الداخلي وإلى الجانب غير المادي من البشرية أو إلى الإنسان الذي يعيش أمام الله القدوس.

لذلك فلا يمكن أن نجد الاحتياجات النفسية هنا.

صورة الله في الإنسان: القسم الآخر المستخدم كخلفية كتابية للاحتياجات النفسية هو صورة الله في الإنسان.

«**فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُم**» (تكوين ١:٢٧).

هذا هو التعليم الأساسي لفهم الإنسان. وهو من الأهمية بحيث أن كل دارس للكتاب المقدّس لا بد أن يكون لديه تعريف سريع عن معنى الفرق الذي يصنعه خلق الإنسان على صورة الله. هل هناك أي احتياج نفسي موجود هنا؟ لو لم يكن، فإذن ليست هذه الاحتياجات من ترتيب الله.

يؤكد معظم المسيحيين أن صورة الله في الإنسان هي شيء له علاقة بالتشابه فيما بين الله والإنسان. فحسب نظرية الاحتياج النفسي، فإن ما هو متشابه بينهما هو الاشتياق العميق للارتباط في علاقة (أو حب). هذا الاشتياق تعريفه هو التجربة الذاتية التي هي أعمق من المشاعر. إنها عاطفة نحو العلاقة. وبالنسبة لله، فإن هذا معناه أنه يوجد في علاقة

مفرحة مع ذاته: الآب والابن والروح القدس. كما يعني أن الله لديه اشتياق نحو استرداد العلاقة مع أبنائه.[٣]

شكل ٢ - نموذج الاحتياجات النفسية

ولذلك، فحسب هذه النظرية، فإن جوهر حمل الإنسان لصورة الله هو: «إننا جميعًا نشتاق إلى ما رتبه الله لفرحنا وهو: علاقات خالية

3 Larry Crabb, *Understanding people* (Grand Rapids: Zondervan, 1976), 94.

من التوتر ومملوءة بالقبول والحب العميق وبفرص إيجاد فرق في حياة الآخرين.»[4] «فكل واحد منا يريد بشدة أن يراه الآخرون كما هو، بكل ما فيه، ومع هذا يقبلونه كما هو.»[5] وبدون ملء هذا الاشتياق نكون كالكأس الفارغة.

كيف سأتعامل مع اشتياقاتي؟ هذا هو السؤال الأساسي في وجود الإنسان. فحسب هذه النظرية، نجيب على هذا السؤال بإحدى طريقتين. فإما أن نسلك باستقلال عن الله، ونتطلع لملء ذواتنا بأشياء أخرى أو بأشخاص آخرين، أو نتطلّع نحو المسيح ونجد إشباع احتياجات علاقتنا فيه (شكل ٢).

عند تقييم هـذا النموذج بخبرتنا، يبدو أنـه مناسب لنا تمامًا. ومثل أي نموذج مؤثر آخر يميل هذا النموذج إلى «العمل». ويبدو أنه ذاتي البرهان. لكنه ذاتي البرهان بسبب التعتيم الثقافي أو بسبب تعليم الأسفار المقدّسة الواضح الصريح؟

لاحـظ واحـدًا من المضامين عن الله، فلا شك أن الله يحب شعبه لكن منظور اشتياقات الله تثير بعض الأسئلة المتعبة. ألا يبدو «الاشتياق» مثل «الحاجة الماسة» أو «الاحتياج»؟ ألا يؤكد ذلك أن الله غير كامل بدون علاقته معنا؟ ألا يؤكد ذلك أن الله ذاته لديه نقص ينبغي ملؤه من خلالنا؟ الحقيقة إن الله يحبنا بسبب مسرته الشاملة، ومن أجل مجده. فمجده أعظم عندما ندرك أنه ليس محتاجًا إلى حبّنا.

4 Larry Crabb, Inside Out (Colorado Springs: NavPress, 1991), 53-54.

5 Crabb, *Understanding People,* 112.

لاحظ أيضًا ما ترجحه النظرية المبنية على الاحتياج عند ذواتنا. فهي تقول إن عندنا مشكلة اشتياقات على الأقل، بنفس عمق مشكلة خطيتنا. عمليًا، فإن ذلك معناه أنه لو أن راعيًا يعامل نميمة إنسان كخطية، فيمكن لصاحب النميمة أن يقول إن المشورة سطحية. فالراعي لم يصل إلى قلب المشكلة الفعلي. فكل مشكلتي هي أنني محتاج إلى العلاقة. فإنني أعيش وحيدًا.» فبينما قد يكون حقيقيًا أن النمام يريد هذه العلاقة بشدة، إلا أنه حقيقي أيضًا أن أعمق تفسير للنميمة هي أنها خطية. فالنميمة تعبير عن قلب يصرخ «إنني أريد». إنها التزام بالذات، وهي ضد الله. فسبب الخطية هو الخطية. فافتراض أن المعيشة في وِحدة هو قلب المشكلة الفعلي، لتقليل طبيعة الخطية التي هي ضد الله وتشجيع نقل الملامة.

فإن كنا نظن أن الخطية هي سطحية بأي صورة، فنحن إذن لم نستوعب طبيعة الخطية الحقيقية.

عندما ترى أن الاحتياجات النفسية وليست الخطية هي مشكلتنا الأساسية فسيتأثر استيعابك لنفسك، بل وكذلك سيتغير الإنجيل نفسه. فإن نظرية الاحتياجات تؤكد أن الإنجيل في أعمق ما يمكن مقصود به أن يسدد الاحتياجات النفسية. بتعبير آخر، فإن الإنجيل موجه نحو مشكلة تقدير الذات. فهو موجه نحو ميلنا للاستقرار في سقطاتنا. وهو مقصود منه أن يكون تقريرًا لمحبة الله التي تقول إن الله لا يعمل شيئًا سيئًا»

ويبدو هذا جيدًا بالنسبة لنا، لكنه ليس الإنجيل. فالخبر السار عن يسوع ليس مقصودًا منه أن يجعلنا نشعر بالرضا عن أنفسنا، بل بالعكس، فإن الخبر السار يجعلنا متضعين. ففي سفر إشعياء مثلاً، محا وجود الله

نظرة إشعياء عن ذاته، ثم طهره ثم حرره من ذاته ومن شهواته الردية. وبعد تطهيره الرمزي وتحريره، انطلق إشعياء وتحرر ليكون أقل اهتمامًا بنفسه وأكثر اهتمامًا بخطة الله (إشعياء ٦).

لم يمت الرب يسوع من أجل زيادة تقدير الذات لدينا. بل بالعكس، فإنه مات لكي يجلب المجد للآب بفداء شعبه من لعنة الخطية. وبالطبع كان للصليب فوائد كثيرة منها أننا لم نعد مطرودين من أمام حضرة الله، وأصبح لنا علاقة لصيقة مع الله القدوس. لكن الصليب يعالج مشكلة الخطية، وهي احتياجنا الروحي.

كما تتأثر علاقات البشر كذلك بهذا الفكر اللاهوتي عن الاحتياجات. فمثلاً يصير الزواج إشباعًا متبادلاً للاحتياجات. وللنظرة الأولى يبدو هذا أنه يناسب خبرة الزواج، كما يبدو أنه يتماشى مع نظرة الأسفار المقدّسة عن الحب. فالكتاب المقدّس يوصي الناس بالمحبة لأننا (من هذا المنظور) نحتاج إلى المحبة. فهل من الممكن ألا نكون مدعوين للمحبة لأن الشريك الآخر خزانه فارغ ويحتاج إلى المحبة (لكي يشعر بالرضا عن ذاته)، أم لأن المحبة هي الطريقة التي بها نتشبّه بالمسيح ونمجد الله؟

لاحظ ما يحدث عندما يحب أو يحتاج الزوج من زوجته إلى الحب في صورة الاحترام. فتفكيره أن الله خلقه بهذا الاحتياج وزوجته مجبرة على أن تملأه. لأن الله ذاته أوصاها بذلك. ونتيجة لذلك، فهو يعتقد أنه يستحق الاحترام / وأن له الحق في أن يغضب عندما لا تملأ زوجته هذا الاحتياج.

عندما يكون لدينا رغبة في الاحترام ولا ننالها، فإننا نتألم ونتأذى. وإن كان لدينا احتياج للاحترام فنحن نغضب أو نشعر بالدمار.

إن وصايا الله لنا بالمحبة أو الإصغاء أو التحمل أو غسل الأقدام، لا تتضمن أن لدينا احتياجات نفسية لهذه الأمور. ربما يمكن أن نقول إننا نحتاج أن نقدم تلك الأمور للآخر، لكن الأسفار المقدّسة لا تقول إننا ينبغي أن نلزمهم بأن يجعلونا نشعر بالرضا عن أنفسنا. فهي تتحدث عن إنكار الذات وليس عن الرضا عن الذات. وهي تتكلم عن الكبرياء وليس عن الحاجة إلى تقدير الذات. ومن المنطق المغلوط أيضاً أن نرسم رابطة بين وصايا الله وبين «احتياجاتنا» لقول ما يوصي الله به. فلو طبقت هذا المنطق على الوصية القائلة: «**حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ** (الآخرين) **أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** (أنفسكم)» (فيلبّي٢:٣)، فستصل إلى نتيجة خاطئة بكل وضوح. فستستنتج أنه لما كان الآخر لديه وصية بأن يفعل ذلك، فلا بد أن لديك احتياجًا مرتبًا من الله بأن تكون أهم من الآخر.

من أين تأتي الاحتياجات النفسية؟

كيف يمكن إذن، أن نستوعب هذه الاحتياجات كتابيًا؟ أين يمكن أن نجدها في الكتاب المقدّس؟ ليس هناك أي دليل واضح على أنها جزء متميز من طبيعتنا كما خلقها الله، إلا أنها حقيقية. فإن صَمَت الكتاب المقدّس عنها، فستكون ساكنة في خبرة الإنسان العامة.

وبدلاً من البحث عن هذا المفهوم في وقت الخلق، حينما خلقنا الله على صورته ومثاله، فربما ينبغي أن نبحث عنها بعد سقوط آدم

في الخطية. فبعد السقوط في الخطية، ظل الناس يحملون صورة الله، لكن معصية آدم جلبت تغييرات أساسية لقدرتنا على عكس صورة الله. فتوجيه قلب الإنسان صار موجهًا، ليس نحو الله، بل نحو الذات. ففي الفردوس بدأ الإنسان يكرر تعويذة ستستمر إلى مجيء الرب يسوع ثانية. قال آدم «أنا أريد»، «إنني أريد المجد لنفسي وليس تقديم المجد لله»، «إنني أحب شهواتي الخاصة أكثر من محبتي لله» . ويمكن تعريف هذا بأنه شهوة ورغبة وعبادة أوثان.

هل من الممكن أن تكون «أنا أريد» التي قالها آدم، هي أول تعبير عن الاحتياجات النفسية؟ هل من الممكن أن مكتسبات الاشتياقات النفسية تأتي عندما نرفض محبة الله ونرفض نقبل محبته؟ ألم يكن مع سقوط آدم أن القوة الدافعة لحياة الإنسان قد بدأت تتحرك نحو الداخل نحو رغبات الذات، وليس نحو الخارج نحو الرغبة في أن نعرف إرادة الله وننفذها؟

ليس هذا معناه ألا نقول إن الفرح بقبول الحب هو الخطية الأصلية. بالطبع لا. فلأن (الله) المحب قد صاغنا، فلا بد أن نُسرّ بأن نعطي الحب ونقبله. ليس من الإنسانية ألا نُسرّ بالحب. كما لن يكون من الإنسانية أيضًا، لو لم نشعر بالألم والأذى عندما يرفضنا الآخرون أو يخطئون في حقنا. المشكلة ليست أننا لا نرغب في الحب. المشكلة هي إلى أي مدى نرغب فيه وما القصد من رغبتنا فيه. هل نرغب فيه بشدة حتى أنه يغطي على رغبتنا في التشبّه بالله؟ هل نرغب فيه لملذتنا أم لمجد الله؟

هناك شيء مشترك بين الاشتياقات والشهوة. فالبداية في كليهما طيبة (الرغبة في أن يقبل الحب)، والنهاية استعبادنا له. ولكي نرفع الرغبة

في الحب والتأثير والملذات الأخرى، إلى درجة أن تصير احتياجات أو اشتياقات، فهذا معناه أننا نمجد الرغبة بشكل خاطئ لتصير هذيانًا من الرغبات. فهذا معناه أن نصرخ: «إنني أريد»، «ينبغي أن أنال»، «رغباتي هي لبنات البناء الأساسية لعالمي».

تأمل الأوقات التي شعرت فيها بأنك محكوم من الآخرين، التي «جعلتك» غاضبًا أو محبطًا. تطلع الآن تحت هذه القيود. كيف يمكنك استكمال الجمل التالية: «إنني محتاج إلى ...»، «إنني أشتاق إلى ...»، هل يمكن صياغتها بشكل أدق لتكون: «إنني أريد...(الحب، والأمان، والشعور بالأهمية، والقوة، والسلطة) ولا أنالها»، «إنني أطلب ...»، إنني أصر على...»، لا أقدر أن أعمل أو أعيش بدون...».

هذا يفسر لماذا يكون المسيح في بعض الأحيان ليس كافيًا لنا. فلو أنني وقفت أمامه كأنني كأس فارغة تتنظر أن تمتلئ بالإشباع النفسي، فلن أشعر بالامتلاء. لماذا؟ أولاً، لأن شهواتي بلا حدود، فهي بطبيعتها لا يمكن أن تمتلئ أو تشبع. ثانيًا، لأن يسوع لا ينوي أن يشبع رغباتي الأنانية. وبالعكس، فإنه يريد أن يكسر كأس الاحتياجات (الشهوات) النفسية، لا أن يملأها.

لقد صور أحد الأفلام المسيحية مراهقًا تقرّب إلى المسيح بوعد درجات تعليمية أفضل عند قبوله الإيمان. ثق بالمسيح، واحصل على درجات أفضل، يبدو أمرًا جيدًا. ضع بعض الإضافات الأخرى مثل المال وصداقة جذابة وسيارة للأسرة وستجد أن كل مراهق سيدخل إلى الإيمان.

لكن أليس ذلك استجداء للشهوات وليس خلاصًا منها وغفرانًا لها؟ إن المناداة لبني إسرائيل لم تقل يومًا أن يبدأ الجيران من عبدة الأوثان بعبادة الله الحقيقي لأن يهوه سيقدم لهم محاصيل أوفر مما تفعله الأصنام. بل بالعكس، فإن الله يدعو الناس لترك الأصنام لأن عبادة الأوثان ضد الله.

إن التطلع نحو أن يشبع المسيح احتياجاتنا النفسية هو تلوين للشهوات بصبغة مسيحية. إننا نطلب من الله أن يعطينا ما نريد، لكي نشعر بالرضا عن أنفسنا، أو لكي نكون في مزيد من السعادة والقداسة في حياتنا.

هذا يذكّرني بأن أحد الأشكال لدينا هي صورة الخطاة. فالخاطئ لم يعد هو الشكل الأساسي أو الهوية لنا، لكنه هوية مازلنا نحتفظ بها. وفي أحد الأيام، سنصبح العروس الجميلة، ولكن إلى أن يأتي ذلك اليوم سنظل خطاة في إثمنا وخطيتنا.

إن كلمة «إنني أريد»، هي أكثر من كونها شيئًا نفعله كثيرًا. إنها مغزولة في نسيج حياتنا بطريقة تجعلها جزءًا مما نحن عليه. فمثلاً، هل لا تخطئ وأنت نائم؟ ألا تحلم في منامك؟ الإجابة الكتابية هي لا، بكل وضوح. أو لست مازلت «أنت نفسك» وأنت نائم؟ «الخاطئ» هو حالة مضارع مستمر لكل إنسان، بما في ذلك أولئك الذين وضعوا إيمانهم في المسيح. وبالطبع فإن الذين يدعون يسوع «ربًّا» يتبررون بما يعني أنهم لم يعودوا مذنبين. كذلك فإنهم نالوا الروح مما يجعلهم عبيدًا للمسيح وليس للخطية. لكننا جميعًا خطاة. فالكمال ينتظر الأبدية.

ونحن كخطاة أخطأنا ونحن مدينون لله القدوس. إننا مدينون له بالولاء الكامل والمجد والتسبيح والكرامة. لكننا لم ندفع له أي شيء. لأننا معوزون تمامًا. ولذلك فإن واحدًا من أعمق احتياجاتنا هو احتياجنا للغفران. فنصلّي: «**اغفر لنا ذنوبنا**»، والله، في المسيح، يغفر لنا ما علينا (متى ٦:١٢).

والآن نحن مدينون لله بالفعل، لكنه ليس مديونية تجعلنا في خزي وعار. إننا مدينون له بسبب خطايانا وكنا من قبل في خزي وعار. أما الآن، ففي مديونيتنا له وبسبب مغفرته لنا امتلأنا بالعرفان والشكر. ولكن حتى ذلك ليس هو الحد الأقصى لمديونيتنا، فإن أبانا السماوي قد جعلنا أبناءً له وورثة. لقد أعطانا أسرة جديدة وهوية جديدة. وبالإضافة، فليس هذا هو رصيد الضمان الوحيد الذي أعده لنا. لقد أجلسنا معه في السماويات في مكان عرش الله وأعطانا امتياز السكنى معه إلى الأبد.

لقد ألغى ديوننا لكنه لم يتركنا في تسول، بل أعطانا الغنى. وهي المديونية التي قادتنا إلى الفرح.

إنني أفهم الآن ما الذي أمسكني في الخوف من الناس، حتى مع أنني أعرف الإنجيل جيدًا. فقد احتجت إلى النمو في مخافة الرب، بل واحتجت إلى التوبة. فاحتياجاتي ورغباتي وشهواتي كبيرة. كانت كبيرة فتطلعت إلى ملئها من كل واحد، الله والناس. كنت أخاف من الناس لأن الناس كبار، وكانت رغباتي أكبر، أما الله فكان صغيرًا.

إن السبب الأساسي لوجود وباء الفراغ هو أن من أوجد احتياجاتنا وضاعفها هو نحن، وليس الله.[٦]

لمزيد من التفكير

هذا الفصل يكشف عن حلقة مفقودة في الطريقة التي كنا نتعامل بها دائمًا مع تحكّم الناس فينا. إننا ننسى أنه يجب علينا أن نتوب عن رغباتنا المتمركزة حول الذات. فبدون التوبة تظل رغباتنا هي نقطة المركز وليس مجد الله.

خذ وقتك في التأمل في كم من «احتياجاتك النفسية» قد صار فعليًا مطلبًا، وعوزًا متخفيًا.

٦ ليست الشهوات هي السبب الوحيد للفراغ. فهناك تفسير للفراغ ينشأ من حقيقة أننا نعيش في عالم خاطئ حيث يخطئ فيه الناس إلينا. فمثلاً، لو أن الزوجة ماتت فسيشعر الزوج بالفراغ. فلا بد أن يملأ هذا الفراغ. فقد زال شيء جميل من الحياة. وهناك إحساس كبير بالخسارة. فهذا الفراغ هو نتيجة للعنة والموت المرتبطين بالنفس الإنسانية، وليس نتيجة لأننا خلقنا باشتياقات نفسية.

الفصل التاسع

اعرف احتياجاتك الحقيقية

والآن نرجع إلى السؤال: من نحن؟ لقد تأملنا كيف أن بعضًا منا شعر باحتياج ليس جزءًا من صورة الله فينا. لكننا لم نناقش ما هي صورة الله فينا. ما هو البديل الكتابي للبشر كأكواب فارغة؟ ولأن صورة الله في الإنسان لها علاقة بالشبه والتماثل مع الله (تكوين ٣:٥)، فلا بد أن تكون نقطة البداية هي من هو الله؟ أي تعليم عن صورة الله يجب أن يمر بسهولة بين معرفة الله ومعرفة ذواتنا. وليس إلا حين نكتسب استيعابًا صحيحًا عن الله يمكننا أن نبدأ نسأل من هو الإنسان؟

من هو اللّه وما هي احتياجاته؟

الله وملكوته ببساطة الثالوث القدوس، الله الواحد قدوس إسرائيل. ما هي احتياجات الله الثالوث؟ ليس له احتياجات. فهو مكتفٍ تمامًا. الآب يحب الابن. والابن يسرّ بالآب ولا يريد سوى تنفيذ إرادة الآب. إن أعظم مسرّة لله هي ذاته.[1]

قد يبدو هذا غريبًا في البداية، لكن كيف يمكن أن نتوقع من الله أن ينشغل بأي شيء أقل من كيانه الكامل القدّوس؟ لأن انشغال الله بأي شيء آخر هو نوع من الوثنية. فيكون تمجيدًا للمخلوق أكثر من الخالق. إن هدف الله هو تمجيد ذاته ومجده الذاتي. فقصده تعظيم اسمه العظيم.

---

1 A Helpful discussion to this theme can be found in John Piper's, *The Pleasures of God*.

«**لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ**» (رومية ١١:٣٦) .

لاحظ أنه قد نشأ فرق بين هذا المنظور وبين علم النفس الاحتياجي الجديد. ففي علم نفس الاحتياج، السبب الطبيعي هو تمجيد الله من أجل كل ما فعله لنا. وهذا حسن، لكنه لا يدوم طويلاً. فمن منظور الكتاب المقدّس، الله يستحق المدح ببساطة لأنه هو الله. فنقطة التركيز الطبيعية لأفكارنا ليست هي اشتياقاتنا العميقة، بل عظمة مجد الله الذي لا يقاس (أعمال الرسل ٧:٢)، قدوس إسرائيل الذي يملك. وإذ نرى هذا المجد بشكل صحيح، ونستوعبه، فإنه كل المشغولية. لم ينطلق بنو إسرائيل في التسبيح لأن اشتياقاتهم النفسية قد أُشبعت، بل مجّدوا الله ببساطة لأنه هو ممجّد (خروج ١٥:١١) «**مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ، مَخُوفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟**». فبترديد ذلك تُشبع احتياجاته.

المجد والكرامة والجمال والبهاء والعزة والجلال كلها تعبيرات متبادلة عن عظمة الله. والقداسة هي الكلمة التي تضم كل ذلك معًا.

لقد ناقشنا بالفعل كيف يتم التعبير عن قداسة الله في محبته وعدله. والآن نتقدم خطوة أخرى، حيث يتم التعبير عن محبة الله وعدله بعدد كبير من الصور المادية والصور التشبيهية التي يمكن محاكاتها. فمثلاً القدوس هو العريس المحب الذي ينتظر عروسًا بلا دنس ولا عيب. وهو صاحب العرس والوليمة الذي يدعو كل الناس إلى حفله لكنه يتوقع من الحضور أن يلبسوا لباس العرس الذي أعطاه لهم. إنه الفادي المحب الذي يفدي صهيون بعدله (إشعياء ١:٢٧). إنه ديان كل الأرض، ومع ذلك يأتي ابنه الوحيد ويصير مدافعًا وممثلاً لشعبه المسكين. إنه الأب والأم والابن

الخاضع والعبد المتألم والصديق والراعي والطبيب والصانع والخالق المبدع والفخاري. إنه الصخرة والحصن. حقًا إن صور الله وتشبيهاته منتشرة في كل الكتاب المقدّس. وكل صورة تبهر عن قداسته. هذه اللقطات المادية التي يقدمها الله عن ذاته ليست مجرد وسيلة لتكيفه مع لغة الإنسان. الله لا يستخدم مفهوم العبيد ليؤكد أنه مثل العبد. **الله هو العبد وهو الزوج والوالد والأخ والصديق**. أي شيء في العالم المصنوع يحمل شبهًا لهذه الأوصاف عن الله هو ببساطة مجد الله المتدفق في خليقته وفي مخلوقاته. عندما ترى هذه الصور، ولو أنها مشوشة، فإنها انعكاس بسيط للأصل. إنني والد لأن الله والد. وأنا عامل لأن الله هو العامل الأصيل.

الشكل ١- إلهنا: القدوس

كل هذ الصور تندمج معًا في صورة واحدة عندما تشهد للمجد أو القداسة في الرب يسوع المسيح، صورة مجد الله (العبرانيين ١:٣)، «**وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقّاً**» (يوحنا ١:٤)، ويُدعى: «**قُدُّوسُ اللهِ**» (مرقس ١:٢٤؛ يوحنا ٦:٦٩). آلامه، كما نتوقع، هي مجد الآب. فمثلاً، قبل صلبه صلّى قائلاً: «**أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ**» (يوحنا ١٢:٢٨٧). وفي صلاته قبل إلقاء القبض عليه مباشرة قال: «**أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ**» (يوحنا ١٧:١١)؛ «**أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ**» (يوحنا ١٧:٢٥)؛ وذلك لكي يمجد الآب يسوع فيمجده يسوع. إن أعمق رغبة في قلب يسوع هي مجد أبيه القدّوس، وهذه الرغبة تم التعبير عنها بالحب والعدل. هذا هو الواحد الذي يجب أن تثبت عينيك عليه وأنت تبحث عن حامل صورة الله العليّ.

من نحن؟

إذ تتسلح بفهمك لله، فإن السؤال: «**من هو الإنسان؟**»، يصبح مستقيمًا. كيف يكون الناس مشابهين لله الخالق؟ إن موضوع مشاعر الله العظيمة هو الله ذاته: الآب والابن والروح القدس. فهو يريد أن يملأ مجده كل الأرض. لذلك يجب أن تكون صلواتنا: «**ليتقدّس اسمك**». يكون الناس أقرب شبهًا بالله عندما يكون هو موضوع عواطفهم. ينبغي أن يُسَرّ الناس بالله مثلما يُسَرّ هو بنفسه. ينبغي أن نجعل اسمه معروفًا ومقدّسًا في كل أنحاء العالم. وعلينا أن نعلن مجيء ملكوته المجيد. وكما يقول تعليم ويستمنستر المسيحي: «**الغاية الأساسية للإنسان هي تمجيد الله والتمتع به (الفرح والتلذذ به) إلى الأبد**» (الشكل ٢)

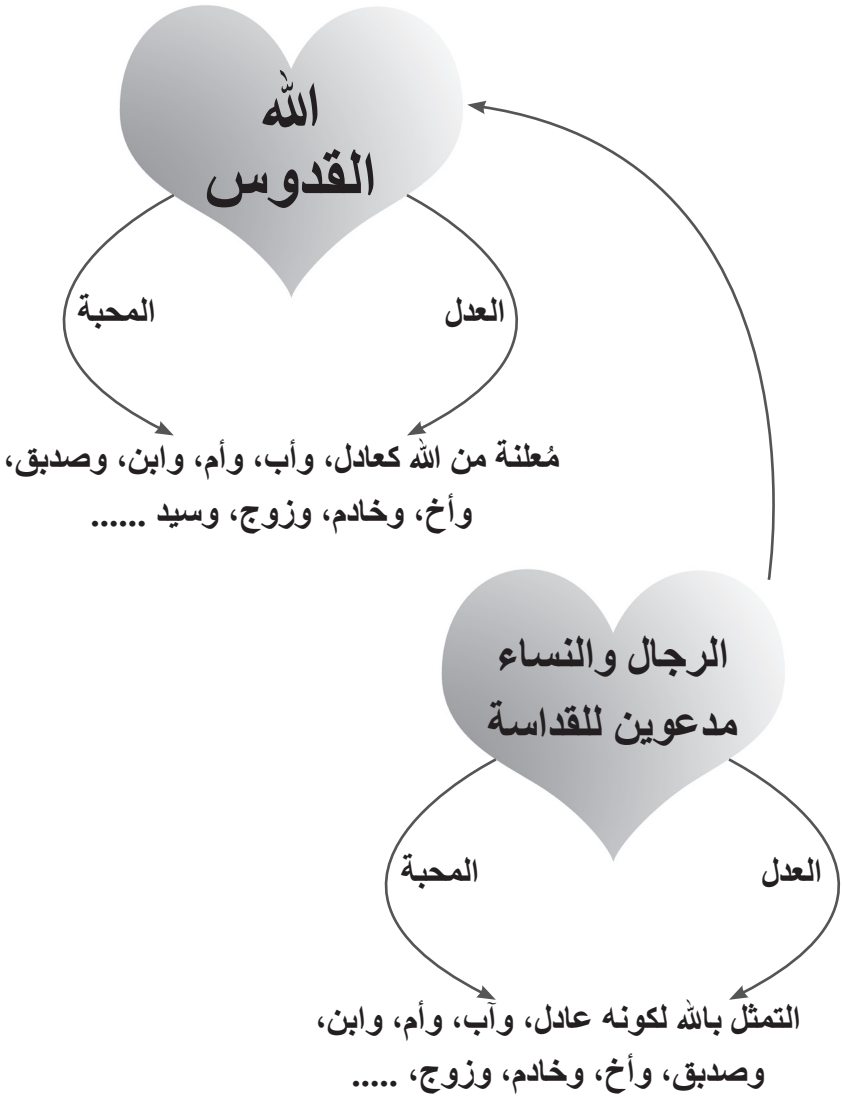

الشكل ٢ - الشخص (والكنيسة): يعكسوا مجد الله

وبدلاً من أن تأخذ صورة الله في مخلوقاته الحية شكل كأس الحب أو اللب المجوّف من الأشواق، فإن الصورة تكون أدق حتى أن موسى يعكس **حرفيًا** مجد الله (خروج ٣٤:٢٩-٣٢)، مثلما يعكس القمر نور الشمس. كان موسى يشع نورًا، لأنه دعي إلى حضرة الرب وشهد لمجد الله وقداسته وصار محفوظًا بهما.

وبالروعة التي يبدو عليها جعلنا الله نحمل صورته المتجددة الأكثر **مجدًا** من موسى. لا بد على شعب الله أن يحملوا صورة الله في حضرته، لكن وجوده غير محصور في ظهوراته الإلهية المتواترة، ولا يعتمد على تفعيل خيمة الاجتماع. والطريقة التي يتقرب بها شعب الله إليه اليوم هي بالإيمان. فبالإيمان يحل مجد الروح. نتيجة لذلك، فبدلاً من المجد الفاني المتلاشي يمكن أن ننمو لنكون أكثر تألقًا. «**وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ**» (كورنثوس الثانية ٣:١٨).

هذا يعني أن جوهر صورة الله هو الفرح بوجود الله، وبحبه فوق كل شيء آخر ونحيا لمجده وليس لمجدنا نحن. ويصبح السؤال الأساسي في وجود الإنسان هو: «**كيف أجلب المجد لله؟**»، وليس: «**كيف سيُشبع الله اشتياقاتي النفسية؟**». ههذه الفروق تولد دوافع مختلفة في قلوبنا: أحدها يجذبنا دائمًا للخارج نحو الله، والآخر يجذبنا أولاً للداخل نحو الذات.

وبالإضافة، فبدلاً من صورة الله كمكان داخل الذات، لب أجوف سلبي سهل التحطم، تجد صورة جلب المجد لله، طريقها للحياة. فتؤكد أن تكون قلوبنا فعّالة نشطة دائمًا سواء في جلب المجد لله أو للنفس. وبهذا المعنى،

فإن صورة الله في الإنسان هي فعل. فهي ليست من نحن؛ لكنها ماذا نفعل. فالإيمان، الذي هو وسيلة تصورنا لله، نعبر عنه بالطريقة التي نعيش بها، في مترادفاتها الكثيرة مثل أن نتشبه بالله (أفسس ٥:١)، ونمثل الله كسفراء (كورنثوس الثانية ٥:٢٠)، ونعكس مجد الله (خروج ٣٤:٢٩-٣٥)، ونحب الله ونحيا حسب إرادته.

وفي النهاية فإن المسؤولية الرهيبة والامتياز المجيد لحمل صورته يعبّر عنهما بأفعال بسيطة من الطاعة ذات المضامين الأبدية. إن التشبه بالله هو أن تحبه وتحب قريبك. وبنفس طريقة استعلان محبة الله وعدله بأفعال مادية، كذلك ينبغي علينا نفس الشيء. فحيثما تجد الإيمان والثقة، فستجد أشخاصًا يتشبهون بالله:

* في التقابل مع شعب الله من أجل مجد الله .

* في الصلاة من أجل بعضنا البعض، ومن أجل العالم، لمجد الله.

* في الاستماع لشريك الحياة وليس اتخاذ موقف دفاعي أو مهاجمته، من أجل مجد الله.

* في الذهاب للعمل، من أجل مجد الله.

* في الاستمتاع بالعلاقة الزوجية، من أجل مجد الله.

* في حسن تربية الأبناء، من أجل مجد الله.

هذا الفهم لقداسة الله وتصحيحه لنا كحاملين لصورته، يؤدي إلى عدد كبير من بدائل كأس المحبة. فهي موجودة في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدّس. ويمكنك أن تجدها في طريقة حديث الله عنا، وعن ابنه،

بل وعن ذاتـه. هذا بالتأكيد لا يعني أنه ستكون لنا قدرة مطلقة مثلما هو مطلق القوة. فهناك بعض صفات الله لا يمكن أن يشاركه فيها مخلوقاته. لكن هناك الكثير من الطرق يستعلن بها الله ذاته تعتبر أمثلة لنا نتبعها. فلنتأمل بعض هذه الأمثلة.

أنت كاهن

إنك تعلم بالفعل أنك موسى الأيام الأخيرة الذي يعيش في حضرة الرب. ونتيجة لذلك ، يلمع وجهك بوجود يسوع. وهذه طريقة أخرى لتقول إنك

كاهن لله. إن شعب الله هم: «**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ**» (بطرس الأولى ٢:٩). هذا شكل أو صورة مقدمة من الله. كما أنه شكل رأيناه في يسوع، الذي هو رئيس الكهنة الأعظم. ونحن كذلك كهنة له إذ نتشبه به.

ولأن هذا هو أنت، فلا بد أن تعرف شيئًا عن تاريخك. كان الكهنة مدعوين إلى الله لتمثيله بطريقة فريدة في خدمتهم أمام خيمة اجتماع الله. والمشكلة هي أنه مثلما كان آدم وحواء، فإن الكهنة كانوا عراة روحيًا وفي خزيهم أمام الله. فكانوا محتاجين إلى ستر الله لهم لكي يخدموا في حضرته. ولذلك صنع لهم الله أقمصة لا تقل عن الملابس الملكية. كانت هذه الملابس تمنح من يرتديها مجدًا وبهاءً (خروج ٢٨:٢).

كـان للملابس الكهنوتية بضعة حلي وإضـافـات عجيبة. فمثلاً، كان الإفود قطعة جميلة من الملابس، تحمل أسماء الإثني عشر سبطًا،

تذكّرنا بأننا لا نقف وحدنا أمام الرب، بل إننا في تضامن مع بقية المسيحيين. كما كانت الصدرية مشغولة بمهارة وتستخدم لاتخاذ القرارات الصالحة. فهي تذكّرنا بأن كل قراراتنا نتخذها بمشورة كلمة الله. واللمسة الأخيرة، وربما الأهم لأنها تغطي الرأس، كانت العمامة. كانت العمامة في ذاتها غير مهمة، ليست أهم من بقية القطع التي تذكّرنا باحتياجنا إلى الستر الكامل من الله. كان منقوشًا عليها خاتم على كل العمامة، يلخّص كل الملابس، مثلما يلخّص كل حياتنا، مكتوب عليها «**قُدْسٌ لِلرَّبِّ**» (خروج ٢٨:٣٦). فالكاهن ينتمي إلى الله، ويمثّل الله، وينبغي أن يكون قدّيسًا مثل الله القدّوس، ويحيا من أجل مجد الله.

وبالمسيح، صارت كل هذه الملابس متاحة لنا. فهي مقدّمة لنا مجانًا، لكن علينا أن نرتديها. فهي ضرورية لتقديم المجد لله. فإن تفحصتها عن قرب، فسترى أن جمال هذه الملابس الكهنوتية ضعف جمال ملابس العرس التي يلبسها شعب الله عند دخولهم إليه.

أنت مسيحي مؤمن

إن التسمية مسيحي هي أكثر ما يحدد شكل المؤمن أو هويته. وهي طريقة أخرى للتعبير عن أننا عائلة الله وأبناء بيت الله. ربما لا يبدو هذا خطيرًا اليوم حين لا يكون لأسمائنا معنى أو رسالة. لكن في أزمنة الكتاب المقدّس كان الاسم يحدد الشخص.

بالقطع إن كلمة «مسيحي» تحمل تعريفًا بنا. فقد حملنا اسم «المسيح». فنحن عروس له. ومهمتنا الآن أن نجعل هذا الاسم معروفًا. فنحن مبعوثون

وسفراء للمسيح الـذي يدعو الآخرين للمصالحة مع الله (كورنثوس الثانية ٥:٢٠). ونحن قد نلنا اسمًا جديدًا بالتبنّي. وبالإضافة، فإنه مهما كان التبنّي يشعرنا بالرضا، لم يُقصد به أساسًا ذلك الغرض. ففي العهد الجديد كان التبنّي يجلب المجد للمتبنّي وليس لمن تم تبنّيه. فالتبنّي يجلب المجد لله.

صور أخرى عن شعب اللّه

ما هي التعريفات الأخرى التي أعطاها لنا الله؟ فكّر بشكل أوسع، ولا تنسَ الصور الشائعة في الأسفار المقدّسة. إن أي لقطة يقدمها الله عن ذاته هي شكل ممكن لنا. فمثلاً، مثلما تستعلن قداسة الله في محبته الأبوية وتلمذته، فإن تشبّهنا به يمكن التعبير عنه بالأبوة. وإذ تتضح قداسته في كونه يعمل، فكذلك ينبغي علينا أن نكون عاملين. لقد خدمنا الله، لذلك علينا أن نتشبه به ونخدم الآخرين. ولذلك فإن أي والد مسيحي يمضي وقتًا مع أولاده في لعب الكرة فهو إنما يتشبه بالله الذي يمضي وقتًا مع أولاده. والطفل الذي يهيئ مائدة الطعام أو ينظف الأطباق بعد العشاء، طاعة للمسيح، فهو إنما يتشبه بالله الخادم ويمجده. والعامل الذي يقوم بعمل دنيوي رغبة في أن يخدم المسيح، فهو يتشبه بالابن الذي قام بالعمل من أجلنا.

إليك بعض طرق التشبّه بالله:

* كأبناء (يوحنا الأولى ٣:١)
* كأصدقاء (يوحنا ١٥:١٤)
* كشركاء في العمل (أفسس ٦:١)

* كعروس (رؤيا يوحنا ٢١:٣)
* كمحاربين (أفسس ٦:١٠-١٨)
* كأحجار حية (بطرس الأولى ٢:٥)
* كمبشّرين وأنبياء ورعاة ومعلمين (أفسس ٤:١١)
* كأزواج (إشعياء ٥٤:٥)

كل هذه الهويات والشخصيات هي طرق لتمجيد الله.

ما الذي نحتاج إليه فعلاً؟

هل لدينا أي احتياجات أخرى غير غفران الخطايا؟ هل نحتاج إلى العلاقات أم لا؟ الإجابة تعتمد على ما تعنيه كلمة احتياج. لو كنا نتكلّم عن الاحتياجات النفسية، فالإجابة بالنفي، فنحن لا نحتاج إلى العلاقات مع الله أو مع الناس، لكي نشبع اشتياقاتنا للأهمية والحب. فهذا شبه أن تقول إنك محتاج لله لكي يسد احتياجك لأن تشعر بالعظمة والأهمية. الاحتياجات ذاتية الإشباع لا يقصد بها الإشباع بل يُقصد بها الإماتة.[٢]

لكن ماذا عن وصية الكتاب المقدّس لنا بأن نحب بعضنا بعضًا؟ ألا يعني ذلك أننا نحتاج إلى الحب؟ ليس بالضرورة. وبأكثر دقة، إنه يعني أننا نحتاج أن نُحِبّ، وليس أن لدينا نقصًا نفسيًا ينبغي أن يُملأ بالحب (والقيمة، والأهمية...إلخ).

٢ يرجح البعض أن الأطفال يحتاجون إلى التغذية مثل الأحضان والطرق الأخرى للتعبير عن الحب، لنموهم بل ولحياتهم. وهذا يعني أن لدينا اشتياقات نفسية عميقة. وأنا لا أعتقد ذلك. فهذا يشبه مقارنة التفاح بالبرتقال. ومن غير الدقة أن نتكلم عن اشتياقات الأطفال ورغباتهم في تكوين علاقات. والأصوب والأدق أن نقول إننا نحتاج إلى الناس لكي نعيش. فنحن مخلوقات تعتمد على بعضها البعض في حياتها اليومية. وهذا أمر يختلف عن أن نضع إيماننا وثقتنا فيهم.

ضع في ذهنك أننا خلقنا على صورة الله. وهذا معناه أننا أعطينا مواهب تتيح لنا أن نمثله ونشابهه. ولأننا خلقنا في المحبة ويحفظنا الله بمحبته، فلا بد أن نقدم له المجد بمشابهة محبته المتصلة. فنحن نحب الناس ليس لأن لديهم عجزًا نفسيًا، ولكن نحبهم لأن الله أحبنا أولاً.

إن صورة الله فينا ليست حول الاحتياج النفسي. إنها حول فيض المواهب التي قدمها الله لشعبه.

فهناك إحساس حقيقي نحتاج فيه للآخرين. فحقيقة أن الله خلق آدم وحواء، تشير إلى أن صورة الله في الإنسان لا يمكن أن تكتمل في أي شخص غير إلهي. التشبه بالله لا يتم وحده، بل يتم في مشاركة. فمجده أعظم من أن ينعكس بوضوح في أي كائن منفرد. فصورة الله عامة يمكننا جميعًا أن نشارك فيها. وبمفهوم عملي، يوصينا الله بالتكاثر كطريقة لتقديم المجد له، وذلك ببساطة مستحيل على الفرد الواحد. ولذلك خلق الله الرجل والمرأة لحمل صورته.

إن الوصية بالتكاثر وبإخضاع الأرض تسبق التكليف الأعظم في العهد الجديد: الوصية بالكرازة بالمسيح لكل الأمم. وهذا كذلك لا يكن تنفيذه بواسطة شخص واحد فقط . فنحن نحتاج بعضنا البعض. ونحتاج في عملنا التبشيري إلى المزارع وسائق الشاحنة والمهندس والبناء وعامل البناء ولمالك المتجر وللمبشر وللأم وللأب وللراعي ولمعلّم مدارس الأحد ولحارس المبنى. إن تنوع المواهب ضرورة إن أرادت الكنيسة أن تتمم عمل الله حسب قصده (كورنثوس الأولى ١٢:١٢-٢٧)

لذلك توضح الأسفار المقدّسة أننا محتاجون:

١- لقد خلقنا باحتياجات بيولوجية. فنحن نحتاج إلى الطعام وإلى الحماية من الطقس القاسي. فنحن نحتاج إلى الله أولاً ثم الناس ثانيًا لتسديد هذه الاحتياجات.

٢- إننا خطاة ولدينا احتياجات روحية. فبصرف النظر عن الفداء وعمل المسيح المستمر في مساندتنا، فإننا أموات روحيًا. إننا نحتاج إلى الرب يسوع الفادي والمخلّص. نحتاج أن نتعلّم منه، ونحتاج إلى توبيخ المحبة لنا عندما نبتعد عنه. وبالإضافة، وكما سنوضح في الفصل التالي، نحتاج إلى أن نعرف محبته الهائلة.

٣- لقد خلقنا الله بمواهب وإمكانيات محدودة. فليست كل مواهب الله محصورة في شخص واحد. فلذلك، فإننا نحتاج إلى الآخرين لكي نتمم مقاصد الله وبشكل أدق، لكي نعكس مجده غير المحدود.

إن كان هناك أي شك بشأن احتياجاتنا الحقيقية، يمكننا أن نمتحن بعض صلوات الكتاب المقدّس. الصلوات هي دعوات من قلب محتاج. ففي شدة الصلوات المسجّلة في الكتاب المقدّس يمكننا أن نرى احتياجاتنا الحقيقية. وفي تلك الصلوات أيضًا، يمكننا أن نجد ما يسرّ قلب الله في تقديم العطاء للمحتاجين.

فينبغي أن نصلّي هكذا:

«أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. وَاغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلاَ تُدْخِلْنَا (لا تجعلنا ندخل) **فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»** (متى ٦:٩-١٣).

إن أول ابتهال في الصلاة الربّانية هو أن يتقدّس اسم الله، فهذا هو أعظم احتياج لنا. هذا أعظم احتياج للعالم كله. لم تتكلّم الصلاة عن احتياجات نفسية. ولم تتكلّم عن سعادة شخصية على الأرض. بل إنها تتكلّم عن احتياجاتنا، لكنها احتياجات بيولوجية (جسدية) وروحية لكن حتى هذه الاحتياجات ليست أولية. إن أعظم احتياج لدى كل البشرية هو الاعتراف بأن الله هو قدّوس إسرائيل وعبادته والسجود له.

قبل موت يسوع بفترة ليست طويلة، صلّى إلى الآب. فالصلاة بالنسبة ليسوع عمل يومي متكرر، لكن هذه الصلاة كانت فريدة متميزة. فهي مسجّلة. من بين المرات الكثيرة التي صلّى فيها يسوع خلال الليل، هذه الصلاة من الصلوات القليلة التي نلنا امتياز سماعها. ثانيًا، حيث أنها كانت قبل الصلب مباشرة، فلا بد أنها كانت أشد صلوات يسوع يأسًا وحرارة. وهكذا، فإنها تعطينا فكرة عما كان مهمًا له بالحقيقة. فنكتشف فيها احتياجه الفعلي.

وهي تتبع نموذج الصلاة الوارد في إنجيل متى، الأصحاح السادس.

«أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا...لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ.... قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ» (يوحنا ١٧،١٥:١، ١٧) .

هناك اثنان من الابتهالات الحاسمة.

(١) أن يتمجّد اسم الله،

(٢) أن ينمو شعب الله في طاعته. كان هذان هما الاحتياجان الأساسيان للرب يسوع. ولا بد أن يكونا كذلك بالنسبة لنا.

إن واحدة من أفضل الصلوات في الرسائل هي صلاة بولس في الرسالة إلى أفسس الأصحاح الثالث.

«بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وعَلَى الأَرْضِ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ» (أفسس ٣:١٤-١٩)

فهل هذا رجوع لكأس المحبة؟ هل يصلّي بولس من أجل أن يمتلئ كأس المحبة لدينا؟ ربما يمكننا أن نتجاوز هذه الصلاة. لكن، لعلنا نقرأ احتياجات نفسية داخل الصلاة، ولسنا نستوعب ماذا يصلّي بولس.

هناك أمران ينبغي أن نتذكّرهما بشأن هذه الفقرة. أولاً، يستخدم بولس تعبيرًا مجازيًا عن الكأس، لكنها ليست كأس الاحتياجات النفسية. بل إنها كأس الاحتياجات الروحية. عندما تنكسر كأس الاحتياجات النفسية يكون أحد الأشكال الباقية هو الكأس. إلا أن هذه الكأس ليست كأسًا تقول

ليسوع: اجعلني سعيدًا أو اجعلني أشعر بالرضا عن ذاتي. إنها كأس تقول ببساطة: «إنني في احتياج إلى يسوع». أو «إنني شحاذ روحي لا يمكنه أن يصلّي أو أن يطيع أو أن يكون له حياة مادية بعيدًا عن محبة المسيح». أو «إنني ميت بعيدًا عن المسيح، وأحتاج إلى نعمته في كل لحظة». ولأجل هذه الاحتياجات يسكب يسوع محبته إلى أن درجة أنه لا يمكن لأي أحد أن يستوعبها ويحتويها.

وهذا يحضرنا إلى النقطة الثانية، وهي أن هذه الصلاة الجميلة في الرسالة إلى أفسس، هي لنا ومن أجلنا. فهو يخاطب الجمع. فهو يتكلّم إلى جسد المسيح في أفسس. فالمعرفة التي يصلّي لأجلها، أي معرفة مع كل القديسين. ونتيجة تلك المعرفة أن «**إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ** (نصل) **جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ**» (أفسس ٤:١٣). إننا نعكس صورة المسيح بأكثر وضوح عندما نكون في وحدانية معًا وسط شعب الله (أفسس ٢:١٩-٢٢). ولا تتحقق مثل هذه الوَحدانية عندما نكون أوعية نفسية، لكن تتحقق عندما نكون خدّامًا لله.

هذا بالطبع، يفترض أن يعرف الأفراد محبة المسيح. لكن نفسي الأفراد ينبغي أن يدركوا أنهم بأنفسهم لا يشكّلون جسد المسيح. فالأمر يتطلّب الكنيسة كلها لكي تقدم شبهًا مبهمًا لمجد الله. هذه هي الرسالة عبر كل الأسفار المقدّسة.

تبعًا للرسالة إلى أفسس، ماذا نحتاج؟ أننا نحتاج إلى أن نكون جسدًا مشتركًا واحدًا ملتحفًا بمجد الله، ملتزمًا بوَحدانية الكنيسة، مغمورًا بمحبته، وأمينًا في مسيرتنا نحو طاعته، بل وفي آلامنا. إننا نحتاج إلى يقل احتياجنا للآخرين وتزيد محبتنا لهم.

يستغرق كل هذا دورة كاملة. والسؤال كان: «**من نحن؟**». لكن إجابتنا تتركنا نتطلع نحو يسوع. لا يمكن أن يوجد طريق آخر. إن معرفتنا الدقيقة بذواتنا تجبرنا على التطلع إلى يسوع. فعلى كل حال، نحن ممتلئون بالمسيح، ومثل المرايا، نعكس مجده. ولكي نكون انعكاسات حقيقية لقداسة الله، يجب أن نتطلّع إلى يسوع، صورة الله الحقيقية. إننا أبناؤه الذين نطمح أن نكون كأبينا. لذلك، فنحن نتابع الآب في عمله. ونتشبّه بقداسته.

لمزيد من التفكير

يوضح هذا الفصل المنظور الكتابي حول من نحن. وتركيزه هو صورة الله فينا. فهل تكون لديك تعريف دقيق بعد؟ عندما خُلقنا على صورة الله، فمعنى ذلك أننا مثل الله بكل طريقة يمكن للمخلوق أن يكون مثله، «**لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ**» (أفسس ١:٦، ١٢، ١٤). وهذا يشير إلى أن الله قد أعطانا المواهب لنخدمه، وليس الاحتياجات لكي نخدمها. فأي منظور آخر هو أقل من أن يكون كتابيًا وسيؤدي بنا في النهاية إلى البؤس بدلاً من الفرح.

١- اكتب ثلاثين تطبيقًا لابتهال: «ليتقدّس اسمك». كيف يمكنك أن تقدّس اسم الله في عملك؟ وفي راحتك؟ ومع أهل بيتك وأسرتك؟ وفي الكنيسة؟

٢- ابدأ بقراءة بعض الصلوات في الأسفار المقدّسة من خلال منظار يقول: «هذا ما أحتاج إليه.»

٣- تأمل كيف يمكن لمعرفتك بالله وبذاتك أن تشجّعك على اتخاذ خطواته في عملك وفي علاقاتك.

الفصل العاشر

تلذّذ باللّه الذي يملؤنا

«لا يمكن لأي إنسان أن يعمل مسحًا عن نفسه، لكنه ينبغي أن يتحول مباشرة إلى التأمل في الله الذي به يحيا ويتحرك ويوجد.»[1]

وهذا حق وصدق بصفة خاصة بعد رؤية أن الكثير من احتياجاتنا يمكن وصفها بشكل أدق بأنها شهوات، وموضوع هذه الاحتياجات يسمى أصنامًا. وإذ ننمو في معرفة الذات، نريد أن تكون لنا تلك المعرفة منسوجة معًا بمعرفتنا بالله. ولذلك، إذ نتوب عندما تكون التوبة لازمة، ينبغي أن نصغي لما يقوله الله عن ذاته.

عندما نستمع إلى الله بعد امتحان صعب للنفس، فإن الله يعلن ذاته أنه يقبلنا ويرحب بنا. «لا استقطاع في حجرة العزل الروحي، فإن الله يفرح بأننا نرجع إليه بكل القلب.» وهناك وعد من الله للشخص التائب:

«كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا» (حزقيال ١٨:٢٢)

إن لم تكن تؤمن بذلك، فتوقف فورًا عن القراءة. لا تقل: «كيف يمكن أن يغفر الله لي!» (مهما كان ذلك الأمر). لا تظن أن غفران الله هو كثير عليه، فتكون بذلك الفكر مُنكرًا لمحبة الله المجيدة. ولا تظن أن وعود

1 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion,* Trans. J.Allen (Philadelphia: Presbyterian Board of Chriastian Education, 1936), 1.1.1.

الله هي لآخرين فقط. لو كانت تلك هي طريقة تفكيرك، فلا بد أن تدرك أن خطاياك مهما كثرت ليست أكبر من مسرّة الله بأن يغفرها لك.

إنه وقت ينبغي فيه أن تحكمك حقيقة الله أكثر من مشاعرك الخاصة. إن المعيار هو كلمة الله وليس المشاعر. فكونك مدفوعًا بشعور مضطرب بالرضا، قد يبدو أمرًا روحيًا. لكن هذا خطأ. فهو يمجد تفسيرنا أكثر من تفسير الله. وهذا هو سبب أهمية رجوعنا الفوري لله بعد أي استبطان أو تبصّر بإرشاد الكتاب المقدّس. فعندما نُصغي إلى الله، فإنه يتكلّم بالكلام الذي يملأ النفس الجوفاء.

هل تتذكر الجوانب الثلاثة للخوف من الناس؟

١- إننا نخاف من الناس لأنهم يمكن أن يكشفونا ويذلونا.

٢- إننا نخاف من الناس لأنهم يمكنهم أن يرفضونا أو يسخروا منا أو يحتقرونا.

٣- إننا نخاف من الناس لأنهم يصطادوننا ويهاجموننا ويهددوننا.

لم ينس الله الإنسان الذي يخجل والذي يرفضه الناس والذي تحت التهديد. لقد ناقشنا بالفعل كيف يباركنا الله وكيف يحررنا بقوله: خافوا مني أنا وحدي. وهذا بالضبط ما نحتاج إليه. فهو يعطينا امتيازًا أن نكون تحت سيطرة مخلّصنا الصالح البار المحب، وليس الآخرين.

كما وجدنا كذلك أن قلوبنا الخاطئة تزيد من الخجل والتهديد والرفض، كما أن الله يقدّم لنا العلاج: اعترف بأنك التزمت برغباتك الخاصة

وليس برغباتي. وهذا يعطينا امتيازًا أن نخاف الله بسبب محبته لنا القوية الغافرة.

عند هذه النقطة، قد نفكر أن الله قد عمل أكثر من اللازم، وحقًا إنه فعل كذلك. إلا أن محبة الله ليس لها حدود، ومجده بلا نهاية. وهو يعرف أننا يمكننا أن نختبر الخجل والخوف والرفض في الحياة. فلا تعود هذه الأمور تحكمنا وتسيطر علينا. لكنها تؤذينا. وحينئذ يغطينا الله بالمزيد من البركات.

١- عند الخجل والذل فإنه يستر ويتمجّد.

٢- عند الرفض، فإنه يقبل ويتمجّد.

٣- عند التهديد، فإنه يحمي ويتمجّد.

الخطوة السادسة: افرح بأن اللّه قد ستر خزيك وعـــارك، وحـفـظـك مـن الخطر، وقبلك وملأك بمحبته.

بتعبير آخر، فإن الله يملؤنا. فيسكب محبته في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطاه لنا (رومية ٥:٥). إن الله بالحقيقة يغمرنا بذاته.

لماذا لم يتحدث عن ذلك من قبل؟ أليست هذه الأخبار أفضل من أن نحبسها في خزانة؟ إن سبب تأملنا لهذا الآن هو أن هناك شرطًا مسبقًا بهذه البركة. فهي غير متاحة لنا عندما نتبنّى شكل كأس الاحتياجات النفسية، أي أنه لو أردنا أن نمتلئ حتى نشعر بالسعادة وبالرضا عن أنفسنا،

فلن تكون بالحقيقة مغمورة بمحبة الله. فكأس رغباتنا لن يمكنها أن تستأثر بفيضان محبة الله وبركاته. بل بالحري إنها تجعل محبة الله الفادية أقل إتاحة لنا.

عندما تكسر كأس «أنا محتاج»، فإنها تترك لنا عددًا من الأشكال أو الهويات التي يعطيها لنا الله: كهنة، وسفراء، وأبناء لله، ومسيحيون. هناك شيء آخر هو أننا أوعية فارغة متواضعة محتاجة. إننا كأس فارغة. هذه الكأس تمثل احتياجنا الروحي لمغفرة الخطايا وستر عارنا وحمايتنا من المعتدين وقبولنا إلى أسرة الله. إن الفراغ يقول: إنني محتاج إلى يسوع. إنه الفراغ الذي يحتاج إلى محبة الله. لذلك فإننا نحتاج إلى محبة يسوع. ولأن الله المحبّ خلقنا، فلن نكون بخير ما لم نعرف بعمق ذلك الحب. وبدون ذلك الحب نصبح أمواتًا بالروح والجسد. هذا يعني أن الشهوة أو الرغبة الأنانية ليست هي التفسير الوحيد لرغبتنا في الحب. إنه السبب البارز نمطيًا، لكنه ليس الوحيد. فأحيانًا تكون الرغبة في الحب هي بقايا الرغبة المصبوغة بمعرفة الله. وعندما تضيع في الخطية بدون نقاط مراجعة روحية واضحة، فإننا نسيء تفسير المعرفة ونشوهها. فنظن أن الأكثر أمانًا وفاعلية هو أن نتجه للآخرين لنريح فراغنا. ففي بعض الأحوال، عندما يكون الحب لطيفًا، ربما نشعر بأننا وجدناه. لكن مع الأسف، إن هذا الشعور يضللنا. فهو يدعم الفكرة الخاطئة بأن الناس هم الاستجابة لاحتياجاتنا. لذلك نتبعهم بجنون. إن الحب الذي نشتهيه لا يمكن أن يوجد إلا في الله الحي.

قصة حب هوشع

إن واحدة من أروع استعلانات محبة الله لنا موجودة في العهد القديم في سفر هوشع. توجد في سفر هوشع قصتان للحب متوازيتان. القصة الحقيقية هي عن الله ومحبته لشعبه. أما النظير الأرضي لهذه القصة فهي قصة عن هوشع وجومر. يشير هوشع وجومر إلى تعزية الله ومحبته، باتباع محبته لمن هو في خزي أو تحت تهديد أو من هو مرفوض.

تمتلئ قصة هوشع بالعديد من الأسئلة. لمذا قال الله لهوشع أن يتزوج من جومر الزانية، والتي لم تكف عن الزنا بعد زواجها من هوشع؟ ألا يهتم الله بالزواج؟

ألا ينبغي أن يكون الزواج وَحدانية مُلزمة؟

هذه الأسئلة هي بالتحديد نقطة القصة. فليس أي واحد منا يمكنه أن يتخيل شخصًا ما مثل جومر. لم يكن فيها أي شيء جذاب من البداية إلى النهاية. لكن كانت تلك هي الطريقة التي يأخذ فيها هوشع لمحة عن قلب الله، لأن الله ارتبط بشخصية تشبه جومر.

كان الله يقول لهوشع: أنت وأنا نقدم قلبينا لمن يرفضنا تمامًا. سنقدم قلبينا وطاقتنا ووقتنا وأموالنا لنتبع من لا يستحق. إنك بقيامك بهذا العمل يا هوشع، ستدرك محبتي الأمينة لك ولشعبك. سترى أنني بذاتي الزوج. وحياتك ستدور حول محبتي. وتشير آلامك إلى آلامي. وأمانتك نسخة من أمانتي.

كان هذا تنصيبًا لهوشع في خدمته. فبينما دخل إشعياء إلى حجرة العرش، وشهد جلال القدوس وطهارته، نجد أن هوشع تقابل مع جومر في مقعد الخطاة وشهد الحب المتناهي من الله القدوس. كان هذا الحب هو رسالة هوشع إلى بني إسرائيل «**أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى، لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلاَيِمَ، فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا»** (هوشع ١:٢-٣).

بدأ ألم الخيانة والرفض لدى هوشع سريعًا. فعلى الأقل عندما ولد له الطفل الثاني كانت جومر زانية محترفة. تمت تسمية البنت باسم لورحامة ومعناه غير المحبوب أو لا رحمة. هناك احتمال بأن لا تكون هذه البنت ابنة لهوشع. ومع الابن الثالث لم يكن هناك شك، فأسماه لوعمي، ومعناه ليس من شعبي. وفي ذلك الوقت كانت جومر تخرج وتدخل كما تشاء.

وإذ نقرأ هذا المدعو زواجًـا تقفز أذهاننا من هوشع ومن تجربته الأليمة، إلى الصبر المُقدّس من الله والأمانة المستديمة نحونا. فنبدأ نفكر كيف يمكن لله أن يطلب مني أن أكون تلك العروس. وبلا شك أن عقل هوشع كذلك كان يقفز من موقفه الخاص إلى استيعاب أعمق لمحبة الله العظمى.

لكن مشاكل هوشع لم تنته. فبعد أن احتقرت جومر ذاتها وهوشع، ألقت مظهر الزواج وتركت هوشع. وإذ انخدعت بمشاعرها، ظنت أنها يمكن أن تنال وضعًا أفضل من ذلك. «**لأَنَّهَا قَالَتْ: أَذْهَبُ وَرَاءَ مُحِبِّيَّ الَّذِينَ يُعْطُونَ خُبْزِي وَمَائِي، صُوفِي وَكَتَّانِي، زَيْتِي وَأَشْرِبَتِي**» (هوشع ٢:٥).

ومن الواضح أنه عندما مضت جومر، استوثق هوشع من أنها حملت معها مؤونة. فقد علم أن محبيها لن يهتموا بها. فلو أمكنهم، فسيتركونها تموت جوعًا. وهكذا رتب هوشع لجومر المؤونة، مع أنها نسبت تلك التدابير لمحبيها. نسيت جومر هوشع، إلا أن هوشع والله كليهما قالا: «**وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ أَنِّي أَنَا أَعْطَيْتُهَا الْقَمْحَ وَالْمِسْطَارَ وَالزَّيْتَ، وَكَثَّرْتُ لَهَا فِضَّةً وَذَهَبًا جَعَلُوهُ لِبَعْلٍ**» (هوشع ٢:٨).

وحتى مع مساندة هوشع لجومر، إلا أنها في النهاية طردها محبوها. ويمكننا أن نخمن مدى إساءة هؤلاء الرجال لها. ولعل الطبيعي معها كان هو الاغتصاب والدعارة بالإجبار والضرب. لقد عاملوها بالرفض وكل ما تبقى لها هو العبودية.

انتهت جومر الآن. وقادها زناها إلى القبر. كانت طريدة بلا رجاء. ولم يكن ممكنًا أن يكون خزيها وعارها وخوفها ورفضها أكثر من ذلك. كانت واقفة في سوق العبيد، عارية لكي يتفحصها من يريد أن يشتريها. من هو التالي الذي سيضيف عليها استغلالاً؟

«**وَقَالَ الرَّبُّ لِي: اذْهَبْ أَيْضًا أَحْبِبِ امْرَأَةً حَبِيبَةَ صَاحِبٍ وَزَانِيَةً، كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**» (هوشع ٣:١).

لم ترتفع المزايدة عليها. فتقريبًا لم ينبهر بها أي واحد من التجار. فبيعت جومر بسعر عبد عادي. وبعد دفع الثمن، ذهب هوشع إلى جومر وفعل شيئًا لا بد أنه ترك المدينة كلها تتحاكى به. فقد غطاها وستر عريها. وربما لم تعرف جومر أن هوشع فعل هذا، ولكن ذلك لا يهم. فباتباع هوشع لوصايا الله، عاملها هوشع على الفور باعتبارها زوجته. وأعاد التأكيد

على عهد زواجه بها. فقال بالضرورة: «أنا لك وأنت لي. أنا أنتمي لكِ وحدك، وأنتِ تنتمين لي وليس لأحد غيري».

بغير إنجيل المسيح، تعتبر هذه أعظم قصة حب قيلت. هل سبق أن شاهدت مثل هذه النوع من الحب؟ لقد رأيت ومضات منها. فهي موجودة في كل أرجاء الكنيسة. لكن لا شيء حقًا يوازي قصة هوشع والقصة السماوية التي خلفها. فهذا حب مقدّس. كانت جومر ملتزمة برغباتها الخاصة. فبحثت عن إشباعها في كل مكان. أما هوشع فكان ملتزمًا بكونه انعكاسًا للزوج الإلهي. وقد أدرك أنه من المستحيل إشباع شهوات زوجته، لكنه واصل التودد لها، متوسلاً لها أن ترجع عن شهواتها وتجد إشباعها في حب زوجها لها. وأخيرًا، افتداها. فقد اشتراها لنفسه.

ماذا كان هذا بالنسبة لهوشع؟ إننا لا نعرف بالحقيقة. لا بد أنها كانت حياة أليمة مليئة بالعار والخزي والحزن، لكن هوشع لم يقدّم أفكاره الشخصية. فما يقرره هو أنه ببساطة خضع لربه وأطاعه.

ماذا كان هذا بالنسبة لإلهنا القدّوس؟ على العكس من هوشع، فإن الله أعطانا تبصرًا عميقًا في قلبه هو. وهذا موجود في الأصحاح الحادي عشر من سفر هوشع. لكن قبل التأمل في قلب الله من نحو شعبه، تأمل كيف أن هذا غير مسبوق لأي إنسان أن يشارك علانية مشاعره في وسط حب غير متبادل. أليس هذا إذلالاً أن يعرف الناس أنك تطارد بعواطفك شخصًا لا يعرف عنها شيئًا. ستشعر أنك أحمق. إلا أن الله يفتح ذاته لنا، في فقرة من أخطر فقرات الكتاب المقدّس.

في الفكرة التالية، تذكر أننا نحن أفرايم، وأننا نحن إسرائيل:

«كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ، أُصَيِّرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟ كَيْفَ أَجْعَلُكَ كَأَدَمَةَ، أَصْنَعُكَ كَصَبُوييمَ؟! قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي. اضْطَرَمَتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا. لاَ أُجْرِي حُمُوَّ غَضَبِي. لاَ أَعُودُ أَخْرِبُ أَفْرَايِمَ، لأَنِّي اللهُ لاَ إِنْسَانٌ، الْقُدُّوسُ فِي وَسَطِكَ فَلاَ آتِي بِسَخَطٍ» (هوشع ١١:٨-٩).

يبدأ الله يطرح سؤالاً: «**كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ؟**». ثم يعطي إجابة فورية. «لا يمكن، من المستحيل. فأنت لي.» يقول الله إنه لن يعامل شعبه المتمرد بنفس الطريقة التي سمح بها بخراب أختيها مدينتي سدوم وعمورة (تثنية ٢٩:٢٣).

لاحظ ان كلمة تغيّر أو انقلب. إنها كلمة يستخدمها الله ليصف قلبه. «**قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي**». هذه الكلمة نادرًا ما تستخدم في الكتاب المقدّس لتصف خبرة الإنسان العاطفية . بل بالعكس، إنها تستخدم كثيرًا لوصف انقلاب مدينة وخرابها. وهكذا، فإنها عند استخدامها لوصف خبرات عاطفية، فإنها تفيد ضمنًا وجع القلب. يقول الله إن أحشاءه في اضطراب من أجل شعبه. وهذا ليس حديثًا من الله عن آلام الخيانة، بقدر ما أنه إعلان من الله عن رأفاته العميقة نحو شعبه. إنه يكشف عن عمق رغبته في استرداد شعبه لنفسه.

هل يفاجئك هذا؟ لقد فوجئت به. وما زلت أحيانًا أحس بأن الله يجعلني بالكاد أنزلق من باب ملكوته. فالصالحون هم في الداخل بالفعل. وقد تمكنت من الدخول لأن الله أدخلني. لقد اعترفت بالإيمان بيسوع أنه الرب القائم من الأموات والمسيح، لذلك أدخلني الله.

الله لديه اختيار، فقد اختار أن يحبنا بحب أمين دافئ. وسبب أنني أشك كثيرًا هو أنني أظن أن الله مثلنا أو مثلي. لو كانت جومر زوجتي لتركتها تمضي وقلت لها: «أحمد الله أنني تخلّصت منك». ولكنت أريد إنهاء خسارتي وتجنب ذل ملاحقة شخص يتجاهلني. لكن الفقرة تقول إن الله ليس مثلي. الله هو الله وليس إنسانًا. «**إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ**» (تيموثاوس الثانية ٢:١٣). بالإضافة إلى أن هذه ليست أمانة فلسفية. إنها متاحة وعاطفية. إنها أمانة شديدة حتى أن الله يصفها أنها تمزق داخله.

من هذا يمكنك أن تفهم كيف يكون ضلالاً أن تحكم على الله من منظور ما نفعله في موقف معين. فليس الوقتي الزمني ولا الخاطئ معيارًا للقدوس. فلو حكمنا حسب خبرتنا، فلا بد أن نفترض أن الله سيمل في النهاية منا ويتركنا عرايا في سوق العبيد. لكن الله يقول لنا: «إنني الله ولست إنسانًا، أنا القدّوس بينكم».

ما الذي يحجز غضبه، خاصة باعتبار أن الله محبته مقدّسة وعدالته مقدّسة؟ إن سبب عدم مجيئه في غضب هو أن حالته المقدسة كانت تنتظر الوقت الذي يأتي فيه يسوع ليكون عبدًا من أجلنا. وسيأخذ العار والرفض الذي هو لنا بالحق. وعوضًا عن ذلك سيغفر لنا تمامًا ويبررنا. بل وسيمجدنا (رومية ٨:٣٠). ويرفعنا.

ينظر الله إلى خليقته من منظور الكمال. ومن نقطة الأفضلية يرى ما ستكون عليه جومر. ستكون عروسًا بهية مكرّمة وممجّدة. ستتقدم أمام حضور الله المجيد بغير عيب وسيقبلها بفرح كبير (يهوذا ٢٤).

فإن كان الله رؤوفًا في السعي نحو زوجة زانية، فلا بد أنه سيكون هناك احتفال كبير وفرح عظيم عندما تتمجد زوجته في وجوده إلى الأبد.

المشهد مماثل لبعض أفضل احتفالات مراسم الزواج مما شاهدته، ولكن لأنه زواج مقدّس، فسيكون مختلفًا عما رأيته. أحد الفروق هو نقطة مركز الحدث. في حفلات الزفاف تكون العروس هي المكرّمة. فكل من في الحفل يتكلمون عن جمالها. وكل العيون مركزة عليها. أما في العرس السماوي، فأبصارنا مركزة على شخص آخر. حقًّا إن العروس ستكرّم وترفع وتمجد، لكن جمالها سيمجد الله الثالوث بالأكثر. فهو الذي تابعها وخطب ودها واشتراها وغيّرها. فأي جمال في العروس هو إنعكاس للجمال الأعظم للعريس.

ألا تشعر أنك مشبع وممتلئ بعد؟ هذا ما يعطيه الله لمن يأتي لمعرفة المسيح بإيمان.

* الذين في خزي وعار سترروا وتمجدوا. ولم يعودوا إلى الاختباء من أبصار الناس أو من بصر الله. فنشاهدهم من خلال منظور الأبدية. وقد قال يسوع لهم : «**تعالوا...تعالوا**».

* المهددون يتعزون ويتمجدون. فهم يتعزون لأنهم يعرفون أن العريس هو الملك المهيمن على كل الأرض. هل سيكون هناك ألم؟ نعم. فهو سيسمح بآلام لتنقية العروس، لكنها آلام تؤدي إلى خير. فهي ستعلّم العروس أن تثق في عريسها وحده. ونتيجة لذلك، فإن البركة ستفوق الآلام. البركة أكبر لأنها من الرب يسوع الأعظم من مصاعب نيران التمحيص والتنقية.

* المرفوضون سيُقبَلون ويتمجّدون. فلا بد أن يقفوا خشوعًا ورهبة، لأن الله الرؤوف يقف معهم. ولا يضن عليهم بقبوله لهم. بل بالعكس، فهو مصحوب بالفرح والترنيم والتهليل.

لا يعود الله إلهنا يدعونا عبيدًا بعد. فهو بيسوع يدعونا أصدقاءً وأبناءً وعروسًا له. وبروحه يعطينا أعظم موهبة ممكن أن ننالها. فهو يعطينا ذاته. ويقول: «**أنا معكم**» (يوحنا ١٤:٢٧-٢٨). «**لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ. حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ**» (العبرانيين ١٣:٥-٦).

أعرف رجلاً قرر في لحظة مفارقة زوجته له، أنه لن يثق بأي إنسان آخر مرة أخرى. فلن يكشف عن ذاته. وبالطبع اكتشف أنه ما زال تحت سيطرة زوجته، لكنه ظن أن هذا المدخل سيكون أقل ألمًا.

في ضوء هوشع، فإن هذه الاستراتيجية لم تعد اختيارًا أمام المسيحي. فمحبة الله محبة ثمينة مكلفة. وهي لا تتخذ الطريق السهل في العلاقات. بل بالعكس، فهي تخطط كيفية التحرك نحو الآخر. وهي تفكر بإبداع في طرق لتفاجئهم بالحب. طريق محبة الله ليس بغير ألم. في الحقيقة، إن من يحب أكثر سيتألم أكثر. إلا أن طريق محبة الله يتركنا فائضين. فكأسنا لا يمكنها استيعاب ما يهبه لنا الله. ومن الطبيعي أن تفيض التعزية التي ننالها من المسيح على حياة الآخرين (كورنثوس الثانية ١:٣-٧). هدفنا هو أن نحب الآخرين أكثر مما نحتاج إليهم. إننا أوعية تفيض ولسنا كؤوسًا مشروخة تسرب.

لمزيد من التفكير

يتساءل الكثيرون قائلين: «كيف يمكنني معرفة محبة الله. إنني أريد أن أعرفها، لكن يبدو أنها بعيدة.» الإجابة هي أن تكف وتتوب عن طلب الله لكي تشعر نحو نفسك بأنك أفضل. ثم بعدها فكر في يسوع من خلال قصة هوشع. أطلب من الله أن يعلّمك عن هذا الحب، لكي تعرفه وتقدّمه. أطلب من الآخرين أن يصلّوا من أجلك وأنت تقرأ ذلك. لقد وعد الله بأنه سيعلّمك.

الفصل الحادي عشر

أحبّ أعداءك وجيرانك

هناك خطوة أخرى. فحتى الآن، تأملنا في مخافة الرب، وتأملنا في قلوبنا. والآن، علينا أن نفهم ما الذي يقوله الله عن الآخرين. تساءل أحد الأصدقاء: من هم؟، ولماذا وجودهم؟ أي شكل يتخذونه؟ كيف نقوم بتعريف الآخرين، وكيف يقوم الله بتعريفهم؟

لاحظ بعض الأشكال الشائعة التي نعطيها لهم:

* الناس مضخات وقود يملؤنا.

* الناس كتذاكر نسعى للحصول عليها، للقبول والشهرة.

* الناس كهنة لديهم القوة التي تشعرنا بالنقاء والطهارة والسلامة.

* الناس إرهابيون، لا نعرف متى يهاجموننا ثانية.

* الناس طغاة، كل كلمة يقولونها قانون. وهم يسيطرون علينا تمامًا.

قال «سكوت بيك» في أفضل كتبه مبيعًا بعنوان «**الطريق الأقل سفرًا**»، إننا يمكن أن نشكّل الآخرين في هيئة كائنات مضيفة. ليست هذه صورة لطيفة. فالناس هم الأمعاء ونحن الديدان.

«لا أريد أن أعيش. لا أقدر أن أعيش بدون شريك حياتي إنني أحبه». وعندما أتجاوب، مثلما أفعل كثيرًا: «أنت مخطئ. فأنت لا تحب شريك

حياتك». فيأتي سؤال غاضب: «ماذا تقصد؟ قلت لك إنني لا قدر أن أعيش بدونه» فأحاول أن أشرح: «إن ما تصفه هو تطفل وليس حبًا»

يلخص الكتاب المقدّس هذه الأشكال المختلفة بهذه الطريقة: الناس هم أصنامنا التي نحتفي بها. فنحن نعبدهم، ونرجو منهم أن يهتموا بنا، ونتمنى أن يعطونا ما نشعر بالاحتياج إليه. وما نحتاجه بالفعل هو أشكال كتابية وهويات من الكتاب المقدّس للآخرين. وبدلاً من أن نحتاج إلى أن يملأ الناس رغباتنا، يمكننا أن نحب الناس من أجل مجد الله ونتمم القصد الذي خُلقنا من أجله.

بالنسبة لي هذه الخطوة الأخيرة هي الأصعب. ليس صعبًا أن نفهم ما يقوله الكتاب المقدّس عن الناس. فكل إنسان يعرف أنه ينبغي علينا أن نحبهم. لكن من الصعب أن نطبق هذه المعرفة. إن محبتنا للآخرين تجعل الحياة أقل راحة. فمعنى ذلك أنني لا بد أن أتنازل عن ترتيبات جدول أعمالي صباح يوم الأجازة لكي أساعد جيراني. ومعنى ذلك أيضًا أنني يمكن أن أتأذى أكثر، عندما ينتقل أحدهم بعيدًا. وهذا معناه عند وجوذ أناس بمنزلنا، أنني سأفضل بأن أحاط فقط بأفراد أسرتي القريبين.

أليس ذلك حسب كلمة الله؟ وعندما نظن أننا نقلنا هذا إلى نمط حياة الطبقة المتوسطة، فإن هذا يفسد كل شيء. فهو يضطرنا إلى أن نحب الآخرين بنفس طريقة محبة الله لنا.

الخطوة السابعة: قلل الاحتياج إلى الآخرين وأكثر من محبتك لهم. فبدافع الطاعة للمسيح واستجابة لمحبته لك، واصل المحبة للآخرين.

الأعداء

أحد الأشكال التي يتخذها بعض الناس لا تولد المحبة داخل المجتمع. لكنه الشكل الذي يتخذونه. يمكن أن يكون الناس أعداءً. ويمكن أن يكونوا ضدنا باستمرار. ويجوز أنهم يتآمرون على خرابنا وهدمنا ويلتزمون بجلب العار والخزي علينا.

وكمشير، ذكّرت مسيحيين كثيرين أن واحدًا هو عدوهم. وفي المعتاد كان الناس يرفضون سماع ذلك، لكنه حقيقة. والأسوأ من ذلك أن عددًا من هؤلاء الأعداء كانوا أصدقاء أو من أفراد الأسرة.

«**لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي، الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ**» (مزمور٥٥: ١٢-١٤).

تشير هذه الفقرة بوضوح إلى يهوذا، عدو الرب يسوع. لكن يهوذا كان له كثيرون يتمثلون به. فأنا أتذكر من كانوا أعداء الزوج، أو أعداء الزوجة، أو أعداء الأهل، أو أعداء الأطفال، أو أعداء الأخ، أو أعداء الكنيسة أو أعداء زملاء العمل. القائمة طويلة.

اللّه يجاوب على أعدائنا

هناك مثال كتابي عن عدو حقيقي موجود في سفر أستير. فلو كان هناك شخصية مثل هتلر في الكتاب المقدّس، لكان هو هامان. فهو شخصية أنانية لديه تصميم مجنون على إبادة كل شعب العبرانيين (أستير ٣ - ٥). في البداية كان انتقام هامان الحقود موجهًا نحو مردخاي اليهودي. وسرعان ما عمم كراهيته على كل بني إسرائيل.

وباتباع مثال دانيال، لم ينحنِ مردخاي ولم يسجد لأي إنسان آخر. فإنه لو فعل ذلك لأهان الله الحقيقي. وكانت المشكلة أن هامان الرجل الثاني في السلطة بعد أحشويروش الملك، كان مغرورًا بذاته لكنه كان بريد المزيد من الامتلاء. فطلب من مردخاي أن يسجد له مثلما يفعل كل إنسان آخر.

عندما رفض مردخاي ذلك، تم إبلاغ هامان الذي غضب. وفي الحال صمم في داخله خطة شريرة تقود إلى أكثر من مجرد قتل مردخاي:

«وَازْدُرِيَ فِي عَيْنَيْهِ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مُرْدَخَايَ وَحْدَهُ، لأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ عَنْ شَعْبِ مُرْدَخَايَ. فَطَلَبَ هَامَانُ أَنْ يُهْلِكَ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي كُلِّ مَمْلَكَةِ أَحَشْوِيرُوشَ، شَعْبَ مُرْدَخَايَ» (أستير ٣:٦).

هنا نجد عدوًا حقيقيًا. وحتى أستير قالت ذلك. كانت أستير في قمة الكرم والنبل. لذلك فإن قالت أستير شيئًا غير لائق، فأنت تعرف أن هذا الشخص مخادع غشاش. قالت للملك: **«هُوَ رَجُلٌ خَصْمٌ وَعَدُوٌّ، هذَا هَامَانُ الرَّدِيءُ. فَارْتَاعَ هَامَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ وَالْمَلِكَةِ»** (أستير ٧:٦).

معظمنا ليس لديه عدو مثل هامان. فالعدو المتصور لدينا قد أساء لنا أو أخطأ إلينا مرة أو مرتين. أما لكي يوجد شخص يكرّس نفسه لإبادتنا فهذا نادر حقًا. لكن هناك من هم مثل هامان في العالم. فماذا نفعل معهم؟

لا بد أن نعرف أن الله يسمع صوت المظلوم ولديه رأفة وشفقة نحوه. والظالم يثير غضبه. ثانيًا، الله يبارك الضحايا بمعرفة أنه أكبر من أعدائنا. وكما يعلّمنا سفر الأمثال فإن الله لن يدع أعداءنا ينتصرون في النهاية.

«**أَمَّا هُمْ** (الأعداء) **فَيَكْمُنُونَ لِدَمِ أَنْفُسِهِمْ. يَخْتَفُونَ لأَنْفُسِهِمْ. هكَذَا طُرُقُ كُلِّ مُولَعٍ بِكَسْبٍ. يَأْخُذُ نَفْسَ مُقْتَنِيهِ**» (أمثال ١:١٨-١٩؛ انظر أيضًا ١٢:٧؛ ١٦:٢٥؛ ٢٤:١٦).

«**مَخَافَةُ الرَّبِّ تَزِيدُ الأَيَّامَ، أَمَّا سِنُو الأَشْرَارِ فَتُقْصَرُ**» (أمثال ١٠:٢٧).

«**تَأْتِي الْكِبْرِيَاءُ فَيَأْتِي الْهَوَانُ**» (أمثال ١١:٢؛ انظر أيضًا ١٣:٢١؛ ١٦:٥، ١٨ ؛ ١٨:١٢).

«**عِنْدَ مَوْتِ إِنْسَانٍ شِرِّيرٍ يَهْلِكُ رَجَاؤُهُ، وَمُنْتَظَرُ الأَثَمَةِ يَبِيدُ**» (أمثال١١:٧؛ انظر أيضًا ١٤:١١).

«**شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ، وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ يَهْلِكُ**» (أمثال١٩:٩؛ ٢١:٢٨).

«**لاَ تَغَرْ مِنَ الأَشْرَارِ وَلاَ تَحْسِدِ الأَثَمَةَ، لأَنَّهُ لاَ يَكُونُ ثَوَابٌ لِلأَشْرَارِ. سِرَاجُ الأَثَمَةِ يَنْطَفِئُ**» (أمثال ٢٤:١٩-٢٠).

هذه الأمثال تصف بجدارة قصة هامان. فبعد قليل من موافقة الملك على طلب هامان لإبادة اليهود، خزي هامان بسبب اضطراره إلى إظهار كرامة عظيمة لمردخاي. وبعد ذلك بقليل، فإن نفس الخشبة التي أقامها لصلب مردخاي، استخدمت مع هامان ذاته. وفي النهاية أعطيت كل ممتلكات هامان لمردخاي.

يقول الله إن أفضل تعريف لبعض الناس هو أنهم أعداء. وعندما تتقابل معهم فإن الاستجابة السليمة هي أولاً أن نثق بالله وليس أن نخاف من الناس. إننا نثق أن الله وليس العدو هو الجبار القوي. فالأعداء لن يستمروا طويلاً.

«لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى الرُّؤَسَاءِ، وَلاَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَيْثُ لاَ خَلاَصَ عِنْدَهُ. تَخْرُجُ رُوحُهُ فَيَعُودُ إِلَى تُرَابِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ» (مزمور ١٤٦:٣-٤).

«لاَ تَخَافُوا مِنْ تَعْيِيرِ النَّاسِ، وَمِنْ شَتَائِمِهِمْ لاَ تَرْتَاعُوا، لأَنَّهُ كَالثَّوْبِ يَأْكُلُهُمُ الْعُثُّ، وَكَالصُّوفِ يَأْكُلُهُمُ السُّوسُ» (إشعياء ٥١:٧-٨).

وهذا لا يعني أننا لا يمكن أن نفكر بعجرفة: «ستنال ما يخصك». كلا على الإطلاق. فالكتاب المقدّس يوضح أننا ينبغي ألا نفرح عندما يسقط أعداؤنا (أمثال ٢٤:١٧). فهذا ببساطة معناه أن الأعداء سيموتون. إنهم أجساد وفي النهاية ينتهون. وبتعبير آخر إنهم مثلنا. لكن ليس هذا كل ما في الأمر. فالتعليم الكتابي عن الأعداء يشير كذلك إلى أن ميراث الشر سينتهي، فلا بد أن تنتصر مملكة السماء، فالشر لا يدوم طويلاً.

قد لا يعني هذا الوعد تحديدًا ما قد تفكر فيه. فإن كنا نفسر ذلك من خلال عدسة منظار رغباتنا الشخصية فهذا معناه أننا شخصيًا سيتم الدفاع عنا علنًا. فسنشهد بالفعل الإطاحة بعدونا. لكن الوعد لا يعني هذا. فإن بعض الوعود استمرت لأجيال طويلة.

فالذي تعنيه هو أن الأعداء لن يقيدوا نمو ملكوت الله أي الكنيسة. فمثلاً لم يمكن لأشور أن تحبط خطة الله. فأشور غير موجودة اليوم، أما كنيسة الله فانتشرت في كل أنحاء العالم (مزمور ١٢٦).

هذا الوعد مدهش لو فكرت فيه بشكل عام أكثر منه بشكل خاص. فإشعياء لم يعش ليرى نهاية وزوال مملكة أشور، لكن النبوة ضدها كانت مصدرًا لتعزية كبيرة له. فقد عرف أنه لن يرى نهاية حكم الأشوريين، لكنه فرح بأن شعب الله سيزدهر، وأن الله سيتمجّد.

تعزية يسوع في المزامير

عندما نتواجه مع الأعداء، فلا بد أن نتجه مباشرة إلى المزامير، إن كنا غير واثقين من كيف نشعر وماذا نقول. ففي المزامير نجد احتياجنا بالتحديد. فما تفعله المزامير هو أن تميل نحو بعض غرائزنا الطبيعية. فعندما نميل إلى أن نأخذ الأمور بأيدينا فإن المزامير تعلّمنا أن نثق بالله. وعندما نريد أن ننعزل عن الألم، فإن المزامير تعلّمنا أن نثق بالله. وبدلاً من القسم بأننا لن نقترب ثانية من شخص آخر، فإننا نتعلّم أن نثق بالله. وبدلاً من إطفاء الرجاء فإن المزامير تعلّمنا أن نثق بالله. ونتيجة لذلك نمتلئ بتوقعات مبهجة بمجيء الملكوت. يمكنك القول إن المزامير تحسّن من نوعية حياتك.

كثيرًا ما تكون المزامير موجزة في توضيح آلامنا ومعاناتنا، حتى أننا نعتقد أنها مكتوبة خصيصًا لنا. وهذا حقيقي، فهي مكتوبة لنا، لكنها تخدم قصدًا آخر. عندما وصف مرنمون مثل داود، معاناتهم على أيدي أعدائهم، فإنهم صدقوا أن يكتبوا شيئًا أكبر من عبارات تحكي سيرتهم الذاتية، لكي يمكن للأجيال القادمة استخدامها لرثائهم ومشاركتهم في بؤسهم. وقد استحقت المزامير أن تضم إلى الأسفار المقدّسة لأن داود كان ممثلاً للملك الإلهي. لقد طلب إدانة أعدائه لأنهم كانوا بالحقيقة أعداءً لله الحقيقي. كانت رسالة داود هي تمجيد الله، وليس تبرئة ذاته.

ولكي نكون أكثر تحديدًا، فإن داود تكلّم نيابة عن الملك العظيم، يسوع. والأعداء الذين تكلّم عنهم هم أعداء يسوع، والآلام التي تكلّم عنها هي آلام المسيا. هذا يعني أننا ينبغي أن نقرأ المزامير مرتين على الاقل. المرة الأولى يمكن أن تتكلّم عنا. والمرة الثانية نصغي إليها كصوت يسوع. مرة أخرى، فإن هذا سيشجعنا في مخافة الرب. وسنجد أن آلام يسوع أكبر بكثير من آلامنا. وقد قال بي جيه فورسايث: «ما يحدث لمخلوقات الله الخاطئة، مهما كانت قسوته، أقل وحشية مما يحدث لابن الله.»

هذا لا يقلل من ألم الاضطهاد والتهديدات، لكنه يجذب انتباهنا إلى الخارج، بعيدًا عن أنفسنا وعن أعدائنا. وهذا يعني أننا عندما نواجه عدوًا، فيمكن لصلواتنا أن تتجاوز الكارثة الشخصية. فنحن بالتأكيد، ينبغي أن نصلّي من أجل نجاتنا، إلا أن المزامير تدفعنا إلى تأدية صلوات أكبر. فحتى في وسط تهديدات مثل مخاطر هامان، تعلّمنا المزامير أن نصلّي لكي يتمجّد اسم يسوع. وسنصلّي من أجل تقدّم ملكوت الله وهيمنته على كل أعداء النور، خاصة الشيطان ذاته.

إن جاع عدوك فأطعمه

أحد أسباب خطورة أن نتطلع نحو يسوع عندما نتواجه مع أعدائنا هو أن ذلك يجعل كلمات الله التالية أقل إثارة. قد يحدد الله بعض الناس على أنهم أعداء، لكنه يقول لنا أن نعاملهم كأصدقاء. وواجبنا هو أن نفكر كيف نخدمهم بطريقة توجههم نحو يسوع ليتوبوا عن خطاياهم.

والآن يمكنك أن تدرك سبب صعوبة هذه الخطوة الأخيرة من معرفة الناس (والتصرف بموجب هذه المعرفة). كيف يمكن أن نبدأ هذه العملية المستحيلة؟ حسب كلمة الله فإنها تبدأ بمعرفة أننا كنا متمردين عصاة. لقد انتهكنا محظورات الله وفشلنا في أن نحب الآخرين كما ينبغي. فهل ندرك أننا كنا أعداءً للمسيح؟ إن كنا ندرك، فليس أمامنا اختيار في معاملة الأعداء بطريقة تعامل الله معنا. وسيثور ضميرنا لو شعرنا بالاعتداد بالنفس بالبر الذاتي في دينونتنا للعدو.

فماذا عن الآية القائلة: «**فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ**» (رومية ١٢:٢٠)؟ هذه الإشارة للانتقام قد تجعل مهمة محبة العدو أسهل. فكن حذرًا. فليس هناك وصية كتابية مصبوغة بأفكار الانتقام. أعرف بعض الناس يبدون أتقياء نحو أعدائهم، لكن قلوبهم تفتقر إلى قصد الكتاب المقدّس. فيفكرون: «حسنًا، عندي طريقة للانتقام لأبي بدون دخول السجن. سأظل أزعجهم بطريقة لطيفة حتى الجنون». إلا أن قصد الفقرة قصد مقدّس. فالغرض من جمر النار هو أن تحضر المذنب للتوبة والإيمان. فهذا بالنسبة للكثيرين، أبعد من مدى محبتهم. فالفكرة في إظهار الرحمة

الوقتية الأرضية للمذنب هي شي، ولكن فكرة أن المذنب قد ينال الغفران والقبول والتحول ابنًا لله، هو كثير. فلو كان ذلك كثيرًا، فلا بد أن نصلّي لكي لا يتغلب الشر علينا. وبالعكس، فلا بد أن نصلّي لكي يكون لدينا محبة يسوع نحو المذنب. وينبغي أن ندعو الآخرين للصلاة معنا ومن أجلنا أيضًا.

أحبوا أعداءكم

إن إطعام الأعداء هو تطبيق لمبدأ أعظم في محبة الأعداء. فيقول الله إنك ينبغي أن تعامل أعداءك مثلما تعامل أصدقاءك. مستحيل؟ بالطبع. لكن ليس عندما يكون عندك مخافة الرب. عندما نعرف أن قوة الله أعظم من قوة أعدائنا، وعندما نعرف أنه عادل، وعندما نعرف أنه أحبنا حين كنا أعداءً له، فحينئذ نكون أحرارًا في أن نكون عبيدًا بسطاءً نتشبه بالآب ونطيعه. فهو يبارك الأبرار والأشرار بالمطر والخيرات والطعام، وهكذا ينبغي علينا أن نبارك الآخرين (متى ٥:٤٥).

لكي نحب بهذه الطريقة فإننا نحتاج إلى كل من القوة والتمييز. فنحتاج إلى القوة لأننا غير قادرين على أن نحب بالكيفية التي أحبنا بها يسوع. كما نحتاج إلى التمييز لأنه من الصعب أحيانًا أن نعرف أي صورة من الحب نتخذها. ونتيجة لذلك، ففي أي وقت ندرك فيه وجود أعداء معينين، فلا بد أن نطلب المشورة من الكنيسة لكي نميز كيف نعبر عن ذلك الحب. ففي كثير من الأحيان، يفسّر الناس وصية محبة الأعداء أن أقدم لهم كل ما يريدونه مني. هناك بعض الأوقات يكون فيه مثل هذا التعبير عن الحب خاطئًا وفيه حماقة.

فإذا تطلقت سيدة من زوجها، فهل تعطيه ما يريده في تسوية الطلاق؟ فهل تعامل الزوج بالطريقة التي تريده أن يعاملها بها؟ المنطق العام يقول: لا تعطه أي شيء فهل هذه طريقة كتابية؟ ربما نعم. فالحب هنا في هذه الحالة معناه أن تغفر لعدوها، وليس أن تفتري عليه، ولا تهاجمه بالكلام للانتقام منه. لكن الحب ليس هو المعيار الوحيد الذي ينطبق على هذا الموقف. فهناك العدل أيضًا. فإن كان الزوج يهددها ويطلب منها أمورًا ظالمة، فلا بد لها أن تدافع عن العدالة كما ينبغي على الكنيسة أن تدافع عن العدالة معها.

إن محبة الأعداء هي قمة طاعة الإنسان المسيحي لله. فكما تشير الموعظة على الجبل، فمن السهل أن تحب من يحبك. لكن الأمر يتطلب عملاً قويًا من روح الله لكي تحب الذي يسيء إليك.

هناك شيء آخر ينبغي أن تعرفه عن محبة الأعداء. ففي ضوء سفر هوشع، لن يكون ذلك مفاجأة. سطحيًا، تبدو محبة الأعداء كمعاقبة للنفس أو كحماقة. فهي تمضي في مواجهة المشورة الشائعة التي تخبرك بأن تتخلّص من الإنسان الذي يشكّل خطرًا على تقدير الذات لديك. لكن إن كان الله قد قال ذلك، فلا بد أنه أمر صالح. فهناك دائمًا بركة في الطاعة. وربما لا تكون البركة مصالحة مع العدو أو توبته. بل يمكن أن تكون في امتياز التخلّص من سيطرة العدو عليك. أو يمكن ببساطة أن تكون فرحًا أو ربما تكون متشبهًا بيسوع. ومهما كان الأمر، هناك دائمًا بركة في الطاعة.

الجيران والأجانب والأغراب

هناك مجموعة ثانية من الناس هم أولئك الذين لا يشكلون جزءًا من الكنيسة المنظورة. ففي العهد القديم كان مثل هؤلاء يُطلق عليهم اسم الأجانب أو الغرباء. وفي العهد الجديد يطلق عليهم اسم الجيران أو الأقارب.

المحبة المبنية على القرابة

كان لدى بني إسرائيل في العهد القديم قوانين وشرائع واضحة تحمي الغرباء المقيمين في البلاد. وسليمان في صلاة له ملهمة بالروح، طلب من الله أن يستجيب كل صلوات الغرباء الأجنبيين: «**فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ، وَافْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُو بِهِ إِلَيْكَ الأَجْنَبِيُّ، لِكَيْ يَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ اسْمَكَ، فَيَخَافُوكَ كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ**» (ملوك الأول ٨:٤٣). وينبغي عدم إساءة معاملة الغرباء (خروج ٢٢:٢١) ؛ وينبغي عدم حرمانهم من العدالة (حزقيال ٤٧:٢٢) ؛ وينبغي محبتهم (تثنية١٠:١٩) . ويدور سفر راعوث عن امرأة أممية غريبة من موآب، والتي شملها التسلسل الملكي لأنساب داود ويسوع .

كل هذا كان تشبهًا بمحبة الله لبني إسرائيل، الذين هم أنفسهم كانوا غرباء أيضًا (خروج ٢٢:٢١؛ ٢٣:٩؛ لاويين ١٩:٣٤). في الحقيقة إنهم كانوا غرباء دائمًا: «**لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عِنْدِي**» (لاويين ٢٥:٢٣). وكغرباء باركهم الله، عليهم أن يعاملوا الآخرين بنفس طريقة معاملة الله لهم.

يمتلئ العهد الجديد بوصية محبة الله ومحبة القريب (متى ٢٢:٣٩؛ يعقوب ٢:٨). إن التضخيم التقليدي لهذه الوصية موجود في قصة السامري الصالح (لوقا ١٠:٢٥ -٢٧) . ففي هذه القصة يمد الرب يسوع الروابط العادية للجيران إلى حد أن تحكي القصة عن عدوين؛ يهودي وسامري . ثم يجعل يسوع بطل القصة هو السامري الذي يعتبره اليهود أدنى منهم أخلاقيًا. ولم يكن ممكنًا أن يوضح هذه النقطة بأقوى من ذلك.

يرتبط هذا بجزء من مناقشاتي العائلية السابقة. زوجتي وابنتاي. عندما كانت الابنتان أصغر، كانتا أعلى الأطفال صوتًا وهما معنا، لكن تبدوان في صمم وبكم وهما مع الجيران أو مع أشخاص غير معروفين جيدًا لديهما.

يمكنك أن تتخيل تفسيرهما لهذا الأمر عندما اكتشفناه. قالتا إنهما خجولتان وقلنا نحن إن هذا أسلوب فظ.

قد يبدو حقيقيًا أن بعض الأولاد يكونون بالطبيعة أكثر خجلاً وسط الناس، لكن جزءًا كبيرًا من الخجل هو خوف الطفل من الناس. فهم تحت سيطرة الناس.

كان أفضل علاج لشيري وليّ أن نناقش مع البنتين بعض تطبيقات وصية الرب يسوع عن محبة القريب أو الجار. تكلمنا عن كيفية قبول يسوع لنا. ثم تأملنا في كيف نعمل مع الآخرين ما نحب أن يعملوه معنا (متى ٧:١٢). وتضاحكنا معهما عن العاطفة المفاجئة التي أبديتاها نحو أشخاص جدد علينا. وقمنا بتبادل الأدوار معهما وعمل بعض البدائل معهما. وأكدنا لهما أنه غير مسموح لهما الإجابة بكلمة واحدة أو بالهمهمة.

كان التقدم بطيئًا. فالبنتان مثلنا، تتعلّمان من خلال استمرار التكرار والممارسة والصلاة. التقديس عملية شبه المشي البطيء المترنح وليس مثل مفتاح النور الذي يدور من الإغلاق إلى الإضاءة. لكننا ننمو بنعمة الله. ولم تعد البنتان كالأموات عند مقابلة أشخاص جدد الآن. فعندما نعدّ الأبناء ونصلّي من أجلهم فإنهم يتغيّرون.

وبالطبع، لو أرادوا قلب المائدة علينا لقالوا ببساطة: «هذا تبشير». إن الخوف من الناس ليس احترامًا لهم. ربما يُدعى اعتمادية متبادلة لدى الكبار، ويُدعى ضغوط الأقران والأصدقاء لدى المراهقين، ويُدعى خجلاً لدى الأطفال؛ لكن مهما كانت التسمية، فإنه يكشف عن نفس عبادة الأصنام في القلب. ولكي نتجنب هذا الفخ، أحتاج إلى أن تصلّي ابنتاي من أجلي، تمامًا مثلما استلزم الأمر أن نصلّي أنا وزوجتي من أجلهما.

إن الوصفة المطلوبة للمبشر الخائف هي في مكانها الصحيح. فحينما ندرك عمق المشكلة يمكننا أن نسعى نحو مخافة الرب. فمن الأسهل أن نتكلّم عن يسوع عندما نرى حياة الناس في حالة رعب وهلع. عندئذ نتوب عن الخوف بسبب رفض الآخرين لنا. أليس ذلك سببًا واضحًا لخوفنا؟ إننا نتعبد لقبول الناس لنا وفضلهم علينا. وعندما نحس بأقل رفض منهم لنا ننهار. وأخيرًا نتذكّر ما قاله الله عن الآخرين: «ينبغي أن نقلل من احتياجنا لهم ونزيد من محبتنا لهم» إنني لا أحتاج إليهم لكي يملأوا كأس الحب عندي، بل بالعكس إنني مدين لهم. إنني مدين لهم بالحب الذي يمكن رده لهم بتوجيههم نحو محبة يسوع.

لمزيد من التفكير

إن وصية محبة الأعداء ومحبة القريب هي مضمون لا يمكن تجنبه عن معرفة الله ومعرفة الذات. فإن كنا أعداءً لله وقد جاء الله إلينا وصالحنا لنفسه، فماذا يمكن أن نفعله إلا أن نعامل الآخرين مثلما عوملنا نحن؟... وإذ نتشبه بيسوع بهذه الطريقة، فإننا نصير ملحًا للأرض ونورًا للعالم في جيلنا.

١- اختر واحدًا من الأعداء وواحدًا من الجيران وابدأ في الصلاة لأجلهما.

٢- تطلّع نحو فرصة لتفاجئ أي إنسان من خارج جسد المسيح - الكنيسة - بتقديم المحبة له.

الفصل الثاني عشر

أحبّ إخوتك وأخواتك

أشار الرب يسوع إلى أن كل إنسان هو قريبي، وعلينا أن نبدي النعمة والرحمة نحو كل إنسان، لأن الله أظهر نحونا النعمة والرحمة. إلا أن الذين هم في جسد المسيح هم عائلتنا وإخوتنا بطريقة فريدة متميزة. فهم من سنمضي معهم الأبدية، وهم الذين نحتاج إلى شركتهم لكي نمثل المسيح.

قال بولس الرسول: «**فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ**» (غلاطية ٦:١٠). وهذا بالتأكيد لا يقلل من اهتمامنا بالجيران وبالأعداء، بل بالحريّ، فإن هذا الاهتمام العام هو نتيجة طبيعية لكوننا أسرة واحدة بأقوى معنى للكلمة.

هذا النوع من المحبة والوَحدانية لا يأتي بدون معركة. فإن نفس الأعداء الذين يقاومون مخافة الرب - والذين هم العالم والجسد وإبليس - يقاومون كذلك الدعوة إلى المحبة والوَحدانية مع الإخوة والأخوات. فمن الحكمة أن نراقب هؤلاء الأعداء عند حديثنا عن الكنيسة كأسرة واحدة.

تذكّر:

(١) الجسد لديه ميل خاطئ نحو الاهتمام بالذات. إنه ملتزم بالسؤال «ما الذي سيفيدني في هذا الأمر؟»،

(٢) الشيطان كذاب ومفرق ومقسم للناس. لاحظ أن معظم التعليم الكتابي الصريح عن الحرب الروحية (أفسس ٦) ، موجود في السفر الذي يؤكد على الوَحدانية. فإن أبرز استراتيجية للشيطان هي أنه يفرق ويقسم ويكسر؛

(٣) العالم يحاول أن يؤكد على أنظمة هذه الاتجاهات والميول.

فلنحضر هذه المكونات المظلمة معًا إلى الوضوح

قال المبشر: «أريد منك أن تنسى كل شيء عن المؤسسات. فالإنجيل لا يدور حول الكنائس. إنه يدور حول قرار تتخذه أمام يسوع وليس أمام أي أحد آخر».

ما رأيك في هذا المدخل؟ إنه على حق في أن الفرد المؤمن يجب أن «**يتوب ويعتمد**» (أعمال ٣٨:٢). ويمكنني أن أتفهم أن بعض الناس لديهم رأي منحرف عن الكنيسة، فالمبشر لم يرد لهذه المفاهيم المسبقة أن تغطي على الموضوع الروحي. لكن أليست الدعوة للثقة والطاعة دعوة أكبر من دعوة «يسوع وأنا»؟ «**لأَنَّ الْمَوْعِدَ** (من الله) **هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا**» (أعمال الرسل ٣٩:٢). أليس الشخص المدعو إلى المسيح، هو رأس لمؤسسة؟ عندما دخل الناس إلى الإيمان - في سفر الأعمال - كان من المفترض أن يكونوا جزءًا من الشركة المحلية. لم يكن هناك سبيل آخر. لقد دخلوا إلى مجتمع القيامة، مجتمع الروح.

كان هناك مؤخرًا، دراسة مهمة تقارن ما بين ردة فعل الياباني نحو التجارب الشخصية، وبين ردة فعل الأمريكي. وكان السؤال هو كيف يتعزّى الإنسان خلال المصاعب؟ قال الياباني بإصرار: «إنني أفكر في أسرتي وأتخيل أن أسرتي معي» أما إجابة الأمريكي فكانت نمطية: «يمكنني التغلب على ذلك بالمزيد من العمل». كان هناك حديث عن الذات يقصد به تضخيم الذات المحتاجة: «إنني عظيم. لن يقدر هذا الشخص على أن يهزمني. إنني أفضل منه» وبتعبير آخر، إننا نعيش في ثقافة تؤكد على الفرد أكثر من الجماعة.

كثيرًا ما يستخدم الأمريكان تنويعات من عبارة «الاتكال على الذات». هذه العبارة مشكلة شهيرة للمترجمين. فمثلاً، في أمريكا اللاتينية ، أقرب كلمة تؤدي المعنى هي تشبه كلمة «استقلال» في أنها ليست شخصية بل سياسية واجتماعية. وفي بعض البلاد الأسيوية، ليس للعبارة معنى، أو أنها علامة على الاضطراب العقلي فلا ينبغي على الإطلاق أن يكون الإنسان متكلاً على ذاته، وذلك حسب معظم التقاليد الأسيوية. فلا بد أن الإنسان في اتكال متبادل أو في ترابط .

وقد سمعت مرة فرانك سيناترا في أغنيته: «فعلت ذلك على طريقتي» وكان يطلق عليها «لقد فعلت ذلك على طريقته». إنني أحاول أن أبقي عيناي مفتوحتين على الطريقة السيئة التي تجعلنا نفكر كأفراد وليس كجماعة. هل ترى اهتمامي بهذه الأغنية والتي تبدّل اسمها؟ بالتأكيد إن ضمير الغائب في «طريقته» أفضل من ضمير المتكلم في «طريقتي». لكن أليس الأدق أن نقول نحن وليس أنا؟ فتحتفظ الأغنية بشعورها المنعزل. إنها «يسوع وأنا».

هل تتذكّر المرأة المسيحية التي قالت إن الله قال لها أن تتزوج شخصًا غير مسيحي؟ ربما كان هذا المثال متطرفًا، لكن كم مرة نستشير الرعاة والشيوخ وأعضاء الكنيسة عندما نفكر في الزواج أو العمل أو تغيير الوظيفة أو القرارات الكبرى الأخرى؟ كم مرة أطلب من جسد المسيح (الكنيسة) الصلاة عندما أكتب أو أتكلم؟ تجري هناك دائمًا الكثير من المناقشات والتعليم حول معرفة إرادة الله الشخصية لحياتنا، لكن هل سمعت مُطلقًا أشخاصًا يتكلّمون عن إرادة الله للكنيسة أو حتى للأسرة؟

هل لاحظت قط أنه بالنسبة للكثيرين لا توجد الكنيسة كأسرة. فكثيرًا ما أسمع الناس يتكلّمون كأن الكنيسة عدو لهم. وأحيانًا يكون هؤلاء قد نالهم أذى من أشخاص في الكنيسة، فيتخذون قرارًا بألا يتحرجوا ثانية. ويعممون من الحالة الخاصة إلى الكنيسة بأكملها. فإن أساء لي فرد، فالكنيسة كلها أساءت لي. وفي أحيان أخرى نسلك كأن الكنيسة عدو لنا بسبب إحساسنا الشخصي بالخجل والخزي. وبتعبير آخر لأننا لا نرى أمورًا في حياتنا تخجلنا، فإننا نفترض أن الآخرين يرون ذلك أيضًا. إلا أنه في العادة، فإننا نعامل الكتيسة كعدو، لأننا لم نتعلّم من الأسفار المقدّسة. فلم نعرف ما الذي يقوله الله عن جسده.

كان هذا كل شيء بالنسبة للخوف من الناس. فعندما نظن في أنفسنا أننا وحيدون ومنعزلون، نقع دائمًا فريسة للخوف من الناس. فالانعزال والخوف من الناس رفيقان متلازمان. لكن عندما تفهم الحقيقة أن الله قد دعانا للمشاركة في أسرة كبيرة (أي الكنيسة)، فإننا نكون أحرارًا.

فتبدأ الكنيسة تشعر بأننا كأسرة نجلس معًا في حجرة المعيشة. إلا أن الأفضل أن نشعر أننا أسرة واحدة تجلس معًا عند قدميّ يسوع،

نجلس حول العرش. فمع الأسـرة ليس هناك وجـود لإدراك الـذات، ولا للإحباط، ولا للخوف.

ربما لم تنحدر من أسرة متماسكة. وربما كان بيتك مكانًا يبدأ فيه النقد دائمًا، وتتساءل دائمًا عما يظنه الناس فيك. إن كان كذلك، فلا تدع تجربة أسرتك تفسد إدراكك لما يقوله المسيح عنها. فلا بد أن تؤمن أن الذين في جسد المسيح هم أسرتك. تعلّم أننا شعبه، تمامًا مثلما نحن أفراد. ليس هذا الدرس سهلاً بالضرورة على الناس الذين انحدروا من أسر صالحة. هذا لأننا نتعلّم الدرس بالإيمان، وليس بالخبرات السابقة.

لاحـظ النتائج لو أننا أهملنا أن نـرى أهمية المجتمع الكتابي. فإن كنا نخصخص الأسفار، محولين ضمير المتكلمين «نحن» إلى ضمير المتكلّم «أنا»، فلا بد أننا سنجد كوارث.

* يجب أن أمضي وأتلمذ الناس (متى ١٨:٢٨)

* يجب أن أصلّي بلا انقطاع (تسالونيكي الأولى ١٧:٥).

* يجب أن أعطي معرفة جيدة مناسبة للأرامل المحتاجات (تيموثاوس الأولى ٣:٥).

* يجب أن أعلّم الشيوخ والشبان والشابات (تيطس ١:٢-٨).

وأحياناً في فراغات يومي، يتبقى أن أعمل وأربح مالاً من أجل أسرتي.

ولحسن الحظ أن هذه الوصايا مقدّمة للكنيسة. فعلى مستوى الجماعة فقط أنه يمكننا أن نبشر العالم. فالأمر يتطلب دعمًا ماليًا، ومجموعات

للكرازة والتلمذة. ولتنفيذ الوصية بالصلاة بغير انقطاع، نحتاج إلى الكنيسة. ولأنني أحتاج إلى النوم، كما أحتاج إلى الذهاب للعمل، فإن الصلاة على مدار الساعة يمكن أن تتحقق فقط من خلال الكنيسة في العالم كله.

الصورة العامة الجماعية للّه

إن أساس تعليم الله عن الوَحدانية والحب والأسرة يرجع إلى صورة الله في الإنسان. وصورة الله معناها التشبه بالله وتمثيله، من أجل مجده. كما يعني أننا نصير مثل الله بكل طريقة يمكن للخليقة أن تصير بها مثل الخالق. وللتشبه عن بعد بهذا القدر من المجد يتطلب بالتأكيد جماعة كبيرة من الناس. لأن المخلوقات محدودة، بينما مجد الله غير محدود. يلخّص الفصل التاسع بعضًا من أوجه هذا المجد، ويصور بعض طرق التشبه بالله. لكن هناك طريقة واحدة فقط نهملها.

«**اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**» (تثنية ٦:٤).

لو كان هناك مجموعة من الآلهة، فيمكن تفهم وجود ابتسامات ومجموعات وسط الشعب المتدين. أنا لبولس وأنا لأبلوس. ولكن الله واحد، وشعبه يتشبّه به ويقدّم له المجد عندما يصبحون واحدًا.

ماذا كانت أبرز هوية لبني إسرائيل؟ «**أنا من بني إسرائيل، الشعب المنتمي إلى الله**». حاول أن تجد عبارة «الله وأنا» في كل أسفار موسى الخمسة، ولن تجدها. كان عهد الله مع الشعب، فالرب يقول : «**اسمع يا إسرائيل**».

«طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ، وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا. ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا. تَأَمَّلُوا قُصُورَهَا لِكَيْ تُحَدِّثُوا بِهَا جِيلاً آخَرَ» (مزمور ٤٨:١٢-١٣).

كان لبني إسرائيل في العهد القديم احتفالات وأعياد جماعية: عيد الفصح، تحتفل به الأسرة. وهناك يوم سنوي للكفارة عن خطايا كل الشعب (لاويين ١٦). كانت الوصية لبني إسرائيل بالحديث عن الله وشريعته لأبنائهم ولكل واحد (تثنية ١٦). كانت الوعود للشعب، كما أنها للأفراد. وبالمثل فإن لعنات الأفراد بسبب عصيانهم كانت لعنات لكل الشعب.

عندما أخطأ عخان وأخذ غنيمة من أريحا، قيل لهم: في وسطك حرام يا إسرائيل (يشوع ٧:١). قال الرب إن إسرائيل قد أخطأ، ووقع عقاب المعصية على كل الشعب عندما انهزم الجيش أمام رجال عاي. ولمعالجة الخطية، كان على بني إسرائيل أن يتقدّسوا أمام الرب. الكتاب المقدّس واضح بالطبع في أن كل فرد مسؤول عن خطيته. لكن هناك إحساسًا عامًا يكون فيه كل الجسد مدنسًا ونجسًا عندما يخطئ أحد أعضائه.

كان دانيال مدركًا بشدة، حتى وهو في السبي، أنه كان مشتركًا مع الشعب بغير انفكاك، وما قيل عنهم يمكن أن يقال عنه. كان خجلاً من السبي وشعر بثقل خطية الشعب.

«وَصَلَّيْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِي وَاعْتَرَفْتُ وَقُلْتُ:أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْعَظِيمُ الْمَهُوبُ، حَافِظَ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةِ لِمُحِبِّيهِ وَحَافِظِي وَصَايَاهُ. أَخْطَأْنَا وَأَثِمْنَا

وَعَمِلْنَا الشَّرَّ، وَتَمَرَّدْنَا وَحِدْنَا عَنْ وَصَايَاكَ وَعَنْ أَحْكَامِكَ. وَمَا سَمِعْنَا مِنْ عَبِيدِكَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ بِاسْمِكَ كَلَّمُوا مُلُوكَنَا وَرُؤَسَاءَنَا وَآبَاءَنَا وَكُلَّ شَعْبِ الأَرْضِ. لَكَ يَا سَيِّدُ الْبِرُّ، أَمَّا لَنَا فَخِزْيُ الْوُجُوهِ، كَمَا هُوَ الْيَوْمَ لِرِجَالِ يَهُوذَا وَلِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، وَلِكُلِّ إِسْرَائِيلَ الْقَرِيبِينَ وَالْبَعِيدِينَ فِي كُلِّ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتَهُمْ إِلَيْهَا، مِنْ أَجْلِ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُوكَ إِيَّاهَا. يَا سَيِّدُ، لَنَا خِزْيُ الْوُجُوهِ، لِمُلُوكِنَا، لِرُؤَسَائِنَا وَلآبَائِنَا لأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْكَ» (دانيال ٩:٤-٨).

أتذكّر واجبًا في الصف الرابع، حيث كان علينا أن نكتب خطابًا بدون استخدام كلمة «أنا» أو ضمير المتكلّم. لم أكن واثقًا من القصد من ذلك. فأحيانًا أظن أنه بسبب أننا فصل سيء كان المدرس يشير إلى أنانيتنا. لكنني أعرف أننا جميعًا قلنا إن هذا مستحيل.

التكليف المسيحي المعادل هو أن نصلّي بدون أن نطلب طلبات شخصية خاصة. بالنسبة لي هذه الصلاة بنفس صعوبة كتابة رسالة بدون ضمير المتكلّم. فعندما أصلّي يكون في ذهني دوائر متداخلة. الدائرة الداخلية اللصيقة هي أسرتي. والدائرة التالية لها هي أقاربي ومعارفي. والدائرة التالية هي الكنيسة ثم الإرساليات. وكثيرًا ما أحس بالتعب قبل أن أخرج من الدائرة الثانية.

كيف حاولت أن تصلّي بشكل أوسع؟ وأكبر؟ إنه علاج رائع للخوف من الناس. حاول أن تصلّي بالاتجاه العكسي من الدائرة الأوسع إلى الدائرة الأقل، مصليًا للعالم أولاً، ثم الكنيسة العامة ، قبل أن تتجه بصلاتك إلى البيت. لتكن صلاتك من الكتاب المقدّس باستمرار. استخدم

المزامير في الصلاة. فالمزامير تستخدم للتأمل الخاص، وللصلاة في الاجتماعات، لكنها أكثر تعزية في وسط الجماعة.

فالمزمور ١٣٣ يعتبر نموذجًا لمزمور جماعي واضح. إنه صورة من البركات التي لا يمكن احتواؤها متدرجة في النزول. هذه الصورة محفوظة لواحدة من أعظم البركات التي يعطيها الله لشعبه، وهي بركة الوَحدانية.

«هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعاً. مِثْلُ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ عَلَى الرَّأْسِ، النَّازِلِ عَلَى اللِّحْيَةِ، لِحْيَةِ هَارُونَ، النَّازِلِ إِلَى طَرَفِ ثِيَابِهِ. مِثْلُ نَدَى حَرْمُونَ النَّازِلِ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ. لأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ، حَيَاةٍ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ١٣٣).

الصورة الأولى هي صورة تنصيب هارون رئيسًا للكهنة. كان يومًا عظيمًا. ثم، ونحن نتابع مشاهدة التنصيب نرى الزيت الذي يُصَبّ على الرأس فقط، وقد انسكب حتى غطّى هارون. زيت التقديس لم يمكن احتواؤه، فقد ظل يتدفق.

وبطريقة مماثلة، كان حرمون أكبر جبل في المنطقة، بينما لم يكن صهيون سوى تل. فإن سقط ندى حرمون على صهيون فهذا يغمره بالبركة المثمرة في منطقة جافة.

هذا المزمور صلاة قوية لشعب الله. وعندما نخاف من الناس، ونختبئ أو ننعزل، أو نحمي أنفسنا من جزء مهم من علاج الله لنا وهو الحب والوَحدانية مع بقية الشعب، فإن هذا المزمور (١٣٣) يذكّرنا أن نصلّي

طالبين العلاج من الله. كما يذكّرنا بأن أحد البركات العظمى على الأرض هي أن نكون في وَحدة مع شعب الله، ولا نخاف من الناس أو ننعزل عنهم.

الوَحدانية والمحبة – الأولوية الكتابية

إن صور العهد القديم كانت على الأرجح في ذهن بولس الرسول وهو يكتب إلى الكنائس. فمثلاً، في الرسالة إلى أهل أفسس يمكننا أن نسمعه يقول: ما أحسن أن يجتمع الإخوة معًا.

إلا أنه كان في ذهن بولس ما هو أكثر من الوَحدانية بين هؤلاء العبرانيين بالمولد فقد كان يتحدث عن وَحدانية نادرًا ما تخيلها الأنبياء أنفسهم، وتصور الكنيسة يهودًا وأمميين، الأعداء السابقين، الأطهار والنجسين. ففي هذه الوحدانية: «**لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ**» (أفسس ٣:١٠). وبتعبير آخر، كانت رؤية بولس للكنيسة أنها أعظم قول من الله لكل من العالم والكائنات السماوية. فالكنيسة محل متابعة ومشاهدة من القوات الروحية ومن خلال جماعة الكنيسة يتم استعلان غنى حكمة الله. فما قمة هذه الحكمة؟ إن الله أظهر مجده بتجميع مجموعة متنوعة وتوحيدها في المسيح.

ولكي يوحد الله هذه المجموعة أعطى مواهب لجسده. المواهب هي أشخاص آخرون. فمن خلال الناس – رسلاً، وأنبياءً، ومبشرين، ورعاةً معلّمين، وغيرهم...، فإن الله يبني الكنيسة: «**إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ**» (أفسس ٤:١٣).

وبتعبير آخر، لكي نمجد الله نحتاج إلى الناس. فنحن نحتاج إلى التعليم والرعاية، كما نحتاج أن نقدم التعليم والرعاية. كما نحتاج إلى المشورة اليومية من الإخوة وهم يحتاجون إلى المشورة منا. نحتاج إلى أن يسألنا الناس أسئلة صعبة، حتى أنه هناك بعض الأوقات نتمنى أن يتركونا وحدنا. بل وحتى الرسول كان يحتاج لمثل هذه الأمور: «**لأَنِّي مُشْتَاقٌ أَنْ أَرَاكُمْ... أَيْ لِنَتَعَزَّى بَيْنَكُمْ بِالإِيمَانِ الَّذِي فِينَا جَمِيعاً إِيمَانِكُمْ وَإِيمَانِي**» (رومية ١:١١-١٢).

تشاك سويندول Chuck Swindoll ممثل للكثيرين في الكنيسة الذين يعرفون أنهم لن ينموا في النعمة وهم معزولون عن بقية المؤمنين. فيدرك أن الأمان المتصور لحماية الذات ونقص الضعف هي لعنة يريد الله أن يحررنا منها. فعندما كان مع زملائه الرعاة، وضعوا تحديًا من سبعة أسئلة:

١- هل كنت مع امرأة (أو هل كنتِ مع رجل) في أي مكان الأسبوع الماضي قد يبدو غير لائق؟

٢- هل افتقرت أي معاملة مالية لديك إلى الاستقامة؟

٣- هل عرّضت نفسك لأي مادة فاضحة جنسيًا؟

٤- هل قضيت وقتًا مناسبًا كافيًا في دراسة الكتاب المقدّس والصلاة؟

٥- هل أعطيت لأسرتك الأولوية في الوقت؟

٦- هل وفيت متطلبات دعوتك؟

٧- هل كذبت عليّ الآن؟

وإلى هذه الأسئلة أضيف جملة واحدة على الأقل: ''والآن، وقد سألتك هذه الأسئلة، دعني أخبرك كيف كنت بركة لي؟ دعني أخبرك كيف وجهتني نحو المسيح''.

كمشير، تكلّمت مع الكثيرين ممن يريدون معرفة مواهبهم الروحية. فكانوا يأتون متمنين أن يجدوا نوعًا من الاختبار التشخيصي الذي يحدد موقعهم بالضبط بدقة. وكان انطباعي هو أن هذا المنظور يمثل انهيارًا في الكنيسة. فهو يعكس كنيسة نركض حولها كأفراد يريدون تحقيق ذواتهم وليس أن يتحدوا كمجتمع يعمل على تمجيد الله.

فمثلاً، الأشخاص الذين يبحثون عن مواهبهم، يظنون أنهم يمكنهم أن ''يجدوا'' مواهبهم في العزلة عن الجسد. وقد نسوا أن توجه شعب الله هو نحو الخارج وليس نحو الداخل. وينبغي أن يكون السؤال هكذا: كيف يمكنني أن أنمو في المحبة والخدمة؟ ولكي ننقل كلام القديس أغسطينوس، لو أردت أن تعرف مواهب الله، فاعرف أولاً إن القصد من المواهب الروحية هو تحقيق وَحدانية الكنيسة. ثم ''أحبب الله وافعل ما شئت''.

لكن ليس هناك الكثير لإطلاق المواهب في الكنيسة جسد المسيح. وواحدة من الثمار السيئة لكنيسة ''الأنا'' هي أننا لا نقول للناس متى يباركوننا. إن كان أحد يعلّم في فصول التلمذة ويساعدنا على استيعاب فقرة من الأسفار المقدّسة، فيمكن أن نقول هذا للشخص ونشجعه لموهبته. فإن كان قادة خدمة العبادة يتركوننا فرحين أن نكون مع شعب الله

في وجوده وحضرته، فلا بد أن نشكرهم على الطرق الخاصة التي يباركنا بها ويبارك الكنيسة. لا ينبغي لأي أحد أن يسأل عن موهبته، فينبغي أن نخبر الناس بمواهبهم في أثناء خدمتهم لنا.

هل يمكنك أن ترى التوجيه الطبيعي إلى الخارج لعلاج الله للخوف من الناس؟ فمع أنه يضم انعكاسًا ذاتيًا موجّهًا بالكتاب المقدّس، فإن القصد من هذا الاستبطان هو المحبة. إن كلمة الله تحثنا باستمرار نحو محبة الله، ومحبة الآخرين. ومع اتباعنا لهذا المسلك، فسنجد أننا لم نعد محكومين بصنم الخوف من الناس.

إلا أن المسار ليس سهلاً على الدوام. ففي الحقيقة، نادرًا ما يكون سهلاً. فقبل عودة يسوع، ينبغي أن نكون مستعدين لضربات كبرى، ضربات مثل التي وجدها بولس في كنيسة كورنثوس.

«وَلكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِداً، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (كورنثوس الأولى ١:١٠).

«لأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟. لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ: أَنَا لِبُولُسَ، وَآخَرُ: أَنَا لأَبُلُّوسَ؛ أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ؟» (كورنثوس الأولى ٣:٣-٤).

«فَالآنَ فِيكُمْ عَيْبٌ مُطْلَقاً ، لأَنَّ عِنْدَكُمْ مُحَاكَمَاتٍ بَعْضِكُمْ مَعَ بَعْضٍ. لِمَاذَا لاَ تُظْلَمُونَ بِالْحَرِيِّ ؟ لِمَاذَا لاَ تُسْلَبُونَ بِالْحَرِيِّ؟» (كورنثوس الأولى ٦:٧).

كانت هذه الانقسامات ظاهرة، حتى خلال الاحتفال بالعشاء الرباني. لم يكن كثيرًا أن يوجد صراع اندلع قبل التناول (على الأقل لم يسجل بولس تلك الصراعات). كان اهتمام بولس الذي قرره هو الفوضى الناتجة عن سلوك الناس كأنهم معزولون وأنانيون وليس باعتبارهم جسدًا واحدًا. والموضوع المتكرر في سفر القضاة يتناسب هنا جيدًا «**كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ**» (قضاة ٦:١٧). وبكل الاحترام الواجب نحو المراهقين، كان الأمر مثل تناول العشاء بنمط الأسرة، مع حفنة من الأولاد المراهقين النهمين الأنانيين. وبسبب هذه الانقسامات، أعطى بولس الرسول توجيهات معينة بشأن عشاء الرب. قال لنا الرسول إننا ينبغي أن نمتحن أنفسنا ونفحص ذواتنا قبل الاشتراك في مائدة التناول (كورنثوس الأولى ٢٨:١١).

عندما يقال لك أن تفحص ذاتك قبل عشاء الرب، فما الذي تفكر فيه؟ في الغالب، ستتذكر قائمة من الخطايا الخاصة الحديثة. فإن فعلت ذلك، فهذا أمر عظيم. فبالنسبة لبعض الناس، هذه هي اللحظة الهادئة الوحيدة في حياتهم، وهي وقت رائع للاعتراف بالخطايا والتوبة. ولكن مع جودة هذا الأمر، إلا أن الفقرة تقول أكثر من ذلك. فما يدعو إليه بولس لفحصه هو «معرفة جسد الرب». هل ندرك أن الكنيسة واحدة ؟ هل نعي أن الذين نشترك معهم في العشاء هم جسد المسيح؟ أسرتنا؟ هذا هو بوضوح مضمون محتوى الفقرة.

هذا معناه أن علينا أن نتذكر أنه من خلال موت السيح قد تصالحنا مع الله ومع بعضنا البعض. لقد جعلنا واحدًا لنضع قلوبنا على اتباع

الوَحدانية في محبة. إن عشاء الرب وقت رائع للصلاة والتخطيط من أجل الوَحدانية مع الإخوة. إنه وقت اكتشاف طرق جديدة لنكون في شفقة ورأفة ومغفرة.

إن دعوة الرسول تعني كذلك أن نتوب عن الخطايا التي تقسم شعب الله. هل اغتبنا أحدًا أو نشرنا النميمة عن أحد؟ هل تجنبنا الناس؟ هل غضبنا على أحد غضبًا باطلاً خاطئًا؟

يسوع ذاته أعطانا توجيهات نحو اتباع الوَحدانية.

«فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (متى ٥:٢٣-٢٤).

«وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَتِكُمْ» (مرقس ١١:٢٥).

ويقول بولس الرسول نفس الشيء في رسالته إلى أهل أفسس.

«لِذلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ، وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ» (أفسس ٤:٢٥-٢٦).

هل يمكنك أن ترى ضرورة هذه التوجيهات؟ ليس سوى الكنيسة المتحدة في محبّة يمكنها حقًا أن تبين مجد الله لكل من القوات الروحية والعالم، وليس سوى كنيسة متحدة تستطيع الوقوف أمام جهود الشيطان

لتقسيمها. الكتاب المقدّس صـادق. فإن كنت قد أسهمت في الافتقار إلى الوَحدانية فتعامل مع هذا الأمر الآن. فالنهضة لا بد أن تبدأ عند عشاء الرب.

واحـد من مضامين هذه الوَحدانية هو أنه يضمن أن تمتلئ حياة الإنسان المسيحي بفرح عظيم لكن كذلك بحزن كبير. ستمتلئ بفرح عظيم لأن المسيح قام، وصرنا في شركة معه. وإذ نتحد بالروح القدس نفرح مع الإخوة الآخرين الفرحين. لكن حياة المسيحي تمتلئ كذلك بحزن كبير لأنه يعاني ويتألم لآلام أعضاء الجسد الأخرى. وبنفس الكيفية التي نتأثر بها عندما يتألم أحد أفراد العائلة نتألم لآلام أفراد العائلة الممتدة المتسعة. وعندما نتأذى بسبب أحد أعضاء الجسد الواحد، فإن الألم يتضاعف لأنه من أعضاء العائلة. إلا أن هذا الجرح لا يشلنا. بل بالعكس، فإن نعمة الله تنمو في الإيمان وتكون مستعدة للسؤال: ما واجبي نحو هذا الأخ؟

واجبنا بالطبع، هو الحب. إحدى مميزاتنا القادمة من انقسامات أهل كورنثوس هي أن بولس لم يمكنه أن ينهي دعوته للوَحدانية بقوله: أحبوا الله وافعلوا ما تشعرون به، أو أحبوا بعضكم بعضًا. بل بالعكس، اضطر أن يكون محددًا نحو شكل المحبة فكان عليه تعريفها. ونتيجة لذلك، تباركنا بالأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

صلاة يسوع من أجل الوَحدانية

لو كان يبدو من المستحيل تحقيق المَحبّة والوَحدانية (كورنثوس الأولى ١٣)، فتشجّع. فمع أن العالم والجسد وإبليس هم أعداء أقوياء، إلا أن يسوع قد صلّى من أجلنا. وبهذا، فإنه يذكّرنا بما نحتاج إليه.

فهو يعطينا نموذج الصلاة، كما يعطينا الثقة في أنه لما كانت المَحبّة والوَحدانية من إرادة الله، فسوف يوجدهما.

إن صلاة يسوع المسجّلة في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا ساعدتنا في تفهم بعض ما نحتاج إليه. فنحن نحتاج إلى أن نجلب المجد إلى الله، ونحتاج إلى أن ننمو في التقديس وفي الطاعة لله الآب. والموضوع الآخر المتكامل مع صلاة يسوع هو الوَحدانية.

«أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ» (يوحنا ١٧:١١).

«وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا» (يوحنا ١٧:٢٠-٢١).

«أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (يوحنا ١٧:٢٣).

«وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ» (يوحنا ١٧:٢٦).

هذه طريقة عميقة لتقديم المجد لله. ولأن يسوع والآب واحد، لذلك ينبغي أن نكون نحن واحدًا معًا. هذا أمر رائع ومخيف كذلك. فمن جهة، فإن هدف المجتمع الكتابي الحقيقي هو بركة عظيمة. فهذا جزء من علاج الله للخوف من الناس وفيه أيضًا وصول إلى شيء يتمناه العالم لكنه يعني أن علينا أن نتحرك بعضنا نحو البعض في محبة. وهنا يكون

الأمر مخيفًا. فالناس قد يفسدون حياتنا. فكل شيء يبدو أفضل عندما يمكننا المحافظة على عالمنا الآمن، ونرضى بعطاء المال. والآن، مع معرفتنا بتعليم الكتاب المقدّس، فإن هذه اللامبالاة أو التمركز حول الذات يبدو مستحيلاً.

الوَحدانية والمَحبّة معناهما:

* نعترف بخطايانا بعضنا للبعض (يعقوب ٥:١٦).

* نشترك مع الإخـوة في احتياجاتهم (رومية ١٢:١٣؛ يوحنا الأولى ٣:١٧).

* إننا ضعفاء مع الآخرين (هوشع).

* نشترك مع الآخرين الأقل مكانة (رومية ١٢:١٦).

* نفكر بابداع في طرق لتكريم الآخرين (رومية ١٢:١٠).

* نميز متى نواجه الخطية ومتى نتجاوز عنها (متى ١٨:١٥؛ أمثال ١٧:٩؛ ١٩:١١).

* نكون صبورين مع كل إنسان (كورنثوس الأولى ١٣:٤).

* مستعدين للتضحية (يوحنا ١٥:١٢-١٣).

* نـمـارس تـأديـب الكنيسة (مـتـى١٨:١٥-١٩؛ كورنثوس الأولى ٥:١-٥).

المحبة الكتابية لا تشبع إلا بالنمو (بطرس الأولى ١:٢٢). فهي تنشئ استراتيجيات وتطلب الصلاة من الآخرين لكي تنمو، وتفكر باتساع، ليس في الإبهار، بل في الأمور التي تفوق توقعات الإنسان. المحبة الكتابية ليست استعراضية، ولا تجذب الانتباه إلى نفسها، لكن نواياها رائعة. إننا نحتاج أن يرانا كل خليقة حية. إننا نريد أن كل السطات الروحية والقوات الروحية وكل الناس أن يعرفوا أننا تلاميذ الله الحي، وذلك من خلال محبتنا (يوحنا ١٣:٣٥).

أنتم هيكل اللّه

كل هذا معناه أنه ليست لديكم هوية أخرى. أنتم هيكل الله. في العهد القديم كانت خيمة الاجتماع هي البيت الأرضـي لله حيث حضوره مع شعبه. وهي نفس خيمة الاجتماع التي أرعبت جيوش الأعداء. فمثلاً، بعد أن أخذ الفلسطينيون تابوت العهد، أسرعوا بالتخلّص منه من بلادهم. فقد سقط صنمهم داجون أمام تابوت العهد. خيمة الاجتماع هي الخيمة المقدّسة التي عندما نظر إليها أهل بيت شمس ضربهم الله بالموت. أما بقية أهل بيت شمس فقالوا: «**مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الرَّبِّ الإِلهِ الْقُدُّوسِ هذَا؟ وَإِلَى مَنْ يَصْعَدُ عَنَّا؟**» (صموئيل الأول ٦:٢٠). وبالمثل، فإن عُزّة ضربه الله عندما حاول أن يمسك تابوت الله (صموئيل الثاني ٦:٦-٧).

ننتقل الآن إلى العهد الجديد. «**أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟**» (كورنثوس الأولى ٣:١٦). يقول بولس الرسول إننا خيمة اجتماع لله. الكنيسة خيمة اجتماع. وهنا نجد أحد الأسرار المستقرة في العهد القديم، والتي انكشفت في العهد الجديد. فنحن معًا عندنا الله في داخلنا.

هذا هو السر المجيد الثري: «**الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ**» (كولوسي ١:٢٧). وهذا يكفي لكي يجعلنا نرتعب.

الأعداء، والأقارب، والجيران، وجسد المسيح: دين علينا

من هم الآخرون؟ إنهم يتخذون ثلاث صور: الأعداء والجيران والأسرة. فما واجبنا نحوهم؟ المَحبّة. يمكن للمحبة أن تتخذ عدة صور مع كل مجموعة منهم. إلا أن واجبنا نحوهم يتلخّص في المحبة. إننا نحب أعداءنا ونفاجئهم بخدمتنا لهم. ونحب القريب أو الجار بمعاملته كأنه من أفراد الأسرة. ونحب جسد المسيح، إخوتنا الفعليين، بطريقة تثير دهشة العالم والقوات الروحية من وَحدَتنا.

ولكي نوضح واجبنا أكثر، نقول إننا مدينون لأعدائنا ولجيراننا ولأصدقائنا. فبصرف النظر عما يفعلونه، وبصرف النظر عن عدم توازن عطائنا لهم مقابل عطائهم لنا، إننا مدينون لهم.

«**لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ.... وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ: أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**» (رومية ١٣:٨-٩).

هل سيجعلنا هذا الحب نشعر بالإيذاء؟ بدون شك، يشير سي إس لويس إلى أنه لو أراد شيئًا سهلاً بلا ألم لاختار زجاجة خمر وليس الرب يسوع. فلا شك أن المحبة الكتابية تتركنا معرضين للهجوم. لكن ذلك ليس هو الضعف المدمر الذي قد يأتينا مع احتياجنا النفسي للآخرين. فالإنسان المسيحي يقلل من احتياجه ويزيد من محبته.

فهل مديونية المحبة هذه تعدنا للاستغلال من جانب الذين يريدون استخدامنا لأغراضهم السيئة؟ الأرجح لا، أو على الأقل ليس لفترة طويلة.

وبخ أحد الأطباء راعيًا في منتصف العمر، على إجهاده الزائد. قال الطبيب إن الراعي يحتاج إلى راحة أو سيصاب بمرض. وبالطبع لم يكن لدى الراعي وقتًا للراحة. فقد كان منشغلاً برعاية الكنيسة واحتياجات زوجته وابنتيه.

كانت الزوجة مصابة بمرض غامض على مدار السنوات الخمس السابقة إلى درجة أنها لم تعد قادرة على قيادة سيارتها بنفسها أو حتى الخروج بمفردها. وهذا يعني أنه كان يأخذها في كل مكان. كان التسوق ومواعيد الطبيب تستغرق منه أكثر من ساعة يوميًا.

كما كان الراعي يلقي دروسًا في معهد دراسي لاهوتي محلّي بسبب احتياجه لمزيد من المال. وقد اشترت إحدى ابنتيه سيارة جديدة فكان عليه أن يدفع لها أقساط التأمين. أما البنت الأخرى فكانت تدرس في الكلية فكان عليه دفع مصاريف الدراسة. ولم تكن أي واحدة منهما تعمل.

مع حدوث كل هذه الأمور، كيف يمكن للراعي أن يأخذ قسطًا من الراحة من واجباته؟ كان الاحتياج إليه كبيرًا من الكنيسة ومن أسرته.

أم هل كان محتاجًا أن يحتاجوا إليه؟ لقد أدرك الراعي مخافة الرب لكنه لم يفهم نفسه. لم يكن يدرك أن تضحيته بنفسه تخدم ذاته أكثر مما تخدم أسرته. ونتيجة لذلك، لم يكن يرى طرقًا أخرى أفضل للمحبة.

فبدأ يلاحظ أن الاستحسان ليس كالمحبة. فالاستحسان يفهم على أنه اهتمام مع التضحية من الزوج والوالد. فالاستحسان كان على العكس مما كان عليه أبوه، الذي كان مبتعدًا مهملاً لأسرته. أما الاستحسان فكان يقتل أسرته لأنه كان يمكن استغلاله لعمل أي شيء.

وبالتدريج بدأ الراعي يرى الأنانية المختبئة خلف أفعاله. وأدرك أن الحب أكبر من مجرد الاستجابة. فطلب المغفرة من زوجته وابنتيه، وطلب منهن الصلاة من أجله لأنه أراد أن ينمو في محبتهن بعمق. وكما توقع، ارتبكت الأسرة قليلاً بسبب ما كان يحدث، أما الراعي فطلب منهن الغفران عدة مرات من قبل. لم تكن هذه القصة مختلفة كثيرًا.

لكنها كانت كذلك. فمع مشورة بعض الأصدقاء القريبين الحكماء، بدأ الراعي يفكر بشكل أوضح، في طرق تقديم الحب لأسرته. وبعد أسابيع قليلة، جلس مع أسرته وأراهن خطته.

قال لابنته أنه سيتوقف عن دفع أقساط التأمين بعد ثلاثة أشهر. كما أخبر الابنة الأخرى أنه سيتمكن من دفع نسبة من مصاريف تعليمها في العام التالي. وقد أتاح ذلك للأسرة فرصة للعمل معًا لمدة تسعة شهور من أجل إيجاد البديل المالي مثل الوظيفة أو القروض. وبعد التشاور مع طبيب زوجته، قال لها إنه لن يواصل قيادة سيارتها لتوصيلها لمواعيد علاجها. ارتعب الطبيب من هذا القرار. كما قال الراعي لأسرته إنه سيطلب فرصة عام للغياب عن التدريس بالمعهد اللاهوتي. وهذا سيبدأ بعد نهاية الدورة الدراسية القادمة.

بعد ذلك بدأ الاختبار الحقيقي. لم تكن أسرته تستحسن عمله. بل غضبن عليه. وقلن إنه لا يهتم بهن. وبهذا القول لم يعرفن أنهن اصطدمن بصنمه المفضل. فاستمع إلى قولهن وتأمله بصلاة ومشورة. لكنه قرر أن قراراته حكيمة وأنه سيلتزم بها.

بعد عدة شهور مضطربة، قررت الابنتان أن تجدا عملاً، بل واستمعتا بذلك. أما زوجته فصارت أقل خوفًا وتحسنت الكثير من أعراض المرض لديها بشكل قوي. عبر الراعي للكنيسة عن أنه كان مخطئًا في أن يتحمل الكثير من المهام في الكنيسة، لأن ذلك يحد من مواهب الآخرين. واعترف بذلك أمام الكنيسة، التي استجابت له باستعداد كل فرد في تفعيل مواهبه في خدمة الآخرين.

إن من يسعى لإرضاء الناس قد يخطئ فيقدم الاستحسان بدلاً من الحب. وعندما يفعل ذلك، فسيكون معرضًا لاستغلال الآخرين، فيصيبه الاحتراق لا محالة. كما قد يخطئ من يرضي الناس، فيقبل كلمة نعم عوضًا عن الحب. ربما لا تكون أفضل طريقة لرد مديونية الحب. إن قبول مهمة واحدة قد يمنعنا عن أخرى، ربما تكون أهم. فهذا معناه أن تؤدي عملاً يمكن لشخص آخر أن يؤديه بشكل أفضل. كما أن هذا قد يعني أننا نرسّخ أنماط خطية الغير. وقد يعني أننا نفسر الكنيسة بالأبنية أكثر من كونها جسدًا واحدًا، مع الظن بأنني لو لم أقم أنا بذلك العمل، فلن يؤديه أي شخص آخر.

لذلك فإن الموافقة والاستحسان والتضحية بالذات، ليست بالضرورة مثل المحبة. فهي يمكن أن تكون طرقًا، نقيّم بها لأنفسنا قيمة شخصية

وهوية خاصة، أكثر من كونها تعبيرات عن محبتنا للآخرين. ومع هذه التحذيرات في ذهننا، عن التشبّه بالحب، فإنني أريد أن أصوغ كلمة طيبة عن بذل الذات والتعب. فأمام كل كتاب أو مقال أقرأه عن مديونيتنا بالمحبة، أقابل عشرة كتب أو مقالات أخرى عن حفظ الذات. إن الاحتراق يبدو كواحد من مخاوفنا الكبرى. ففي حياتي الخاصة أجد أحيانًا أن هدفي هو حماية ذاتي من الضغوط، أكثر من محبتي للآخرين. من الطبيعي أن يكون هناك أنظمة جسدية في حياتنا للاهتمام بأجسادنا، وينبغي أن يكون لدينا أولويات متعقلّة مبنية على الكتاب المقدّس في حياتنا. لكن يمكن أن نسقط من جبل المحافظة على النفس، بنفس سهولة سقوطنا من فوق الاستحسان وإرضاء الناس.

عندما نعيش في مخافة الرب، نجد مثلاً لحياتنا. فنجد عندنا الحماس نحو طاعته، ولا نعود غير مبالين بالغير، ويكون عندنا شوق ورغبة أن تكون الكنيسة متميزة. فهذه الرغبات قد تعني السهر في الليالي وأداء بعض أعمال لا نريد عملها. فالحب ليس عملاً سهلاً للتعبير عنه.

التفرد في الوَحدانية

هناك تغيير رائع يحدث عندما تقلل من التفكير في ذاتك وتتبع الوَحدانية في جسد المسيح. فبدلاً من أن يصير أعضاء الكنيسة نفس الشيء، فإنهم يصبحون أكثر تميزًا. فالوَحدانية ليست هي التشابه.

لو طلبت مني أن أصف لك آندي، لقلت لك إنه ممل. لقد كان صديقًا وعضوًا في الكنيسة المحلية، لكن لم يكن هناك بالحقيقة شيء يستحق الذكر بشأنه.

عندما طلب مني المشورة، لا أقول إنني تطلعت إلى ذلك. لقد فكرت في أن أقول لا، لكن في السنوات القليلة السابقة قطعت على نفسي تعهدًا بأن أكون متاحًا للناس في كنيستي، لذلك وافقت على مساعدته مضطرًا.

كانت مشكلته عادية. قال لي:»إنني لا أشعر بالرضا عن نفسي. وأريد أن أحب ذاتي بشكل أكبر». فكرت في نفسي إن المشكلة التي يعرضها مملة مثله.

عندما تقابلنا لأول مرة، كان آندي يتوقع أسئلة المشورة العادية عن أبويه وعن آلامه. وربما كان ينبغي أن أسأل كل تلك الأسئلة. لكنني لم أضع قلبي على ذلك. بل بالعكس، اقترحت أن ندرس معًا أحد أسفار الكتاب المقدّس.

لا أذكر حتى ما الذي درسناه. لكنني أذكر أنه كان متعة. لقد استمتعنا به كلانا. وأتذكر أني صلّيت من أجل أشخاص كثيرين في الكنيسة كما صلينا معًا لكي نطبّق الأسفار المقدّسة التي ندرسها. هذا معناه أننا صلّينا كثيرًا ففي كل أسبوع كنت أتعلّم شيئًا من آندي وهو منّي. وفي أحد الأسابيع، أتذكر أنه كان مقتنعًا بافتقاره إلى المحبة نحو صغاره. وطلب مني الصلاة لأجله لأنه سيطلب منهم الغفران. وبدأت بالفعل في التشوق لأوقاتنا معًا.

وفي أحد الأيام خطر ببالي، إن الرجل مبهر وليس مملاً. حقًا، بعض التغييرات قد حدثت لي. لكنني أعرف أن الأمر أكثر من ذلك. تغيّر آندي وكل استفساراته. فبدلاً من سؤاله: «كيف أشعر بالرضا عن نفسي؟»، صار يسألني: «كيف يمكنني أن أحب الناس في الكنيسة وفي العالم؟»

وكلما زاد تطبيقه لتعليم الكتاب المقدّس عن المحبّة والوَحدانية ، اتضح بالأكثر تميزه. وفجأة رأيت فيه مواهب لم أرها قبلاً.

وإذ كانت الأوقات الأسبوعية الرسمية تقل، قلت شيئًا صدم الجميع، بما فيهم أنا: «آندي، إنك تبدو اليوم جميلاً». وإذ خرجت الكلمات من فمي، أثق أنني أنا كنت أكثر دهشة من آندي. واستغرق التعليق شرحًا قليلاً.

«أرجو ألا يكون ذلك أمرًا وضيعًا. لكنني راجعت علاقتنا معًا. فقد كان هناك وقت كنت أقول فيه إنك مملّ، بأفضل ما في الكلمة من معنى». ضحك آندي. «ثم حدث لك شيء. لقد رأيت المسيح فيك على مدى الشهور الأربعة الماضية بطريقة لم أرها من قبل. لقد رأيته في صلواتك من أجلي وفي الاستراتيجيات التي تضعها من أجل محبة الآخرين. لقد اعتدت أن تسأل: كيف يمكن أن أشعر بالرضا عن نفسي؟ أما الآن فسؤالك هو: كيف يمكنني أن أحب المسيح وأحب قريبي؟»

أومأ برأسه ، فقد رأى عمل الله في حياته أيضًا.

لمزيد من التفكير

هذا الفصل يسترجع جزءًا حيويًا ضروريًا لمعالجة الخوف من الناس. فعلينا أن نزيد من محبتنا للناس، ونقلل من احتياجنا إليهم (من أجل إشباع رغباتنا النفسية). وبنفس الطريقة، فإن محبتنا لله تطرد الخوف من الله، ومحبتنا للناس تطرد الخوف من الناس، والذين ربما يتسببون في خزي لنا أو في إيذاء جسدي أو في رفض.

الأسرة والمجتمع والوَحدانية هي الكلمات الأساسية. لكن احذر، فليس المسيحيون وحدهم من يستخدمون هذه الكلمات. فهل لاحظت أن الكثيرين قد سئموا من الفردية ومن التركيز على الذات، والاهتمام بالذات، وتقدير الذات، وجبل «أنا»، والاستبطان الجامح، والتحليل الشخصي، وفي النهاية نكون مستعدين للتغيير. الفردية إلى الخارج. ومن منظور نفعي بحت وجدنا أن الفردية غير فعّالة. والترياق هو الجماعة أو المجتمع.

المشكلة هي أنه ما لم يكن هناك تغيير جذري في الطريقة التي نرى بها الله والناس فإن المجتمع سيصير استراتيجية أخرى لنا، لنشعر بالرضا عن أنفسنا. فذلك سيزيل الشعور بالوَحدة ونشعر بالارتباط. لكننا نتبع المجتمع لإشباع الذات أكثر من مجد الله، وإدارة المجتمع ستكون أمرًا عابرًا. فلنعمل على نهوض بعضنا البعض من أجل إنشاء مجتمع الكنيسة في محبة الله.

١- كيف يمكن للكنيسة أن تشجّع المجتمع؟ كيف يمكنك تشجيع المجتمع؟

٢- راجع صلاة دانيال عن الشعب، وادرس صلاة نحميا عن الشعب (نحميا ١:٤-١١). اسمح لهم بتشكيل وقت للصلاة الجماعية.

٣- كيف يمكن أن تُكرم الآخرين في جسد المسيح (رومية ١٢:١٠)؟

٤- تواصل مع الناس الذين وجهوك إلى المسيح مؤخرًا، واكتب رسالة إلى واحد منهم، وخذ قرارًا أن تكتب للآخرين أيضًا.

الفصل الثالث عشر

ختام الأمر كلّه:
اتق (خف) اللّه واحفظ وصاياه

كان أحد رعاة القرن الثامن عشر يرثي وباء الخوف من الناس في كنيسته. فقال إن كل إنسان يقلق من آراء الآخرين أكثر مما يفعل نحو رأي الله. وقبل أن يعمل الناس في كنيسته أي شيء كان السؤال هو: ماذا سيظنون؟ قرر الراعي أن يلقي سلسلة من العظات عن هذه المشكلة، وأعطى الإجابة التالية: «مخافة الله ومعرفة الواجب».

إن إجابته كانت فعليًا إجابتين مترابطتين. فمخافة الله هي الأساس الضروري الجوهري، وبدون ذلك يزدهر الخوف من الناس. إلا أن الراعي لاحظ أن هناك بعض الناس في كنيسته ممن يخافون من الله، واقعين في الخوف من الناس، لأنهم لا يعرفون واجبهم. أي أنهم لم يمكنهم أن يميزوا شكل الطاعة لله الذي يجب أن يتخذوه. فلم يعرفوا كيفية تطبيق مخافة الرب. ونتيجة لذلك، فإن الراعي كرّس نفسه بحكمة، لتقديم عظات عن مختلف الوصايا، وخاصة وصية محبة القريب.

وقد وصل الراعي إلى صيغة كتابية للغاية.

وقد قرأ الجميع هذه الصيغة:

«فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّه» (جامعة ١٢:١٣).

وأثق أن هذا الراعي الملتزم سرعان ما أصبح الناس في كنيسته مثل الذين أعرفهم.

مراهق

لاعب كرة في فريق مدرسة ثانوية عليا، وكان قائدًا للفريق. لعب المباريات القليلة الأخيرة في السنة الأخيرة من دراسته الثانوية. وكان ينمو في مخافة الرب.

فماذا يفعل عندما يعلن مدرب الفريق عن تدريب خاص في يوم العطلة الأسبوعية والذي يتعارض مع رحلة للطالب مع أسرته؟ لم يعرف بالتحديد، لكنه عرف السؤال المناسب: «ماذا يريد الله مني أن أفعل؟ ما هو واجبي؟» بعد إعلان المدرّب عن يوم التدريب الخاص، ذهب اللاعب إلى المدرّب وأعلمه بذلك الصراع.

بالنسبة للمدرّب، كان القرار واضحًا. «أين المشكلة؟ الفريق محتاج إليك. وستتمرن معه. ليس سوى الأطفال الصغار الذين يذهبون مع ماما وبابا. فلو لم تحضر هذا التمرين، فستكون لاعبًا احتياطيًا الأسبوع القادم». بالنسبة لطالب في مدرسة ثانوية يمكن أن يثير ذلك فيه خوفًا من الناس (المدرّب، أعضاء الفريق)، لكن تيم وقف صلبًا ومتماسكًا. تكلم مع أبويه عن المشكلة. وسَعوا معًا إلى طلب مشورة أحد شيوخ الكنيسة. وبعد سماع المنظور الكتابي وبعض المفاهيم الكتابية، قرر الطالب المراهق أنه سيذهب مع أبويه في الرحلة المقررة من قبل.

كان مدركًا بوعي لردة الفعل التي سينالها من المدرب. لم يصدق المدرب ذلك. حاول أن يجعل تيم يغير رأيـه، لكنه لم يفعل. وحاول أن يستعدي الفريق ضده، متمنيًا أن تغير ضغوط الاصدقاء ذلك القرار. لكن تيم شرح قراره لأعضاء الفريق الذين تفهموا الأمر.

لقد اقتنع بالمسار الكتابي. فماذا هناك يفكر فيه؟ بالنسبة لهذا الفتى لم يكن هناك قرار. «هل أخاف من الله أم من الناس؟» والإجابة واضحة: «خف من الله وميز واجبك وقم به»

تصبح القصة مثيرة لو أضفت إليها أن المدرب رجع عن قراره بعدم اشتراك تيم في المباريات، وأن أعضاء الفريق قد دخلوا الإيمان المسيحي، وأن تيم رجع لينال منحة دراسية للتفوق الرياضي، وأن فيلمًا سينمائيًا تم تصويره عن قصة حياته. لكن، بقدر ما «أعلم»، لم تحدث هذه الأمور. وبالنسبة لي، هذه القصة فيها جرأة رائعة وتجذب انتباه الكائنات الروحية والقوات الروحية. لقد وقف تيم في مفترق طرق. وواجه قرارًا يخشاه، لكنه لم يتردد. فتأثير القوات الروحية والأصدقاء والكنيسة بالنسبة له، أكبر من بضعة تمريرات للكرة تسجّل في سجله الكروي.

راهب: مارتن لوثر

كان لدى مارتن لوثر لحظات تردد ، لكنه كان على الدوام يختار مخافة الله وليس الناس. ولد مارتن لوثر عام ١٤٨٣، في ألمانيا، وكان مُصلحًا مبهجًا ذا تأثير في الكنيسة. ولكن مع كل إنجازاته، تظل مخافة الرب لديه أميز ما عنده. واتضح نموه في هذه المخافة في ثلاثة أحداث مختلفة.

الحدث الأول في الثاني من شهر يوليو سنة ١٥٠٥، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وكان وقتها طالباً في جامعة إرفورت. حتى ذلك الوقت، كان لوثر يخطط أن يكمل درجته العلمية ثم حسب رغبة أبيه، يدرس القانون. ولكن حين كان عائدًا للبيت لزيارة والديه، انطلقت عاصفة رعدية شديدة. كان البرق قريبًا منه حتى أنه خاف على حياته، وصرخ: «إن ساعدتيني يا قديسة آن، سأصير راهبًا»

ومع أن نـذره قيل بـدون تفكير مسبق، إلا أنه أخـذه بجدية. فآمن بأن هذا النذر جزء من دعوة السماء له لا يمكنه أن يعصاه. ولذلك، وضد رغبة أبيه (الذي كان لوثر يتمنى دائمًا أن يرضيه)، في السابع عشر من شهر يوليو من نفس العام، التحق لوثر بالدير الأسـود لرهبانية أغسطينوس في إرفورت.

لم تكن مخافته من الرب ناضجة في ذلك الوقت. كانت تقريبًا خوفًا من الله الرهيب كما كانت ممتزجة بمخاوف تولدت من الأساطير عن المخلوقات الشيطانية الصغيرة التي يفترض أنها تسكن الغابات. لكنها أظهرت أن مارتن لوثر لديه إحساس بالقدّوس، وأنه كان خائفًا من القدّوس أكثر من خوفه من غضب أبيه عليه أو تعبه المستقبلي في الدير.

حدثت له أزمة ثانية عام ١٥٠٧، بعد اختياره للكهنوت. كانت المناسبة هي إقامة أول قداس يكون هو فيه الكاهن الرئيس. تم تحديد الموعد، ثم تأجل بعد ذلك لكي يتمكن والد مارتن لوثر من الحضور. وهذا أعطى اللحظة أهمية أكبر للوثر.

كان القداس يعتبر (ومازال كذلك) أنه إعادة تفعيل للجلجثة حيث يتحول الخبز والخمر إلى الجسد والدم الحقيقيين للسيد المسيح. وبتعبير آخر، الكاهن يكون أقرب ما يمكن لوجود القدوس. كانت هناك إرشادات مكثفة للكهنة، مستخدمة كتحذيرات آمنة، والاحتفال بالقداس تم آلاف المرات من قبل، لكن هذا الضمان لم يرتح له لوثر. فمازال الله شديد الرَهبة. فقد كان جذابًا في بعض الطرق، لكن كان ينبغي تجنبه أكثر. ولذلك فإن لوثر ذهل عندما بدأ الاحتفال.

«فكرت في نفسي أنني كنت كالمُخدَّر تمامًا ومرتعبًا. بأي لسان سأخاطب ذلك الجلال، وأنا أرى أن كل الناس ينبغي أن يرتعبوا في حضرة حتى أمير أو ملك أرضي؟ من أنا حتى أرفع عيناي وأرفع يداي إلى صاحب الجلال الإلهي؟ فالملائكة تحيط به. وترتعد الأرض من لفتة رأسه. وهل يمكنني أنا القزم البائس أن أقول: إنني أريد هذا وأطلب ذلك؟ لأنني تراب ورماد ومملوء بالخطية وقد شرعت أن أكلّم الله الحي الأبدي.»

تمكن لوثر، بشكل ما، من الانتهاء.[1]

هناك بعض التقدّم. فلوثر يتبع التقليد العظيم لإشعياء وغيره ممن خافوا من وجود الله. داود الملك، الذي عرف يقينًا محبة الله ، ارتعب من الله حتى أنه أشار إلى أن الأمر تطلب منه شجاعة للصلاة (صموئيل الثاني ٧:٢٧). لكن بالنسبة للوثر لم تكن هناك صلة واضحة بين عدالة الله وبين محبته.

1 Roland Baiton, *Here I stand: A Life of Martin Luther* (New York: New American Library, 1950), 30.

ولكي يصل الفجوة ما بين العدالة والمحبة، حاول لوثر العمل باجتهاد أكثر. ومثل معظم الناس، فكر أنه يمكنه أن يكتسب محبة الله. لذلك، اتبع القداسة الشخصية باجتهاد تالٍ للا شيء. فحاول كل شيء: صوم ثلاثة أيام، اعترافات لمدة ست ساعات، قضاء الليالي نائمًا في البرد بدون أغطية، وصلاة مستمرة، لدرجة أنه كان ينبغي أن يكون ميتًا. لكن الهدوء لم يكن قريبًا.

إلا أن الله كان من الواضح أنه يعمل في حياة الراهب. كان لوثر دارسًا ممتازًا درس لغات الكتاب المقدّس ودرس الأسفار المقدّسة ذاتها. وفي سنة ١٥٠٩، نال درجة البكالوريوس في الدراسات الكتابية، وفي سنة ١٥١٢، نال درجة الدكتوراة في علم اللاهوت. وهذه الدراسات أعدته لتعيينه كبروفسور في دراسة الكتاب المقدّس، في ويتينبرج، حيث كانت مسؤوليته هي أن يلقي محاضرات تفسيرية عن الأسفار الكتابية. وبهذه المهمة كان كما يقولون كمن يتمرغ في الوحل.

وفي الأعوام ١٥١٣ إلى ١٥١٥ ألقى محاضرات عن سفر المزامير، وفي عامي ١٥١٥-١٥١٦ عن الرسالة إلى رومية، وفي عامي ١٥١٦-١٥١٧ عن الرسالة إلى غلاطية، وفي عامي ١٥١٧-١٥١٨ عن الرسالة إلى العبرانيين. وصار الإنجيل أوضح. فقد رأى أن المسيح هو الله كلّي الرحمة في المزامير. ثم عندما درس الرسالة إلى رومية تطرق كل شيء إلى «**التبرير بالإيمان وحده**»، ليصير ذلك هو ملخّص لوثر عن عمل الله في الخلاص. ففي المسيح، كان لوثر في النهاية يعرف الله أنه العادل الرحيم.

«كنت أتوق بشدة إلى استيعاب رسالة بولس إلى رومية، ولم يقف في طريقي سوى ذلك التعبير: «**عدل الله**»، لأنني اعتبرت أنه يعني العدالة التي يكون بها الله عادلاً ويتعامل بعدل في عقاب غير الأبرار. وكان موقفي، مع أنني راهب نقي، أنني وقفت أمام الله كخاطئ متعب الضمير، ولم تكن عندي ثقة في أن استحقاقي سيهدئ منه. لذلك فإنني لم أحب إلهًا عادلاً وغاضبًا، بل بالحري كرهته وتذمرت منه. إلا أنني تمسكت ببولس وكان عندي اشتياق لأن أعرف مقصده.

تأملت ليلاً ونهارًا إلى أن رأيت صلة بين عدل الله وبين العبارة القائلة «**البار بالإيمان يحيا**». ثم أدركت أن عدل الله هو ذلك البر الذي به، من خلال النعمة والنعمة وحدها، يبررنا الله بالإيمان. وبناءً على هذا شعرت بأنني ينبغي أن أولد من جديد لكي أذهب إلى الفردوس عبر أبواب مفتوحة... هذا لكي نتمسك بالله بالإيمان، لكي تتطلع إلى قلبه الأبوي الصديق الذي ليس فيه غضب أو فظاظة. إن من يرى أن الله يغضب، لا يراه بالحقيقة لكن من خلال حجاب أو ستار كما لو أن سحابة داكنة قد غطت وجهه.»[2]

إن المخافة القوية من الرب قد تمت تغذيتها بدراسة الأسفار المقدّسة والتأمل في الكتاب المقدّس. وسرعان ما تم اختبار ذلك.

إن لوثر معروف بردة فعله نحو صكوك الغفران. ففي أيامه كانت الكنيسة كثيرًا ما تجمع المال ببيع ما يعرف أنه نعم وأفضال الله. فإن كنت تدفع المال مقابل تقديم صك غفران، فيمكنك إذن، أن تخرج ذاتك وأقاربك

2 Ibid., 50.

من المطهر. هذا النظام قد انتهك مبدأ التبرير بالإيمان، الذي شعر لوثر بالاضطرار للتجاوب معه. وقد فعل ذلك بتعليق قائمة المبادئ الخمسة والتسعين على باب كنيسة قلعة ويتنبرج.

هذه الموضوعات، مع عشرات النشرات التابعة لها، وضعت لوثر في مواجهة مع الكنيسة الكاثوليكية في روما، حتى أنه كان في خطر دائم. فإما أن يغتاله أعداؤه أو تحرقه الكنيسة كمهرطق. ومهما كانت الوسيلة، فإن لوثر افترض أن الموت حتمي. وقد تم بالفعل حرق كتبه في روما في ميدان عام. إلا أن هذه التهديدات لم تمنع لوثر من كتابة نشرات أكثر، يؤيد فيها ما فهم أنه كلام الله ذاته.

ولم تعطه محاكمات الكنيسة فرصة للمناقشة. بل بالعكس، كانت هجومًا على لوثر، وتطلب منه أن يسحب كتاباته ويخضع ذاته بتواضع للكنيسة. سحب لوثر نقطة واحدة من كتاباته.

«إنني أعترف بأنني كنت مخطئًا عندما قلت إن صكوك الغفران احتيالاً تقيًا على المؤمنين الأمناء. إنني أسحب هذا الكلام وأقول إن صكوك الغفران هي أفظع احتيال ودجل من أكثر البابوات خِسّة، والتي بها يخدعون الأرواح ويدمرون أموال الأتقياء الأمناء.»

مثل هذه السخرية ضاعفت من أصدقائه وكذلك من أعدائه.

وكان النداء الأخير من لوثر قد أدى في النهاية إلى عقد اجتماع لمجمع الوجهاء في مدينة «وورمـز.» وبعد العديد من تقلب القرارات بشأن إن كان سيُسمح لمارتن لوثر بالكلام أم لا، في السادس عشر من أبريل

عام ١٥٢١، وصل لوثر إلى وورمز. وكان النقاش المنتظر عبارة عن محاكمة علنية. ولم ينل لوثر فرصة ليحاضر عن استنتاجاته. وبعد استعراض كتب لوثر سأله الممتحن سؤالاً بسيطًا: هل تدافع عنها كلها، أم أنك تهتم برفض جزء منها؟

كانت إجابة لوثر غريبة، خاصة في ضوء كتاباته الجريئة. ربما خاف من تجمع أقوى الرجال في تلك المنطقة. أجاب بصوت بالكاد يمكن سماعه: «إن قلت قليلاً أو كثيرًا فالأمر خطير. إنني أتوسل إليك أن تعطيني وقتًا للتفكير.»

كان يبدو كمن يترنح بين الخوف من الناس والخوف من الرب، لكن شيئًا ما حدث في السادسة مساءً. أظهر لوثر الشجاعة التي تميزت بها كتاباته. لم تكن هذه الجرأة ثقة بالنفس، لأنه رجل يسير بتواضع أمام الله، لكنها كانت ثقة في كلمة الله.

في ملاحظاته دافع عن كتاباته وقال لمن كان لديهم السلطان على قتله: «ينبغي أن أسير في مخافة الرب». وأنهى تعليقاته بقوله: «**إن ضميري أسير لكلمة الله. فلا يمكنني أن أسحب أي شيء، كما أنني لن أفعل ذلك. لأن سلوكي ضد ضميري ليس صحيحًا ولا أمانًا. ليكن الله في عوني. هأنذا أقف، ولا يمكن أن أفعل غير ذلك. آمين**».

أظهر لوثر أنه من الممكن أن تخشى الرب في نفس وقت خوفك. فهو على كل حال، كان يقف أمام محكمة لها سلطان روحي وسياسي كبير. فلا عجب أنه كان خائفًا. لكن في وسط خوفه، اختار أن يثق بالله ويطيعه. وهذه هي مخافة الرب في أسمى صورة.

نبي عبراني وأصدقاؤه

كان نماذج دور لوثر هم رجال سفر دانيال: دانيال وشدرخ وميشخ وعبدنغو. وغيّر يسوع ذاته، ليس هناك نماذج أعظم في مخافة الرب. لقد ارتفع هؤلاء الرجال إلى القمة خلال أسوأ أوقات عاشها بقية شعب بني إسرائيل. لقد انتهت مملكة الشمال وغزا البابليون بلاد يهوذا وأقاموا عليها ملوكًا كالدمي. وفي بداية احتلال بابل، أخذوا أفضل الأفراد وأذكاهم من بين أفراد الأسرة المالكة في يهوذا، وذلك للخدمة في بلاط نبوخذنصر.ومن بين هؤلاء كان دانيال ورفاقه الثلاثة.

كيف تعلّم دانيال مخافة الرب، أمر لا نعرفه يقينًا. فمَلِك يهوذا الذي تولى الحكم في خلال احتلال البابليين للبلاد، هو يهوياقيم الملك الشرير. وسبقه في الحكم لفترة قصيرة ملك شرير آخر. إلا أنه قبل السبي بأربعة عشر سنة كان يوشيا هو الملك وقد أقام نهضة في المملكة. والأرجح أن دانيال ورفاقه الثلاثة نشأوا بروح يوشيا.

إن خطورة سفر دانيال هي تآلفنا مع القصص فيه والسهولة الواضحة في اختيار الرجال لمخافة الرب مما يجعل سفر دانيال يبدو طبيعيًا. فمثلاً، يبدأ السفر برفض دانيال الأكل من الطعام الذي عينه الملك. فإن أكل مثل ذلك الطعام ينجّس من يأكله حسب شريعة موسى، فاختار دانيال أن يتبع الناموس. وبالنسبة لدانيال كان واجبه واضحًا. كان يمكن بسهولة الحكم على دانيال بالموت، بسبب رفضه الأكل من أطايب طعام الملك. فهو أسير عبراني وبالطبع لن يتسامح نبوخذنصر مع شخص مثير للشغب والمتاعب. وفي مثل هذه الظروف، أشك أن الكثيرين يتمسكون بالناموس،

مبررين ذلك بأن بعض القوانين أهم من غيرها. إنني واثق من أن الفريسيين سيتمكنون خلال دقائق من إيجاد تفسير للناموس مريح للضمير. فلماذا نقيم مشكلة من مسألة طعام طاهر وطعام نجس ومن الخمر المقدمة لأصنام؟ إلا أن الأمر كان واضحًا تمامًا أمام دانيال. «**فَطَلَبَ مِنْ رَئِيسِ الْخِصْيَانِ أَنْ لاَ يَتَنَجَّسَ**» (دانيال ١:٨) . وهذا ليس سوى مجاملة. فمهما قال رئيس الخصيان فقد صمم دانيال على عمله.

إن مخافة الرب تجعل الحياة أبسط.

إنه كما لو أن سفر دانيال هو قاعة مخافة الرب. بعد ذلك نرى العبرانيين الثلاثة: **شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُوَ**. صدر الأمر لهم بأن يسجدوا لتمثال نَبُوخَذْنَصَّرُ. كانت الأوامر واضحة: عندما تسمعون صوت الموسيقى تخرون ساجدين للتمثال. فإن لم تفعلوا تلقون فورًا في أتون النيران المتقدة.

لم يذكر لنا الكتاب المقدّس كيف رأى رجال نبوخذنصر فعليًا أولئك العبرانيين وهم يزدرون بالمرسوم، لكن حيث أن الفتية الثلاثة كانوا في مكانة بارزة، فلا بد أن يكون ازدراء ذلك المرسوم واضحًا. فعلى الفور أحضروهم أمام الملك الغاضب. وكملمح لرحمة غير متوقعة، أعطى نبوخذنصر للفتية فرصة لسحب كلامهم وتنفيذ المرسوم حسب طريقته، إلا أنهم لم يحتاجوا إلى فترة الليل كله للتفكير في الأمر.

فكان جوابهم على عرض الملك مذهلاً تمامًا.

«**فَأَجَابَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُوَ وَقَالُوا لِلْمَلِكِ: يَا نَبُوخَذْنَصَّرُ، لاَ يَلْزَمُنَا أَنْ نُجِيبَكَ عَنْ هذَا الأَمْرِ. هُوَذَا يُوجَدُ إِلهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ**

أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَإِلاَّ فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ» (دانيال ٣:١٦-١٨).

إن حقيقة أنهم عاشوا وسط أتون النار أمر بالنسبة لي، ضد الطبيعة. فكان يكفي أن يكون هناك رجال مثلهم. فهم الدليل على قوته العظمى.

أما القصة الثالثة البارزة عن الخوف من الناس، فهي عن دانيال مرة أخرى. فبينما كان الغرور هو سبب مرسوم نبوخذنصر الذي أدان الرجال الثلاثة، كانت الغيرة هي الدافع وراء المرسوم الملكي الذي أصاب دانيال. كان دانيال أحد الرجال المشاهير الذين نالوا من الله موهبة عظيمة وسمعة غير معيبة ومخافة مستمرة من الرب. إنها تركيبة نادرة تثير الحسد لدى الكثيرين. لذلك لم يكن مفاجأة من زملاء دانيال أن يتملكهم الحسد والغيرة.

لكن كيف يمكنهم أن «يوقعوا» بدانيال؟ كل إنسان لديه كعب أخيليس أي لديه نقطة ضعف. فلو تجسست طويلاً على أي إنسان فسيمكنك أن تجد لديه ما يشوه سمعته ويبعده عن السلطة. لكن هؤلاء الرجال عرفوا أنه ما لم يكن «الأمر مرتبطًا بناموس الله» فلن يمكنهم الإيقاع به واصطياده.

ربما إن أخذنا صفحة من مذكرات حكم نبوخذنصر، فإن الولاة اقترحوا أن يصدر داريوس الملك مرسومًا نهائيًا قسريًا لمدة شهر واحد، يمنع الصلاة لأي إنسان أو أي إله آخر سوى الملك. سُرّ داريوس الملك بالاقتراح لكنه لم يكن مدركًا تمامًا لكل مضامينه.

وكما حدث من قبل، جعل دانيال الأمر يبدو سهلاً. فلم يستغرق يومًا في التفكير فيه. بل بالعكس، واصل صلواته في اليوم ثلاث مرات وسجوده

والنافذة مفتوحة في مواجهة أورشليم. ليس ذلك محاولة لكي يراه الناس يصلّي علانية. بل بالحري، كان يواجه أورشليم بسبب محبته الكبيرة لشعبه هناك ووعود الله لأورشليم. فكان يقدّم الصلوات من أجل أن يأتي المسيا سريعًا ليغفر لهم وينقذهم.

ليس هناك تسجيل لما قاله دانيال قبل أن يُلقى في جب الأسود. وهذا أمر سيء. فتعليقاته كانت ستصلح كقصة عظيمة. لكن دانيال الذي سجل سفر دانيال، لم يكن يريد أن يجذب الانتباه لنفسه. وأيقن أنه كان عليه أن يجتاز في تلك الآلام وهو يتأمل ما سوف يحدث. ومثل أصدقائه العبرانيين، عرف أن الله يقدر أن ينجيه، لكنه عرف أيضًا أن مثل تلك النجاة غير محتملة.

لم يكن دانيال مهتمًا بجذب الانتباه إلى ذاته. بل بالعكس، أراد لنا أن نعرف أن الله أعظم من كل الملوك، وأعظم من النيران، وأعظم من الأسود الجائعة. أراد أن يتقدّس اسم الله في كل العالم. وقد كان. فبعد إنقاذ الله لدانيال، عاقب داريوس الرؤساء الغيورين الحسودين، مع عائلاتهم وأصدر مرسومًا آخر.

«مِنْ قِبَلِي صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ سُلْطَانِ مَمْلَكَتِي يَرْتَعِدُونَ وَيَخَافُونَ قُدَّامَ إِلهِ دَانِيآلَ، لأَنَّهُ هُوَ الإِلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَى الأَبَدِ، وَمَلَكُوتُهُ لَنْ يَزُولَ وَسُلْطَانُهُ إِلَى الْمُنْتَهَى. هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ وَيَعْمَلُ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ. هُوَ الَّذِي نَجَّى دَانِيآلَ مِنْ يَدِ الأُسُودِ» (دانيال ٦:٢٦-٢٧).

زوجة وربة بيت: نانسي

ليست نانسي شخصية من الكتاب المقدّس. إنها زوجة عمرها سبعة وعشرون سنة وأم لطفلين. كانت بائسة ومحبطة تمامًا.

نشأت نانسي في بيت، مع والد سكيّر، وأم تجاهلت طلباتها بمساعدتها عند قسوة أبيها عليها. فشعرت نانسي أنها تافهة وفارغة. جاءت إلى راعي كنيستها، لأنها شعرت أن زوجها لا يسدد كل احتياجاتها. نتيجة لذلك تغيرت ما بين الغضب والإحباط.

وبدون شك، من المأساة أن يكون هناك تاريخ من القسوة والإهمال في العائلة. واحتاجت نانسي إلى أن تدرك ما يقوله الله للناس الذين تأذوا من الآخرين. لكن هذا جزء من الأساس الكتابي الضروري. فإن كان إحساس نانسي بالتفاهة والفراغ يكشف عن رأيها في ذاتها، أنها كأس للحب مشروخ وبه تسريب. فإنها احتاجت إلى إعادة التشكيل إلى إناء آخر.

أحد أسباب استجابة الإنسان المسيحي الإيجابية نحو احتياجه النفسي هو أنه يأخذ آلام الناس بمحمل الجدية. إلا أن هذا المنظور قد يجعل الألم أسوأ وأشد. فهو يرى أنه من الألم القول إن خطايا الآخرين لم تؤذك فقط بشدة وبعمق، بل كذلك حرمتك من شيء حق، شيء تستحقه، وهو ضروري للحياة . إن الإيذاء العميق من الآخرين، من الصعوبة حتى أنه عندما نؤمن أن خطيتهم ضربة قاصمة مميتة تدمر جوهر الكيان، فيزداد الألم. فمثلاً إذا سرق أحد الأشخاص منك مجوهراتك، فهذا أمر

مزعج فظيع للغاية. لكن لو أن هذه المجوهرات هي المصدر المالي المدّخر إلى حين بلوغك سن المعاش، فتبدأ هنا تفضّل الإيذاء الفعلي من الألم المتضخم بسبب شهواتنا واشتياقاتنا. والنتيجة بسيطة هي حزن عميق.

بدأ الراعي يعلّم نانسي عن رأفة الله نحو الذين يخطئون إلى الآخرين. وكان هدفه من ذلك هو أن يفاجئ نانسي بمحبة الله المقدّسة نحوها. وبينما كان يعلن لها عن منظور الله نحو الضحايا، طلب منها الراعي أن تتأمل ثلاثة أسئلة. السؤال الأول: «ماذا تحتاج ؟» وبعد وقت قصير من التأمل أجابته نانسي «إنني أحتاج إلى أن يصغي زوجي لي، ويسدد احتياجاتي.»

أجاب الراعي بملاحظة تم تسجيلها عبر التاريخ. «هل لاحظتِ يا نانسي أننا نميل إلى أن نخضع لسيطرة الأشياء التي نحتاج إليها؟ هل ترين أن هذا الأمر فعّال في علاقتك بزوجك؟ فطالما أنك تحتاجين إلى زوجك لكي يملأك عاطفيًا فستشعرين بأنه يتحكم فيكِ.»

السؤال الثاني مبني على تلك الملاحظة. طلب الراعي من نانسي أن تفكر في هذا السؤال. «ماذا أو من يتحكم فيكِ؟» وطلب منها أن تنتبه بصفة خاصة للأحداث التي جعلتها غاضبة أو محبطة.

عادت إليه ومعها قائمة طويلة تضمنت زوجها وأولادها وأمها وأباها وأصدقاءها في الكنيسة. وقد سجّلت الأحداث كل يوم، التي تبين لها أنها تحت سيطرة الغير.

ثم قال لها السؤال الثالث: «أين تضعين ثقتك؟»

رأت على الفور أن الأسئلة الثلاثة متطابقة. فما تحتاج إليه يتحكّم فيها، وما يتحكم فيها هو موضوع ثقتها أو خوفها. كان ماضيها بالطبع متعبًا ومؤلمًا وينبغي معالجته. ولكن الموضوع الذي جعل حياتها صعبة للغاية لم يكن هو ماضيها، بقدر ما أنه موضوع العبادة لديها. كانت المشكلة داخلها وليست خارجها.

بدأت نانسي في تحديد مشكلتها أنها الخوف من الناس ونقص مخافة الله لديها. ومثل مسيحيين كثيرين صار الناس نقطة تحكم في حياة نانسي. فقد صارت تخشى الآخرين. ووضعت رجاءها فيهم. وبالإضافة، فإنها كما في حالات الخوف من الناس، كان الاهتمام بالذات هو القوة خلف ذلك. فاعتمدت على الآخرين، لأنها ظنت أن لديهم القوة في أن يعطوها ما تريده.

وبتعبير آخر، فإن الناس بالنسبة لنانسي كبار، لأن رغباتها كبيرة. وبدأت نانسي في التمييز فيما بين الخجل من خطأ الناس في حقها، وبين الخجل من خطيتها الشخصية. ومن بين الاثنين بدأت تدرك أن الخجل من خطاياها الخاصة كان أكثر خطورة.

بالتأكيد أنها رأت عددًا من الخطايا الواضحة في حياتها، لكنها لم تضطرب بموضوع عميق هو الخوف من الناس الذي نبع من قلبها. كانت تعبد الآخرين من أجل رغباتها الخاصة. ووجدت أن هذا هو نمط الخطية السائد في حياتها.

ومع وجود هذا الأمر في اللب، عرفت أن الجواب ليس بأن ترجع إلى المسيح لكي تسدد احتياجها الذي تشعر به. فهذا يجعل من يسوع تعويذة

شخصية لها أو صنمًا خاصًا بها. وبالعكس، فإن جوابها هو أن تميت رغباتها الأنانية وتتعلّم مخافة الله وحده. ونتيجة لذلك، بدأ سؤالها يتغير. فلم يعد السؤال: «لماذا أهتم بنفسي اهتمامًا كبيرًا؟» لم يكن هو: «كيف يمكن لله أن يسدد احتياجاتي؟»، ولكن: «كيف يمكن أن أرى المسيح ممجّدًا بشدة حتى أنني أنسى احتياجاتي الشخصية؟»

ووجدَت في سفر إرميا عونًا لها (إرميا ١٧:٥-١٠). وقد بين ذلك أن الخوف من الناس هو السبب الحقيقي لفراغها. كان ذلك لعنة جعلت ضحاياها معوزين أو فارغين. وكان البديل، وهو الثقة بالله، بركة قادت حياتها إلى الامتلاء.[٣]

فبدأت تردد الصلاة الربانية. وعندما كانت تصلي: «**وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا**»، كانت تفكر في الأوقات التي كان فيها زوجها يحتل مكان الله. واعترفت أنها كانت تنظر للزواج كوسيلة لتسديد احتياجاتها. كما اعترفت بأن زوجها كان هو المعين لتلبية احتياجاتها. فأوقات الاعتراف هي مثل الجروح الذاتية في الماضي، لكن الآن مع تفهمها الكبير لمحبة الله المقدّسة، صارت تحررها.

كما بدأت كذلك في الصلاة من أجل مخافة الرب. فقد عرفت أن الاعتراف في ذاته لن يجعل الله أكبر من الناس في حياتها. وبالثقة في أن الله سيعطيها المزيد من مخافة الرب، بدأت تبحث في الأسفار المقدّسة صور وأشكال مخافة الله. فاتجهت إلى الأصحاح السادس من سفر إشعياء، والأصحاح الأول من سفر حزقيال، وإلى سفر الرؤيا.

٣ لمعرفة المزيد عن هذا النص الكتابي الهام في عملية التغيير المستمر، يمكنك الرجوع إلى كتاب «**كيف يتغيّر الناس**» – من إصدارنا "مركز دراسات المشورة الكتابية"

فبدأت تبحث عن المجد حولها في خلال يومها. بل وقرأت كتاب سي إس لويس بعنوان «أخبار نانيا» كطريقة للتفكير أكثر في الله القوي.

وباكتشافها لكتيب قصاصات في صور الله، كانت نانسي تقترب تدريجيًا من استيعاب شكلها الحقيقي. كان كأس المحبة المتسرب في طريقه إلى الاختفاء، حتى برغم أنه قد يظهر عدة مرات. وتم إحلال صور لله بدلاً منه، كصديق وكحكيم وككاهن وكملك وكعريس. بل وعرفت صورًا أخرى مثل صورة المسيح العبد أو الخادم. لكنها رأت ذاتها كمسيحية مؤمنة بحسب فكر الله.

كانت نانسي تتعلّم مخافة الرب، كما كانت طبيعة قلبها تتغير كل يوم وتتنقى. لم يكن باقيًا سوى جزء واحد فقط: ما هو واجبها نحو الآخرين؟ لم يناقش راعيها هذا الأمر بصفة خاصة، لأن نانسي سبقت بالفعل إلى محبة الآخرين. ولم تعد تتكلّم كما لو كان الآخرون يستحقونها. بل بالعكس، بدأت تفكّر في طرق خلاقة للمحبة. وصار سؤالها بسيطًا: ما واجبي أمام الله الذي أحبني؟

بالنسبة لنانسي، كان واجبها معناه عدد من الأمور. فتحت عنوان المحبة بحثت عن الخشبة التي في عينها قبل أن تتحدث مع زوجها عن القشة التي في عينه. ثم أخبرته عن كيفية إيذاء بعض أفعاله لها. إن رقتها واهتمامها الواضح بعلاقتهما جعلتا من السهل عليه سماع كلماتها. فبدأت في الصلاة معه عن كيف تحب والديها وسعيا لطلب المشورة من أصدقائهما في الكنيسة.

قررت نانسي أن تتقرب إلى والديها غير المسيحيين بهذه الطريقة :

* ستحكي لهما ما تعلّمته عن ذاتها وعن مخافة الرب (طالما كان الوالدان مهتمين بالاستماع إليها).

* كانت تطلب مغفرتهما لها عن طرق معينة أخطأت فيها ضدهما، وبدأت تدعوهما إلى إثارة موضوعات تكون قد نسيتها.

* تكلّمت مع والديها سرًا عن كيف أنهما ارتكبا أخطاءً ضدها وأضافت أنها غفرت لهما. كما أنها قررت أن تطلب من أبويها، لو أرادا، أن يتكلّما معها بشكل خاص عن أحداث الماضي. فإن كان كذلك، فإنها ستسعد بالحديث معهما.

باركها الراعي بكلمة الله: «**لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا**» (رومية ٥:٥). قد يبدو هذا غريبًا بعد كل ما قلناه عن رفض النظر للشخص على أنه كأس محبة مبني على الاحتياج. فهل تقول الأسفار المقدّسة على الإطلاق، إننا كأس محبة ليس فعليًا. مع أن التشبيه بكأس هو رأي بسيط، فهو كأس احتياجات روحية وليست نفسية. والمضمون يوضح الطبيعة الدقيقة لهذه المحبة. «**وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا**» (رومية ٥:٨). عندما نعرف أن الناس يأتون إلى الله في شكل خطاة محتاجين بشدة للنعمة، فإن كل المستشارين يسعون لغمر طالبي المشورة بمحبة المسيح. فإن كنت مستشارًا فسيكون هذا أعظم فرح لك: أن تسكب محبة الله على الإنسان العطشان بالروح. فهذا سيجلب مجدًا عظيمًا لاسم المسيح.

مشير مُعلّم

حتى الآن تعلّمنا من كلمة الله وأحاطتنا نماذج مؤثرة مثل تيم، ومارتن لوثر ونانسي، فإنني أنا أيضًا أتعلّم بالتدريج مخافة الله وليس الناس.

وعندما تلومني زوجتي، يمكنني عادة أن أصغي وأتعلّم. وعندما أشعر بفشل ذريع، فبدلاً من الاكتئاب لعدة أيام، فإنني أسرع بالتساؤل: «ما هو واجبي؟»

وسوف أعطيكم صورة قبل ذلك وبعده، راجيًا أن أشجّعكم.

كنت أعقد درسًا عن المشورة المسيحية وأساس التعليم، حيث أعمل. وكان للحلقة الدراسية مزاياها وعيوبها، لكن كان هناك محاضرة معينة بها عيوبًا بصفة خاصة. فحتى أنا وجدتها مملة.

هل حضرت في مدرسة ابتدائية عندما يوشك جرس نهاية اليوم الدراسي على أن يدق؟ سيبدو ذلك مثل ركض الثيران في حلبة المصارعة في أسبانيا. ويبدو ذلك كأن الأطفال قد انفجروا خارجين من المبنى أو منطلقين من السجن. وبالطبع، يقل هذا السلوك مع ارتقاء الأطفال لفصول أعلى.

عندما رن الجرس منهيًا الدرس الذي ألقيه، منبهًا بعضًا من التلاميذ الحريصين، بدوا كأنهم رجعوا إلى المدرسة الابتدائية. لم يحدث أن رأيت حجرة الدراسة خالية بهذه السرعة. لعل ذلك أحدث تخلخلاً، وهو ما تشعر به عندما تنطلق الحافلة.

لم يطرحوا أيه أسئلة. ولم يقل أي أحد كلمة وداع.

عدت إلى منزلي، وجلست إلى مائدة الطعام، وبدأت على الفور في مطالعة إعلانات الوظائف، متمنيًا أن ألتحق بوظيفة لا أضطر معها إلى رؤية أي إنسان أو التعامل أو الحديث مع أي إنسان.

فكرت في نفسي وقلت: «إنني تعيس. إنه فشل مريع. إنني مهان. إنني لا أريد أن أرى أولئك الطلبة مرة أخرى».

ومع البحث في الصحيفة، كأنني ولد صغير أضاع كلبه، (وكنت أتمنى لو سألتني زوجتي ما الأمر)، فسألتني زوجتي أخيرًا لماذا أبدو حانقًا. وبعد سماعها للقصة المؤثرة، أعطتني مشورة رائعة.

قالت لي: «كف عن ذلك. إن عليك مسؤوليات نحو الطلبة».

لم تكن تلك هي النصيحة التي أردت سماعها. أردت أن أمتلئ بالتعاطف والحب غير المشروط. قالت لي: «أثق أن الدرس كان عظيمًا. وحتى لو لم يكن، فما زلت أعتقد أنك عظيم... «لو أنها سألتني، لكتبت ردة فعلها. لكنها اختارت شيئًا دخل إلى القلب مباشرة.

«توقف عن ذلك»، هي بالتحديد الكلمة التي احتجت إليها. فهي اختزال لفقرة تقول: «لماذا تنشغل بذاتك؟ إنني أريد منك أن تتحرر من الاهتمام بالذات بأن تخاف الله وتعرف واجباتك.»

كانت دعوة زوجتي لي لإيقاظي قد وضعتني في مسار جديد. فبدأت أنظر بجدية أكثر، إلى الأنانية والغرور والكبرياء التي اختبأت تحت

غطاء خارجي من رثاء الذات. لم يكن ذلك لطيفًا. فكما يقول جون كالفن، إنني لست كأسًا للمحبة. كنت مصنعًا للأوثان. لقد أردت أن أتعبد لشخص أو لشيء يعطيني مجدًا. بالطبع ليس مجدًا كثيرًا. لكنه مجد يكفي أن يجعني أشعر بالرضا عن ذاتي. لو أن الطلبة أصنامي كانوا قد سألوا بعض الأسئلة بعد الدرس، ولم يتركوني باستعجال، فربما كان يكفيني ذلك.

كان كأسي ممتلئًا بي. لم يكن فارغًا.

ومع هذه الأفكار في قلبي المخادع كان هناك فهم أعمق لغفران الله. في الواقع، ربما كانت المرة الأولى التي أدرك فيها أن غفران الله لي هو غفران مقدّس ، وكان من القداسة بحيث أنه كان مخيفًا. تعجبت وتباركت بمحبة الله لي كخاطئ. وإذ تسلحت بحبة الله الغافرة صليت بكل جرأة أن يواصل الله البحث داخلي وكشف ما في قلبي.

لم تكن الشهور الستة التالية مليئة بالاستبطان المؤلم. بل بالعكس، كانت أوقاتًا رائعة لفحص الذات تحت إرشاد الكتاب المقدّس، وبمساعدة نصيحة ومشورة أفراد أسرتي وأصدقائي. لم يكن هناك انفجار في الفكر، لكن مجرد وضوح تدريجي للمواضيع في قلبي.

لقد وجدت أن الغرور عميق داخلي. فكان تحت اليأس من بعض الإخفاقات هناك رغبة أن أكون شخصًا له حيثية. أردت أن أكون المعلّم العظيم. كما أردت أن أمتلئ باحترام الطلبة لي. كذلك أردت أن أحظى بأشهر فصل دراسي. «أردت...»

لقد وجدت أن الناس كبار، وأن رغباتي في مجد الذات أكبر، وأن الله صغير. كنت مهتمًا فقط بمدح الناس لي وليس مدح الله. كنت عابدًا للناس، راجيًا أن يمنحوني البركة التي رغبت فيها. ووجدت أن احتياجي للفصل الدراسي كان من أجل أغراضي، أكثر منه من أجل محبتي لهم. وكان مسار الابتعاد عن الخوف من الناس هو طريق الاعتراف بالخطة والتوبة. وليس هناك اختيارات أخرى.

جاء الامتحان بعد ذلك بثلاث سنوات. ففي منتصف الفصل الدراسي كنت ألقي درسًا. كان الأمر رائعًا، إلا أن إحدى المحاضرات كانت كالقنبلة. شعرت كأنني أعطي معلومات بلا جدوى. فلو أمكنني أن أنام، فربما تكون المحاضرة أفضل. وبالعكس، فإنني سمحت بالخروج مبكرًا بضع دقائق للطلبة الذين كانوا مهذبين ، لكنهم غير يقظين.

كان طريق العودة للبيت مختلفًا. لم أكن أفكر: «ماذا سيظن الطلبة بي؟» بل بالعكس، بدأت في تأمل واجبي. وأدركت أنني محتاج إلى أن أقضي مزيدًا من الوقت في إعداد الدرس التالي. لقد أردت العودة للبيت لكي أعد محاضرة الأسبوع التالي. وأدركت أن الله دعاني لتدريس هذا الفصل الدراسي، وكنت واثقًا بأن لديه في فكره ما هو أكثر من مجرد تحقيري. فآمنت بأنه يريد مني أن أدرس الطلبة وأتلمذهم. فالتزمت بالذهاب للمحاضرة التالية باستعداد أكبر. وكنت متحمسًا بشأن ما أتكلم عنه، وتغيرت بسببه بشكل شخصي.

كان أسبوعًا عظيمًا. كان أسبوعًا للتحرر من فخاخ الخوف من الناس. وبدلاً من الانشغال بالشك في نفسي ورثاء الذات، طلبت من زوجتي

وأصدقائي الصلاة من أجل المحاضرة. وبالطبع صلّيت أنا كذلك. ربما صلّيت في ذلك الأسبوع أكثر مما صلّيته في شهور. لكنني لم أكن أصلّي من أجل نجاح المحاضرة، بل كنت أصلّي قائلاً: «فليتمجّد اسمك فينمو الطلبة في معرفتك وفي طاعتك.»

لقد تعثرت بالطبع، منذ ذلك الوقت. لكن لا رجوع إلى أيام العزلة التي كانت في المدرسة الثانوية. إنني الآن في الحضرة الرهيبة (المخيفة) لله وأعيش تحت ناظريه. هل تتذكر تلك النظرة؟ النظرة التي تكشف العري والنجاسة؟ إنها نظرة مختلفة.

إنها نظرة القبول. وقد اختبرها بنو إسرائيل عندما كان هناك دم على الأبواب. فعندما كان ملاك الموت يرى الدم، كان يعبر عنهم.

إنها نظرة ترى ستر الذنب والعار. فإن الله الآب، الذي يحفظ كلمته دائمًا، يقول إنه يغفر ويطهر. وعندما يقول إنه سيمجّد اسمه من خلالنا، فإنه يفعل ذلك.

إنها نظرة الحماية والقوة. إنها نظرة صادرة من الملك، الذي يحب أن يعطينا الملكوت (لوقا ١٢:٣٢).

إنها نظرة العريس الذي يحب أن يقدم أفضل عطاياه ومواهبه لعروسه، وأفضل مواهبه هي حضوره، بالروح القدس (لوقا ١١:١٣).

هذه هي النظرة التي تغيّر. فهي تطرد خوف الإنسان من الناس، هي بركة لكل شعب الله. ونحن، ككهنة لله، ينبغي أن نصلّي من أجل تلك النظرة، لشريك الحياة الزوجية، وللأولاد، وللأصدقاء، ولكل الكنيسة.

«يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ.يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ.يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا» (عدد ٦:٢٤-٢٦).

عن المؤلف

إدوارد ت. ويلتش يعمل في مؤسسة المشورة والتعليم المسيحي (CCEF)

وفي معهد ويستمنستر اللاهوتي. في مؤسسة CCEF، إلى جانب كونه مستشارًا وعضوًا في هيئة التدريس، فهو مدير قسم المشورة والعميد الأكاديمي. وفي معهد ويستمنستر اللاهوتي، هو أستاذ علم اللاهوت العملي. وقد انضم إلى كلتا المؤسستين في عام ١٩٨١.

وبالإضافة إلى تأليفه لكتابي «**الإدمانات – وليمة في القبر**» و«**لماذا تلقِ باللوم على المخ؟**» – كلاهما متاح باللغة العربية، ساهم ويلتش في العديد من الكتب بما في ذلك كتاب «ما هي علاقة المخ بهذا الأمر؟»، وكتاب «أعضاؤنا الصغرى»، وكتاب «دليل القيادة في علم اللاهوت العملي – الجزء الثاني»؛ وكتاب «قوة الدين».

لقد كتب ويلتش أكثر من عشر مقالات لمجلة «المشورة الكتابية». وهناك دوريـات أخرى تحمل مقالاته ومنها: «علم النفس والمسيحية»، ومجلة الممارسة الرعوية»، ومجلة «الآداب الكتابية في الطب»، و«الرعاية والمشورة»، و«الإصلاح المعاصر»، و«الآفاق الجديدة»، و«مجلة جمعية الأسرة الأمريكية»، و«مجلة مشروع التظاهر الروحي»، و «قرن الإصلاح»، و«نشرة ويستمنستر.»

كما قدم أبحاثًا في كل اجتماعات هذه المنظمات مثل «الجمعية المسيحية للدراسات النفسية»، و«الجمعية الأمريكية للمشورة المسيحية»، و«جمعية بنسيلفانيا النفسية.»

وبعد أن حصل على درجة الماجستير من كلية الدراسات اللاهوتية الكتابية، نال ويلتش درجة الدكتوراه في علم نفس المشورة (Neuropsychology - علم النفس العصابي)، من جامعة يوتا.

مكتبة المشورة الكتابية (مصادر لتغيير الحياة) – جميعها متاحة باللغة العربية

الإدمانات - وليمة في القبر: العثور على الرجاء في قوة الإنجيل. يُظهر إدوارد ت. ويلش Edward T. Welch كيف ينتج الإدمان عن اضطراب في العبادة - الوثنية - وكيف تتم مقاومته بقوة الإنجيل.

لماذا تلقِ باللوم على المخ؟ التمييز بين اختلالات التوازن الكيميائي والاضطرابات العقلية والعصيان. يقارن إدوارد ت. ويلش Edward T. Welch بين دور المخ و«القلب» في مشكلات مثل إدمان الكحوليات والاكتئاب واضطراب نقص الانتباه ADD والجنسية المثلية.

كيف يتغير الناس: Paul David Tripp يشرح هذا الكتاب النموذج الكتابي للتغيير في طريقة واضحة وعملية، يمكن أن تطبقها على التحديات اليومية في الحياة. ولكن يتضمّن التغيير أكثر من مجرد صيغة كتابية: سترى كيف يعمل الله ليجعلك الشخص الذي خُلِقت لتكونه. تلك العلاقة القوية المحبة التعويضية في صميم كل التغيّرات الإيجابية التي تختبرها.

أدوات بين يديّ الفادي: أناس يحتاجون إلى التغيير يساعدون أناسًا يحتاجون إلى التغيير. Paul David Tripp يشرح هذا الكتاب النموذج الكتابي الذي يستخدمه خدّام المشورة لمساعدة الناس على التغيير.

حرب الكلمات: الوصول إلى قلب صراعاتك التواصلية. يأخذنا بول تريب Paul David Tripp إلى ما وراء الحلول السطحية في صراع التحكُّم في ألسنتنا.

عندما يبدو الناس كبارًا و يبدو الله صغيرًا: التغلُّب على ضغوط الأصدقاء والأقران، والاعتمادية المتبادلة، والخوف من الناس. يفضح إدوارد ت. ويلش Edward T. Welch الأبعاد الروحية للكبرياء، والدفاع عن النفس، وإرضاء الناس، والحاجة للقبول، و«الثقة بالنفس»، إلخ.

الرؤية بعيون جديدة: المشورة وحالة الإنسان من خلال عدسة الكتاب المقدَّس.
David Powlison

سلسلة كتيبات المشورة: اضطراب نقص الانتباه ADD؛ الغضب؛ غاضب من الله؛ الاكتئاب؛ العنف الأسري؛ الغفران؛ محبة الله؛ الإرشاد؛ الجنسية المثلية؛ «مرة واحدة أخرى»؛ الخطية الجنسية؛ المعاناة؛ الانتحار؛ المراهقون والجنس؛ الشكر؛ لماذا أنا؟؛ مرحلة ما قبل الارتباط والخطبة؛ الدوافع؛ الصور والفن الإباحي.